

(ج ٦٠، س ٢٠ ذوّ القعدة / والحجة ١٤٠٥هـ - آب وأيلول (أغسطس / سبتمبر) ١٩٨٥م)

جباشة : أشهر أسواق تهامة قديماً

هذا الموضوع التاريخي الذي ألّف ياقوت الحموي أعظم كتاب وصل إلينا في تحديد المواضع بسبب البحث عن ضبط اسمه - أليس جديراً بأن يُحدّد ويبيّن موقعه ؟ .

قال ياقوت في مقدمة « معجم البلدان » : (وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب أني سئلت في سنة خمس عشرة وست مئة عن حُباشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي ، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، فقلت : أرى أنه حُباشة - بضم الحاء - قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة لأنّ الحُباشة الجماعة من الناس من قبائل شتّى ، وحَبَشْتُ له حُباشة أي جمعت له شيئاً ، فانبرى لي رجل من المُحدّثين وقال : إنما هو حَبَشَة بالفتح - وصمم على ذلك من غير حجة ، فأردتُ قطع الاحتجاج بالنقل - إلى أن قال : فألقيَ حينئذٍ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً) . إلى آخر ما ذكر .

ثم إنه موضع ورد في ذكره من الأخبار والآثار التاريخية ما لا ينبغي لطالب العلم أن يجهله ، فقد نقل الإمام ابن عبد البر في كتابه « الاستيعاب » في ترجمة زيد بن حارثة عن عالم مكة الزبير بن بكار الزبيري وعن عمه مُصعب : (كان زيد بن حارثة أصابه سبّاء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حُباشة ، وهو سوقٌ بناحية مكة كان مجتمعاً للعرب يتسوّقون بها كل سنة ، اشتراه حكيم لخديجة بنت خويلد ، فودبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة ، وهو ابن ثمان سنين ، فتمنّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فكان يُدعى زيد بن محمد ، حتى نزل قول الله تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾ .

وأورد البكريُّ في « معجم ما استعجم ^(١) » عن حُباشة : وهي أكبر أسواق تهامة وكانت تقوم ثمانية أيام في السنَّة ، قال حكيم بن حِزام : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضرها واشتريت فيها بَزًّا من بَزِّ الجاهلية .

ولعلَّ أوفى وصف لسوق حباشة وصل إلينا ما أورده مؤرخ مكة الأزرقى في كتاب « أخبار مكة ^(٢) » ونصه : (وحباشة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام من بارق ، من صدر قَتُونَا وحَلْيٍ ، بناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليال ، وهي آخر سوق خَرِبَتْ ، من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند ، فيقيمون بها ثلاثة (؟) أيام ، من أول شهر رجب متوالية ، حتى قتلَت الأزدُ والياً عليها من غنيٍّ بعثه داود بن عيسى بن موسى في سنة سبع وتسعين ومئة ، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها ، فخرَّبها ، وتركها إلى اليوم) .

ويظهر أنَّ ياقوتا - رحمه الله - لم يطلع على كتاب الأزرقى لأنه لم يذكر عن حباشة سوى قوله : - بعد ذكر المعنى اللغوي للكلمة - : وحباشة سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري : لما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ أشده وليس له كثير مال ، استأجرته خديجة إلى سوق حُباشة ، وهو سوق بَيْهامة ، واستأجرت معه رجلاً آخر - وساق الحديث وأورد بعده خبراً يتعلق بسوق آخر يسمى حباشة - يظهر أنه من أسواق المدينة قبل الإسلام - ولم يذكر موقع حباشة من بَيْهامة .

وما ذكره الأزرقى في تحديد ذلك السوق واضح ، فوادي قَتُونَا ووادي حَلْيٍ لا يزالان معروفَيْن ، وهما بناحية اليمن بالنسبة إلى مكة ، إذ كل ما هو يمينها يسمى يميناً ، ولا يزال هذا معروفاً في عهدنا ، فبادية مكة وما حولها يطلقون اسم الشام على ما هو واقع شمال مكة ، واليمن على ما هو واقع جنوبها ، ومن ذلك

تقسيمهم قبيلة هذيل إلى هذيل الشام وهذيل اليمن ، يعنون هذيل الساكنين شمال مكة ، وهذيلاً بمنها .

وقبيلة بارق التي يقع سوق حباشة في بلادها لاتزال معروفة مستقرة في مواطنها القديمة التي هي في غور سراة عَنَزٍ وَالْحَجَجَرِ^(٤) ، وهي أزدية قحطانية ، صريحة النسب من مازن بن الأزد ، وقبيلة بارق أخت قبيلة ألمع التي لاتزال في بلادها القريبة من بلاد بارق ، وقد تحدثت عنها في كتاب « في سراة غامد وزهران » .

ويحد بلاد هذه القبيلة من جهتي الشرق والشمال بلاد بني شهر من الحجر من الأزد أيضاً .

وبارق بلادهم منتشرة في صدور قنونا ، وما حولها من فروع الأودية .

ووادي قَنُونًا من أشهر الأودية التي تخترق تهامة حتى تبلغ البحر عند ميناء القنفذة .

وهذا الوادي لا يلي وادي حلي^٥ - كما يُفْهَم من كلام الأزرقي - ، بل يفصل بينهما وادي يَبَّة - (يقع وادي قَنُونًا على خط العرض : ١٩/١٠° وجنوبه وادي يَبَّة على خط عرض : ١٩/٠٠° - ثم وادي حلي : ١٨/٤° - على وجه التقريب) .

والأودية الثلاثة مشهورة قديماً ومعروفة الآن .

ويظهر أن موقع السوق من صدر قَنُونًا هو حيث يتسع حوض الوادي بمجاوزته ما كان يحصر مجراه من الجبال ، وامتداده في سهل تهامة المتسع لتزول الكثير من الناس ممن يحضر ذلك السوق السنوي الشهير من مختلف الجهات .

وهناك في الأرض البراح ملتقى للطرق المسلوكة قديماً وحديثاً ، حيث تقع قرية تدعى (الأحد) إذ يقام فيها سوق أسبوعي كل يوم أحد ، لا أستبعد أن يكون

موقع سوق حُبَّاشَة القديم بقرب هذه القرية ، وأنه أُعيد بعد تخريبه من قبل أمير مكة داود بن عيسى ، والتخريب - إن تَمَّ - يصدق على ما فيه من مَبَانٍ ، والملاحظ في الأسواق التي لا تستمر زمناً طويلاً عدم الحاجة إلى المباني ، بل الاكتفاء بالبيوت المنصوبة كالأخيام ونحوها مما يَسْهُلُ نقله عند انتهاء زمن السوق الذي لا يزيد على أيام .

ثم إنَّ من عادة القبائل أنها تستعيد ما قد تحتاج إليه عندما تَقْوَى على استعادته ، ومن المعروف أنَّ سيطرة الدولة العباسية على هذه البلاد بدأت في الضعف منذ أول القرن الثالث الهجري ، وأنها لم تتمكن من إخضاع جميع قبائل الجزيرة .

ويقع سوق حُبَّاشَة على ما ظهر لي بقرب خط الطول : ٤١/١٢° وخط العرض : ١٩/١٠° شرقي بلدة القنفذة بنحو عشرين كيلاً .

ونحسن الإشارة إلى أنَّ الأزرقي أشار في كتابه إلى العلة في عدم شهرة سوق حباشة وأنه لم يَرِدْ ذكره كثيراً مع أسواق العرب المشهورة وهي أنه لم يكن في مواسم الحج ، ولا في أشهره ، وإنما كان يقام في شهر رجب .

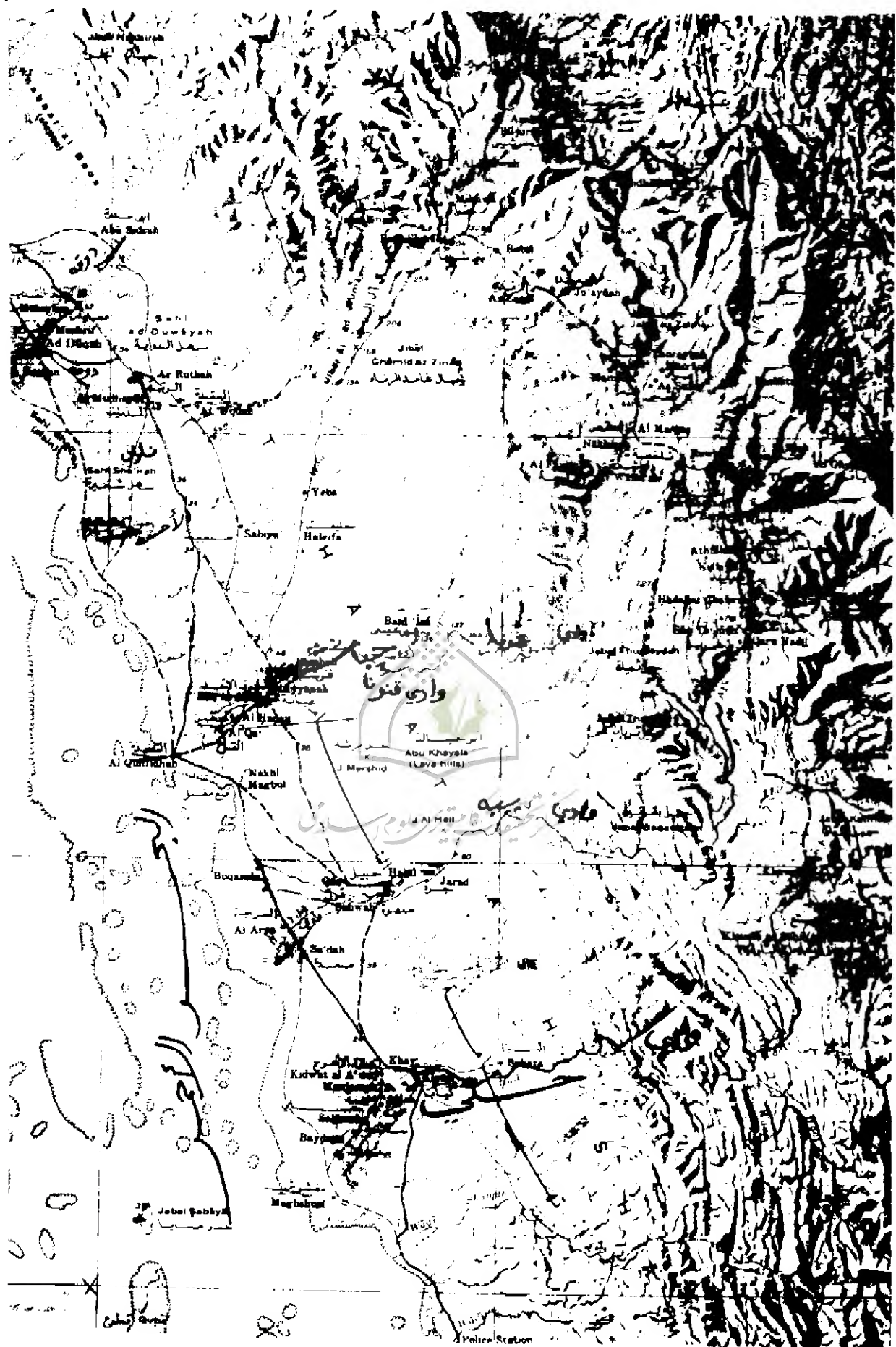
أما قول الأزرقي عن السوق : (يقيمون بها ثلاثة أيام) فإنه لا يتفق مع قول البكري أن مدة الإقامة ثمانية ~~لعل هذا أعدال القولين~~ ، فثلاثة الأيام قصيرة بالنسبة لإعداد ما يلزم لتزول السوق وتعاطي البيع والشراء فيه .

وما أسهل تصحيف كلمة (ثمانية) بـ (ثلاثة)

حمد الجاسر

الحواشي :

- (١) رسم حباشة .
- (٢) « أخبار مكة وما فيها من الآثار » : ١٩١/١ .
- (٣) الهمداني في « صفة جزيرة العرب » : ١٢١ .



حياتنا الأدبية الحديثة

من خلال دراسة مظاهرها نشأة وسيراً وتطلعا

- ٢ -

رسائل جامعية (بغير العربية) :

وأنظر في المجلد الأول من السنة الأولى من « مجلة كلية الآداب » بجامعة الرياض (١٣٩٠/١٩٧٠) فأرى من الرسائل الأدبية : رسالة الدكتور عزت عبد المجيد خطاب : دراسة التاريخ النقدي لقصيدة روبرت براوننج المعروفة باسم « الخاتم والكتاب » في الفترتين ١٨٦٨ - ١٨٨٩ و ١٩٥١ - ١٩٦٨ - من مدرسة الدراسات العليا ، جامعة نيومكسيكو ، أغسطس ١٩٦٩ م / ١٣٨٩ هـ .

الدكتور محمد صديق العوضي - « أبو نواس وفارسياته وتأثيره في الأدب الفارسي » جامعة طهران ١٣٨٩ .

ولو سرنا أكثر لوجدنا المزيد ففي الجزء الثالث (١٣٩٤/١٩٧٤) : الدكتور محمود إسماعيل صيني : « نظم الجملة في لهجة الحضر بالحجاز » من جامعة جورج تاون) ، الدكتور محمد حسن باكلا « دراسة القوانين الصرفية والصوتية وبخاصة في اللغة العربية » من جامعة لندن .

والمسألة تطول ، وقد حصل المطلوب وهو بيان غزارة العالمين بلغات أجنبية وتوافرهم ... مقابل قلة تقرب من الجذب في الترجمة (الأدبية - هنا) .

وتدخل المرأة عالم اللغة الأجنبية ، ويجب أن تدخل ، وإذا دخلت حوسبت قليلاً . وكُنّا في « المعجم » تشبّهنا بالسيدة فاطمة المنديلي منتظرين المزيد ، وقد حصلت على الماجستير ، ولم نترجمها أو نترجم غيرها . ثم حصلت على الدكتوراه بـ « الصراع بين الأسطورة الشعبية والواقع : دراسة بطولات المسرحيات عند جون ميلنجتون سينج » (من جامعة القاهرة ١٣٩٧) فزدنا انتظاراً ... وفي ميدان المسرحية خصوصاً .

وتحصل الدكتورة مريم البغدادي على الدكتوراه من فرنسا (فيما يبدو) ويكون لها نشاط أدبي ملحوظ (يقترن بمؤسسة تهامة ... بجدة) ، وتقدم لنا - مما يدخل في الترجمة : « شعراء التروبادور » وأصله : Trobadors et 'Cours d'Amour

من تأليف La Fitte - Houssa وسلسلة Que Sais - je ، باريس .

وكنْتُ أودُّ لو أنَّها قدمت الترجمة مَحْضاً ، وتَحْتَفِظُ بدراستها التمهيدية
لكتاب خاص بموضوعها — ونبقى ننتظر ترجمة رسالة الدكتوراه .

أملنا بالترجمة كبير ، وترجمة رسائل الماجستير أو الدكتوراه في مقدمة ذلك ،
ونقرن الأمل هذا بتأليفٍ في موضوعات أجنبية مختارة في خدمة الفكر العربي
وثقافته ونقدمه ... والذي حصل في هذا المجال قليل ، لم يبلغ علمنا منه إلا ما صدر
مقترناً بتهامة للنشر في جدة ، وقوامه كتابان : الأول ، للدكتورة مريم بغداددي
بعنوان « المدخل في دراسة الأدب » (١٤٠٢/١٩٨٢ - ١٦٨ في سلسلة الكتاب
الجامعي رقم) ١٥ (...) وفصوله السبعة تقوم في الأصل ، وفي حدود ما يحتاج
إليه القاري العربي ، على ما حققه الفكر الأدبي الغربي في مسيرته الثَّريَّة ، ولكن
الأستاذة المؤلفة لم ترجع فيه إلى المصادر الأجنبية .

الثاني : كتاب الدكتور عبد الوهاب علي الحكمي — « الأدب المقارن » (دراسة
في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوربية) — تهامة ، جدة ، ١٤٠٣/١٩٨٣ —
١٢٨ ص ، في سلسلة الكتاب الجامعي (١٩) ... وهو في جملة لا يشبع حاجة
القاري إلى الموضوع ، وربما خَرَجَتْ بعض موادّه عن صميم عنوانه ، ثم إنه
ليس على مستوى شهادتي الأستاذ الحكمي : (سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية
حيث تحصل على ماجستير في الأدب الانجليزي ، وحصل على درجة الدكتوراه في
الأدب الانجليزي والأدب المقارن) . ولا بأس ، فالكتاب يطمئنا برؤية الرسالتين
مترجمتين ، راجين ألاَّ يَجُورَ العمل الإداري (عميد القبول والتسجيل بجامعة
أم القرى بمكة المكرمة) على الفعل العلمي ثم التأليف والترجمة والنشر وإلاَّ فما
تقصّر الأيدي — لا مالا ولا علماً — عن النشر وإثراء المطبوعات . وقد جار العمل
الإداري قَبْلَهُ على كثيرين ، وسيجور كذلك بعده .

وورد للأستاذ عزيز ضياء ، في كتابه « جسور إلى القمة » استثمار خاص للعلم بالفكر الغربي عن طريق اللغة الأجنبية مباشرة . ويذكر الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري مادة أجنبية في ثنايا كتبه - ولا سيما : « ان تُأخذ » . ولكنه يصل إليها عن طريق المترجم إلى اللغة العربية .

ومسألة الترجمة ومتفرعاتها تطول ، ونقف عند هذا الحد ... لقول كلمة في الجامعات السعودية ، فمكانها من الكتاب - المطبوع مَرْمُوق ... وقد صارت سبعا نرجو لها التوطد والتركز والرصانة المتصلة وبلوغ السمعة العلمية المطلوبة . وأكثر ما عُنِيَ المعجم ضمن حُدُودِهِ بِجامعة الملك سعود ١٣٧٧ / نوفمبر ١٩٥٧ (الرياض) ثم جاءت فكرة جامعة الملك عبد العزيز الأهلية بجدة والسعي إلى تحقيقها ، ثم كلية البترول والمعادن في الدمام . وكليات هنا وهناك للغة العربية والشريعة في الرياض ومكة والمدينة مرتبطة بالشؤون الدينية أو بوزارة المعارف .

الجامعات السعودية :

وما نُودِعُ الحدَّ الأعلى للمدى المعجم (١٣٩٠ / ١٩٧٠) حتى تتزايد الجامعات وتتزايد كلياتها من كل نوع وتكون :

جامعة الرياض (وقد عاد إليها اسمها الأول : جامعة الملك سعود) المناسبة للاحتفال بربع قرن على تأسيسها .

جامعة الملك عبد العزيز - جدة (وقد صارت رسمية) .

جامعة البترول والمعادن - الدمام .

جامعة الملك فيصل في الأحساء والدمام .

جامعة أم القرى في مكة المكرمة .

وتكوّنَ لهذا وزارة جديدة ، هي وزارة التعليم العالي .

وتكون جامعتان أخريان إسلاميتان (دينيتان) : الجامعة الإسلامية في المدينة

المنورة .

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض : وهي وإن سميت (جامعة) وبهذا الاسم عام ١٣٩٤/١٩٧٤ فإن نواتها الأولى وعدد من كلياتها ومعاهدها سبقت التسمية ففي عام ١٣٧٠/١٩٥٠ تأسس معهد الرياض العلمي (للغة العربية والشريعة) ، وفي عام ١٣٧٣ هـ أنشئت كلية الشريعة في الرياض ، وأعقبها في عام ١٣٧٤ هـ إنشاء كلية اللغة العربية . وقد أدت ذلك إلى إنشاء جهاز مشرف على الكليتين والمعهد أطلق عليه : الرئاسة العامة للكليات والمعاهد . وفي عام ١٣٩٤/١٩٧٤ تحولت الرئاسة العامة إلى جامعة ...

وتضم الجامعة حالياً كليات ومعاهد عليا هي : كلية الشريعة ... وكلية اللغة العربية ... والمعهد العالي للقضاء الذي أنشئ عام ١٣٨٥ هـ ، والمعهد العالي للدعوة الإسلامية ، وكلية أصول الدين ، وكلية العلوم الاجتماعية ، وقد افتتحت ثلاثتها في عام ١٣٩٦ . وجميع هذه الكليات في الرياض . وللجامعة فروع في أبها والقصيم والمدينة المنورة والأحساء - عن عالم الكتب مج ٥ ع ١ رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤ .

وكانت المرأة تلتحق بالجامعة انتساباً من الخارج ثم تأسست لها كليات أو أقسام خاصة بها من الجامعة .

ورأت الرئاسة العامة لمدارس البنات حاجتها - ضمن ظروف البلد وتقاليده - ماسةً إلى كليات خاصة بها في الآداب والتربية والعلوم ففتحتها في الرياض وغيرها كالأحساء وأبها والقصيم .

وصار لعدد من الكليات دراسات عليا للماجستير أو للدكتوراه ...

ولعدد آخر - وكان هذا تميّزاً للمملكة بين الأقطار العربية - عمادات خاصة بشؤون المكتبات تشرف كما هو طبيعي على المكتبات وتصدر الفهارس والمجلة ، ولها مطبعة خاصة بها ، ومطبوعات - تزيد أو تقل - حسب نشاط الجامعة عموماً وعميد المكتبات خصوصاً . وقد ذكرنا بصدد جامعة الملك سعود أمثلة من هذه

المطبوعات ، ومنها من تأليف الأساتذة ، ومنها رسائل للدراسات العليا للطلاب وللطالبات كذلك .

جاء في « عالم الكتب » أن جامعة الإمام محمد بن سعود تهتم بالدراسات العليا ... فهناك معهدان تقتصر الدراسة فيهما على مرحلتي الماجستير والدكتوراه فقط ، هما المعهد العالي للقضاء والمعهد العالي للدعوة بالرياض . و ... جميع كليات الجامعة فتحت باب الدراسات العليا ... أن جامعة الإمام محمد بن سعود تعد أول جامعة في المملكة العربية السعودية تهتم بالدراسات العليا ، وقد بدأ الاهتمام منذ إنشاء المعهد العالي للقضاء في عام ١٣٨٥ هـ .

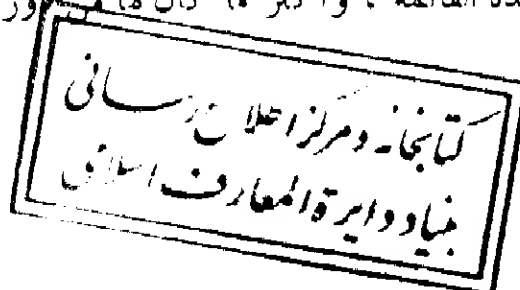
وللجامعات الأخرى - باستثناء جامعة الملك فيصل في الأحساء والدمام - دراساتهما العليا ، درجة الماجستير ... وفيها ما يستعد لمنح الدرجة الأعلى .

وقد عمل الأستاذ يحيى ساعاتي قائمة بالرسائل التي نوقشت في الجامعات السعودية ومنح أصحابها درجة الماجستير أو الدكتوراه (١٣٨٩ - ١٤٠٠ هـ) - تنظر في عالم الكتب مج ٢ ، ع ٢ شوال ١٤٠١ / أغسطس ١٩٨١ ، بانتظار قوائم أخرى - في المجلة نفسها للأعوام التالية ... وعملاً كان من شأن جامعة الملك فيصل في الموضوع .

وفهم من الجدول والتعليق عليه أن الجامعات التي منحت الدكتوراه هي : جامعة الإمام محمد بن سعود (٤) ، جامعة الملك عبد العزيز - فرع مكة (٣) ، الجامعة الإسلامية (١) .

ونلتقط من رسائل الدكتوراه - فيما يتعلق بالأدب واللغة : « علي بن مقرب العيوني - حياته وشعره » . حاز به الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود ، كلية اللغة العربية : علي بن عبد العزيز الحضيبي سنة ١٤٠٠ - وقد طبعت الرسالة في السنة التالية . بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٨١/١٤٠١ - ٤٥٩ ص .

وللمرأة حصتها من هذه القائمة ، وأكثر ما كان لها من دور - كما هو طبيعي -



في التربية والتعليم (كلية التربية بمكة التي كانت تابعة لجامعة الملك عبد العزيز بجدة) : هند بدر ، ربما الحرف ، ابتسام جفري ، نوال روااس ، نادية عبيد - والموضوع العام هن : دروس اللغة الانكليزية في مرحلة المتوسطة .

وفي جامعة الرياض : نورة صالح الشمالان - « شعر أبي ذؤيب الهذلي » ١٣٩٨ - وقد طبع ، كما طبعت رسالة سعاد عبد العزيز المانع « سيفيات المتنبي » - تنظر جامعة الرياض . ومن رسائل كلية الآداب فيها : رسالة وفيقة عبدالمحسن الدخيل - « وصف الحيوان في الشعر العربي القرن الثاني » : سنة ١٤٠٠ .

وسنرى رسائل للمرأة في قسم التاريخ ... والتربية ...

وفي غير الرسائل ورد في إصدارات تهامة ، سلسلة مطبوعات : «التخلف الإيملائي » تأليف الأستاذة نوال عبد المنعم قاضي .

وللجامعات فيما يذكر - مراكز بحث وتنشر وتحقق . ولك أن ترجع على سبيل المثال إلى مطبوعات مركز أم القرى ، ومركز الإمام محمد بن سعود ... ومركز المدينة . بين إصداراتها وتحقيقاتها كتب مهمة .

وتبقى ملاحظتان صغيرتان : الأولى : الحرص الدائم على المستوى العالي : الثانية : إيصال المطبوع - وقد بُذِلَ عليه ما بُذِلَ - إلى من يهمه أمره بالشكل المناسب ...

وإذا كان في بداية الأمر ما يدعو إلى شيء من العجلة وقليل من التسهل ... فقد زال ذلك الدافع اليوم ولا بُدَّ من التَّشَدُّد لدى القبول والدى التخرج والدى منح الماجستير أو الدكتوراه ... وقبول الكتاب للطبع ... وفي قبول البحوث التي تنشرها المجلة - فهي وَجْهٌ مُبَاشِرٌ من وجود الكلية - أو القسم . وكانت مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض منذ عددها الأول ١٣٩٠/١٩٧٠ وجْهًا نَيِّرًا . ومثالاً يُقْتَدَى ... وما زالت كذلك ... وفي المجلات الأخرى ما يُجْجِدِي

وينفع ويرضي ... ولكن فيها ما يدعو إلى إعادة النظر والتأمل والتريث - وربّ توقّف خير من تعجّل !

المجلات في المملكة :

هذه المجلات الجامعية .. وقد تكاثرت ، ومنها المجلات الأخرى أهلية أو رسمية .. ووقف « المعجم » عند ١٣٩٠/١٩٧٠ وأبرز ما فيه مجلتان أهليتان محترمتان : الأولى « المنهل » وقد أنشئت سنة ١٣٥٥/١٩٣٧ وظلّت تُغذّي السَّيْرَ مع شيء من عناء وتعب يبدو عليها ، وفقدت عميدها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري وهي تقترب من عامها الخمسين وعمل والده الأستاذ نبيه على تنشيط المجلة بعده وإعادة الشباب إليها ، وهو ماضٍ في ذلك . وظهر التقدم محسوساً وبانتظار نتائج أكثر قبل إصدار الحكم . وربط الأستاذ نبيه بالمجلة سلسلة منشورات وكأنه يريد أن يجعل من المنهل مجلة وداراً إلى جوار المكتبة العامة التي خصص لها ركناً مهماً من عمارة « المنهل » . والثانية « العرب » مجلة الشيخ حمد الجاسر وقد صدر عددها الأول في رجب ١٣٨٦ / تشرين الأول ١٩٦٦ م ، وهي نشطة غنية عجيبة في عالم المجلات . وإذا قلت إنها مجموعة كتب وقلت إن مؤلّف أكثر تلك الكتب هو الشيخ الجاسر صاحبها نفسه لم تحط به ولم تبأغ ، وأنه ماضٍ في سبيله ويتقرب بها من عامها العشرين .

ثم مجلات أخرى ذُكِرَتْ في مكانها مثل « قافلة الزيت » (وقد صارت : القافلة) ، ومجلة الحج ... وقد صار اسمها « التضامن الإسلامي » ومن المجلات ما لم تطل إقامته ...

ثم قامت بعد الـ ١٣٩٠/١٩٧٠ مجلات محترمة منها المتخصصة ، وللأدب مكانه من تخصصها وهي مجلة « الدارة » - مجلة دورية تصدر عن دار الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الأول ، ربيع الأول ١٣٩٥ / مارس ١٩٧٥ ومازالت توالي الصدور ، أربعة أعداد في العام الواحد ، محافظة على مستواها .

ومنها العام وفي رأس ما يُذكر منها : « المجلة العربية » - شهرية ، بلغت العدد

ال ٧٧ في شهر جمادى الثانية ١٤٠٤ / آذار (مارس) ١٩٨٤ م من سنتها الثامنة
من مسيرة لم تخل من عثرات .

« والفصل » - وهي شهرية، أكثر رواجاً ، وتَنَوُّعاً - بلغت العدد ٨٧ في
رمضان ١٤٠٤ / حزيران (يونيو) ١٩٨٤ م من سنتها الثامنة . واستطاعت أن تجد
لها سوقاً خارج المملكة قرآء وكتاباً ... وقد يكون لرئيس تحريرها الأديب القاص :
علوي طه الصافي فضل لا ينكر في ذلك ...

وتصدر المجلтан عن قاعدة رسمية دون أن يبدو الوجه الرسمي عليهما ، وهذا
من الحسنات التي تضاف إلى أمثالها .

ثم أَطْلَمَتْ علينا في المتخصصة مجلة نادرة المثال كبيرة الأهمية في عالم « المعجم »
هي مجلة « عالم الكتب » - مجلة متخصصة تصدر أربع مرات في السنة تهتم بالكتاب
وقضاياه . المؤسسان : عبد العزيز الرفاعي وعبد الرحمن المعمر . رئيس التحرير :
يحيى محمود ساعاتي . العدد الأول ، رجب ١٤٠٠ / مايو ١٩٨٠ ومازالت توالي
الصدور ... ونتمنى لها التغلب على العقبات من أجل الدوام ومن أجل الكتاب .

والمجلات كثيرة أسبوعية وشهرية وفصلية ... أذكر منها : « اقرأ » ،
« الخفجي » ، « الشباب » ، الشرق ، المكتبات والمعلومات العربية ، « المنار »
رابطة العالم الإسلامي ، الجيل ، المجلة ، السعودية ، اللقاء العربي ...

وما لا يكاد يُحصى من المجلات المتخصصة التي تصدر عن مؤسسات متخصصة
جداً علمية وإدارية وتجارية ... الخ . والسكك مجلتها ، وللطيران ،
وللوزارات ... الخ . ومن هذه : ابن سينا ، أطلال ، الاقتصاد ، الأمن ، أهلاً
وسهلاً للخطوط الجوية ، البحوث الإسلامية ، التأمينات الاجتماعية ، التجارة ،
تجارة الرياض ، التجارة والصناعة ، التوثيق التربوي ، التوعية الإسلامية ، الجندي
الإسلامي ، حماية الأمن ، الخليج العربي للبحوث العامة ، الدفاع ، الصقور ،

عالم الصناعة ، عالم السعودية (الخطوط الجوية) ، عالم الكتب والمكتبات ، الغرفة التجارية ...

وللمكفوفين حظهم من الصحافة .

ولك أنْ تَعُدَّ نحواً من عشرين مجلة سنوية متخصصة أو إخبارية نصف وشهرية تصدر عن كليات الجامعات .

ولم يكن الطفل منسياً ، وقد رأينا طاهر زنجشيري يصدر في جدة : الروضة ١٣٧٩/١٩٥٩ دامت نحواً من ثمانية أشهر . ثم جرت محاولة أخرى قامت بها مؤسسة عكاظ في جدة إذْ أصدرت « حسن » ١٣٩٥/١٩٧٧ دامت أكثر من ثلاث سنوات وتوقفت . وإن تقف المحاولات وإن يستحيل النجاح ، وتعوض في الوقت الحاضر سلاسل من الكتب تلقى نجاحاً تميّزت بها (تهامة) و (شروق) - ينظر يعقوب اسحق في « عالم الكتب » مج ١ . ع ٤ ، ص ص ٥٥٢ - ٥٥٤ .

وللمرأة مكانها من المجلات (الجديدة) : الضياء مجلة جمعية النهضة النسائية (١٣٩٧/١٩٧٧) ، « والشرقية » ورئيسة تحريرها : سميرة محمد خاشقجي (منذ ١٣٩٨/١٩٧٨) ، « سيلتي » ورئيسة تحريرها الدكتورة فائنة أمين شاكر (منذ ١٤٠١/١٩٨١) .

الجرائد السعودية :

ومع المجلات تأتي الجرائد ، وقد شهد صاحب المعجم السنة الأولى من عمله في الجامعة ١٣٨٣/١٩٦٣ موالد نظام المؤسسات وجرائد المؤسسات وقد بدأت بحماسة ملحوظة :

المدينة المنورة ، البلاد ، عكاظ ، الندوة ، اليمامة (أسبوعية) الرياض ، الجزيرة ، اليوم ، الدعوة (أسبوعية) وزاد العدد بعد ١٣٩٠/١٩٧٠ فكان - فيما كان - المسائية (يومية عن مؤسسة الجزيرة) ، الشرق الأوسط ... ولكنه لم يَزِدْ كثيراً وإنما الذي زاد هو الفن الصحفي في الإخراج وتعدّد الأبواب وتعدّد الصفحات

وزيادة النسخ المطبوعة والملاحق ، ومنها ما كان للجزيرة وللرياض وللإمامة .
وللمحق « اليوم » اسم خاص هو « المرشد » . وتولى حديثاً الأستاذ خليل الفزيع
رئاسة تحرير « اليوم » والأمل به - وهو الأديب القاص المجرب - كبير في نهوضها .
وفي خبر أن إمارة عسير تستعيد لإصدار صحيفة باسم « السراة » ...
والمطابع التي استوردتها المؤسسات .

(ينظر عن المجلات والجرائد كتاب « الدوريات الخليجية » بغداد ، مركز
التوثيق الإعلامي ١٤٠٢/١٩٨٢) .

وفي مقابلة إذاعية جرت (في ٢ رمضان ١٤٠٤) مع الدكتور حمود البدر
- مواليد الزلفي ١٣٥٨ ، وكيل جامعة الملك سعود المتخصص بالصحافة - أورد
ما يشير إلى رضاه عن الصحافة السعودية في ناحية الإخراج (الشكل) ، وما يهيب
بالصحفي السعودي إلى أن يكون أكثر حركة ومتابعة شخصية ... من الاعتماد
على ما يصل إليه جاهزاً وهو وراء مكتبه ، ومن هنا كان التشابه الكبير بين جريدة
وجريدة . ولعله يشير بذلك إلى حاجة من حاجات العمق (المضمون) .

مركز تحقيقات قاتلور علوم ردي

النقد الأدبي :

وما قاله عن مجموع النواحي ... يرد عن الناحية الأدبية - وأولى أن يرد -
وصحيح أن هناك أخبار الأدب والأدباء وتعريف بالصادر ، وملاحظات تريد
أن تكون نقداً ... ولكن الموجود أقل من المطلوب ، ولا يؤهل لوصف الصحافة
الأدبية بالنشاط والابتكار ، وما يرد فيها على أنه نقد [ليس] بالنقد الأدبي ،
والفكر الأدبي - وهو ما يقال في الصحافة العربية كلها .

ومعلوم أن المجال الأول للنقد الأدبي هو الصحافة ، هو ما يكتب على صفحاتها
ثمرة لدراسة الدارس ، وتخصص المتخصص ، وعلم الأستاذ ... على أن يأتي
رصيناً ، موضوعياً ... فيه عمق وتحليل ، ودلالة الذوق السليم ... والهدف
البناء - على كل حال .

ولعل النقد الأدبي في حالة الحاضرة يعمل على أن يحقق شيئاً من ذلك ، ويسعى ،
ويبدعي ، ويتكثر ... ويخطو خطوة ... إلأى أن ناتج الجمع يبقى ضئيلاً ،
ولم يبق عُدْرٌ ولم يَعدْ طفلاً ... ولك أن ترجع بميلاده الحديث إلى ما قبل
العهد السعودي أيام كانت « القبلة » (ومن حَرَّرَ فيها من العرب) و « بريد
الحجاز » والشباب المتوثب الساعي إلى المجد في الإبداع الأدبي والعمل على النهضة
بعواملها ومراعيها .

ثم كان العهد السعودي - وما زال الكلام متصلاً بالشباب الحجازي - فلم
تنقطع الحركة - وإن توقف بعضهم ، ووجد بعضهم موضوعاً جديداً - وظل
الشباب في جِدِّه ، وفي الجِدِّ ينظم الشعر ويحرر المقالة ويبث الفكر الأدبي في المعنى
والمبني كما تلقاه من التجربة العربية إذ يقرأها في الصحف أو في الكتب ...
ولم تكن قليلة الشأن ، ولم يكن تلقفه إياها من دون مناقشة وشخصية وإضافة
تناسب مع الظرف الخاص والبيئة الخاصة مع الشعور العربي العام ... - ولك أن
تقرأ أطرافاً في ذلك في كتابين تكرر ذكرهما هما : « أدب الحجاز » و « وحي
الصحراء » ... وليس وحيداً بل في باهما واكنهما مما يمكن تيسرُهُ والوقوف
عليه ، خصوصاً بعد أن أعيد طبعهما . وفي جريدة « صوت الحجاز » صور أخرى .

لقد خاض الشباب في الموضوعات كلها : اللفظ ، التركيب ، اللعب اللفظي
ومجاربته ، الخواء الفكري والسخرية منه ، السلاسة مع المتانة ، الوطنية ، القومية ،
التجديد ... وربما اختلفوا في جزئيات من التجديد ، وربما اختلف مُجدِّدون
مُتطَرِّفون مع قدماء متطرفين - كما هي طبيعة الأشياء ، وكثيراً ما أذكى
النَّارَ شابٌ مندفع جديداً كـ محمد حسن عواد ... يريد أن يكون الأدب الحجازي
- ثم السعودي - زعيماً يُشار إليه بالبنان ، وقد يكون العقاد قدوة له . والحق
أنه يمثل عناصر كثيرة تؤهله ، وكتابه « خواطر مصرحة » وإن كان (ثورة) ،
وعراكاً ... فإنه ليس بالحدث العابر في حياة فتي مثله ، وحياة حركة فتيّة كالتّي

كانت ... على أن العواد لا يصاح مثلاً في النقد الأدبي لأنه ينطاق من انفعال ويبقى عند الانفعال - ينظر كتابه : « تأملات في الأدب والحياة » (١٣٥١ - ١٣٥٥) .

الأدباء - الشعراء - هم هم التقاد ... ويتبادلون الإطراء مرةً ، والذمّ مراراً ، ويشتدّ التناؤش ، ويتحزّب هذا لهذا وذلك لذلك فيكون العواد في واد مثلاً ، وحمزه شحاته في واد آخر - مثلاً ... ولك أن تسمي ما يجري معارك ، وهي غير قليلة تكون موضوع بحث في الدراسة مع تنبه خاص للتوقع المستعارة ولا غرو أن غابت أسماء من « أدب الحجاز » كان حقها أن تذكر . وأسماء من « وحي الصحراء » كذلك ... وحتى من كتاب عبد السلام طاهر الساسي : « شعراء الحجاز في العصر الحديث » - وتنظر مقدمته .

وكان الأدباء كثيرين ... ولك أن تعيد نظرة إلى هذه الكتب الثلاثة ، ومنهم من كان ينتظر أن يبقى في الرأس (وأذكر مثلاً) عبد الوهاب آثي ... ولكنه انزوى (توفي في جمادى الآخرة ١٤٠٥ مارس ١٩٨٥) .

وأدار آخرون وجوههم عن الأدب إلى الإدارة مرةً ، وإلى التجارة مرات ... ومن كان اسمه يرد مقدماً : عبد اللطيف النشار ، واختفى اسمه .

ويذكر للعواد ثباته الأدبي ... حتى تأسيسه النادي الأدبي بجدة ... حتى الموت

ومن رأي العواد أن خير من يوصف بالناقد الأدبي الحق بين أدباء المملكة هو (عزيز ضياء) - وآسف أني لم أقف على نقد الأستاذ ضياء .

كان الشباب - وهذا شأن الشباب - حركة دائبة وطموحاً ونشاطاً ، وانعكس ذلك على نتائجهم الإبداعي وعلى نتائجهم الفكري والنقدي . ولا بدّ من تطرّف وحماسة ... ومن ثم حدة وتعصب وشدة ... وخروج عن المقصود ودخول فيما ليس من الأدب نفسه إلى أمور شخصية وإلى حزازات خاصة ...

ويبلغ الأمر حدّ التنبيه إلى الخطر المحدق وضرورة التعقّل ... وإذا كانت

« المنهل » قد فتحت صدرها للنقد الأدبي ، وصارت مصدراً لا يستغني باحث عنها .. فإن من مفاخرها قولها : إنها دعت إلى وقف هذه الحملات ، والمهاترات .

وليبيان مكانة « المنهل » من « النقد » نخصص الكتاب الفضي (١٩٦٠/١٣٦٩) فصلاً بعنوان « بحوث النقد » (ص ص ١٣٣ - ١٣٥ - قال : لمجلة المنهل أسلوب خاص في النقد ... ويخال بعض من لا يُدَقِّقُونَ في الأمور أنها خالية في أكثر الأحيان من النَّقد ... ولكن الحقيقة الواقعة أنها مليئة بألوان النقد ... نقد الأدب ... نقد المجتمع ... نقد الحياة ... ولكن بأسلوبها الخاص ... والنقد فيها أخفَى من ديب النمل .. وقد تستعمل (أدب التقية) فيما تريده من نقد ... وهي لا تُجَابِهُ المنقُود بالنقد المرَّ المثير ، وذلك لضمان حسن توجيهه وحسن تنبيهه ... وقد قال الله تعالى لرسوله : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وبُعْدُ بالنقد عن المهاترة التي كثيراً ما رأينا النقد يوصل إليها حتى ولو كان نقداً موضوعياً .. ومع ذلك لم يسلم المنهل من عقارب المهاترات ...)

ثم شرع يستعرض البحوث : (وأول نقد لأثر أدبي حديث في الحجاز كان موجهاً لكتاب « وحي الصخر » (...) فقد أشار المنهل في استعراضه للكتاب إلى أن هناك بعض مقالات وقصائد ومقطوعات لم تَسْمُ إلى أوج الكمال والتضجج في الكتاب . نشر ذلك في العدد الثاني من السنة الأولى الصادر في محرم ١٣٥٦ - مارس ١٩٣٧ .

وثاني نقد فيه كان موجهاً إلى صميم (الأدب الحجازي) يومئذ (...) وثالث نقد وَجَّهَ من المنهل إلى الأدباء (...) بعنوان (أدب النفس وأدب الدرس) (...) ونقد المنهل كبار الأدباء المصريين إبراهيم عبد القادر المازني ، زكي مبارك ، طه حسين) ... ولأول مرة في تاريخ الأدب السعودي الحديث يوضع الأدباء في (قفص الاتهام) .. نشر في ذلك سلسلة مقالات بدّ أن بعدد صفر ١٣٦٥ / يناير ١٩٤٦ بقلم الأستاذ عبدالله عبد الكريم الخطيب .

ويمضي المنهل يستعرض بحوثه ويفخر بموضوعيته وترفعه عن المهاترات ، ويمكن لفخره أن يعكس ظاهرتين غير محمودتين في النَجْو الأدبي ، وفي النقد الأدبي : الذاتية والمهاترات . وعدّ « المنهل » من أولياته (ص ٨٩) : أنه (أول صحيفة وطنية قاومت نزعة أدب المهاترات ، بكل ما أوتيت من جهد قولاً وعملاً حتى أطفئت جمره هذه الجرثومة الويلية أو كادت من صحافتنا وأدبنا (أخيراً) ... فلا يصح إلا الصحيح) .

وأشكّ في أنها ماتت بمعنى الكلمة ولكنها خفّت ، وكادت تُطفئاً ... ويسير تاريخ النقد الأدبي في هذه الطريق ، وهو دليل حيوية - على أية حال . وتبقى الحدة سائدة فيه وكأنها شرط في النقد مع محاولات لتخفيفها أو إخفائها ومع البعد الممكن عن المسائل الشخصية ... ولا أدل على بقاء الشدة من « المرصاد » الذي كتبه إبراهيم هاشم فلالي في نقد أدباء متقدمين في الصدارة مثل : القنديل ، ضياء الدين رجب ، محمد حسن فقي ، حسين سرحان ، حسين عرب ، محمد حسن عواد ... الخ .

ويذكر أن الفلالي اعتدل في الجزء الثاني ومال إلى الثناء ... - ينظر « المرصاد » و « مرصاد المرصاد » و « نقد المرصاد » وقد صدرت في كتاب واحد عن النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٠ في طبعة جديدة .

وتكون صحيفة « الأضواء » بجدة والقائمين عليها صفحة أخرى من تاريخ النقد الأدبي ، وكان على القائمين نُضج وفيهم حيوية ... ولا بُدّ للدارس من وقفة عند عبد الفتاح أبو مدين هذا القادم من ليبيا ومعه ثقافة أخرى ولغة أخرى ... وتقف عند كتاب « أمواج وأنباج » كما تقف عند « المرصاد » والقائمة تطول

ولابد من عودة جادة إلى الصحف ، مع وقفة متأملة لمعرفة أصحاب التواقيع المستعارة ... وإفادة مما صدر متأخراً من مقالات مجموعة في كتب ... وملاحظة أن الشباب الذين صاروا كهولاً - شيوخاً - لم يتوقفوا عن (مناوشة) بعضهم ،

ولم يتوقف الطالعون بعدهم عن مناوشتهم ... والفلاحي مثل من هؤلاء وكان الأذواق تتغير والأماكن تضيق بأهلها ... ولا يلبث المتقدم أن يسوءه المتأخر . وها هو ذا حسين سرحان يكتب في جريدة البلاد السعودية (١٣٦٩) : نفسية جديدة للجيل جديد : (... أتيج لي مرات وكرات بلا قصد مني أن أتصل بفئات من شباب هذا الجيل من موظفين وغير موظفين فلم أشهد فيهم خلة تمدح أو تستطاب (...) جيل جديد يريد أن يساير زمنه ، وأن يسبقه أيضاً في أكثر الأشواط ، بلا أهبة تامة ، ولا استعداد كامل (...) .

وتجد مثل هذا لدى محمد حسن فقي في مقال : « الحالة الأدبية عندنا » - وحي الصحراء ص ص ٤٤٢ - ٤٤٤ : (ألمح بين عدد يسير من الشباب ظاهرة خطيرة على كيان نهضتنا الأدبية الحديثة ، هذه الظاهرة هي حبهم للظهور وتكالبهم على الشهرة الكاذبة ...) .

وما نحن بصدد التاريخ الكامل للحركة ...

ولكني أدركت الصحافة السعودية في ثمانينيات القرن الهجري / ستينيات الميلادي فلم يلفت نظري شيء اسمه النقد الأدبي على وجه صريح ... مع أن الحياة الأدبية قد تطورت وتوسعت وجدت فيها أجيال ولم يبق الحجاز وحده في الحداثة ، فقد لحقت به المناطق الأخرى في الشرقية والوسطى ... والجنوبية وصدرت عنها وفيها الكتب والدواوين ...

ومن يدري فلعله المدوء النسبي الذي أعقب عاصفة من جدال وربما نزاع بين شيوخ وشباب ، وحرص على المكانة وسعي إلى الصعود ، ثم كان شعر عمودي وشعر حر ... وكان غموض وسمات من السريالية والرمزية ...

من يدري ... ؟ (ينظر الفوزان ج ٣) ولكني لم أدرك الماضي حياً ... وربما كان لصدى هذه المذاهب ودلالاتها على الجديد والتجديد أثر في بناء كتاب « شعراء نجد المعاصرون » على اهتمام خاص بالرومانتيكي والواقعي ... والرمزي والسريالي ...

ولا يعدم المتبع دليلاً على (الحساسية) ... وكأنّ نأقذك الأدبي يَمَسُّ كرامتك ، رأيت ذلك في موقف للأستاذ عبدالله بن خميس من الأستاذ عبدالله نور ؛ أما الخلاف على جيم جدة بين الجاسر والأنصاري فكان يخرج بأصحابه عن الهدوء المطلوب منهما والمنتظر من علمهما ... في غير ذلك .

وربما كان الغالب على النقد — إن وُجِدَ — عين الرضا ، والوقوف عند الحسنات ، وتكبير هذه الحسنات أحياناً . ولا تعمد أن تحس أن وراءها صاحب الأثر المنقود نفسه .

يمكنك أن تصف حال النقد عموماً بالهدوء ... وإذا لم تلمح وراء الهدوء تحفراً لخطوة جديدة ونشاطاً جديداً ... فإنك ستقتنع بالخطوة الجديدة عندما تقع والنشاط الجديد عندما يقع ... وإذا كنت قد بعدت عن البلد ... فلك من كتاب الأستاذ يحيى محمود ساعاتي ما يعوضك شيئاً في الاستدلال ، تقصد كتابه : « الأدب العربي في المملكة العربية السعودية — بيلوجرافيا » — الرياض ، دار العلوم ١٣٩٩ / ١٩٧٩ فإنك واجدٌ دليلك في عنوانات المقالات التي ياتقطها ويعيّن تاريخها ومكان نشرها من مجلة أو جريدة أو كتاباً ... وربما وجدت وراء ذلك — مع متابعات متقطعة بعيدة — نُضجاً أكثر ، وعمقاً نسبياً ، وجديداً من الثقافة الواردة من قراءات لأدباء عرب ولترجمات ...

شرع النقد (يلم نفسه) ، ويثبت مكانه ، ويعرب عما يجب أن يكون عليه ، وشرع يتابع الأنواع المتعددة ، وقد يبدو (مُنْتَظَرًا) ... وقد يميل عدد من أصحابه إلى ضرب من التخصص ، وتنال القصة في ذلك نصيباً وافياً ... كما اتّضح فيما نشر الدكتور منصور الحازمي مفرقاً ثم في كتاب فأطمعنا بالزيادة والاستزادة .

وتكون « الصمت والحدران » لسباعي أحمد عثمان دليلاً آخر (لبوادر) النضج والوقفة التأملية وقُلْ : المسؤولية ... وحسناً فعل الأستاذ عثمان إذ ألحق بالطبعة الثالثة من مجموعته ما قيل فيها من كلمات ، ولم يدل في مقدمته القصيرة على الخطوة

المشار إليها في تاريخ النقد وإنّما دلّ كذلك على الخطوة التي تحقّقت في موقف المنقود ، فلم يعد ذلك المستثار المستشاط (كأنه مجروح الكرامة ، النادم على أنه لم يأخذ للأمر أهبيته) . قال : (... والواقع ... أن اهتمام الأقلام الناقدة ، أو غير الناقدة — بمثل هذا الحرص — على العمل الأدبي الذي يطرح في الساحة ... أمرٌ يدل على عافية فكرية ، وصحة أدبية ، في كثير من مثل هذه المناسبات .. وقد حرصت على أن أستفيد من كل كلمة ... معي ، أو ضدي ...) .

ولشهادة الأستاذ عثمان الذي دلالة خاصة فقد كان — وما يزال — محرراً في جريدة المدينة يوم كنت في الرياض ... وعليه فقد رأى ما رأيت — أو رأيت ما رأى — من سير الأحداث في عالم النقد الأدبي ... وقل : عافيته وصحته ... وإذا قرأت كتاب الدكتور منصور إبراهيم الحازمي : « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » قلت : كم نحن بعيدون — أي متقدمون — عن نقد محمد حسن عواد لمرهم التناسي . لقد تقدمنا كثيراً ، فهذا نقد قصصي بمعنى الكلمة .

وحصل في نقد الشعر شيء من هذا ، فقد تطور — كما تطور الشعر — ولكننا نبقى ننتظر كتاباً مناظراً لفن القصة من الدكتور الحازمي (أو من غيره) ! وحال الشعر أكثر عنفاً وأدعى إلى الجدل ! والصراع بين قدماء وجدد يكاد يكون صارخاً . وليس هذا للتعجب ، وإنما لإثبات التحسين في السير أن يكون من سلب مع الإيجاب ، وما ينتظر أن يصدر لدى خلاف — ولا أريد أن أقول : عراك أو صراع — بين جيل وجيل ، وبين شباب يبلغون في مفهوم التجديد درجات مختلفة بداخلها ادعاءً وفراغ ، وسعيٌ لاحتلال مكان ليس لهم ... رغم وجود من يمتلك الثقافة والأصالة ... ومن ثمّ تهدأ الأحوال ويأخذ كل حقه ... ويذهب الزبد جفاءً ، ويبقى ما ينفع الناس ...

لا أشك ...

ولابدّ من أن أذكر الباب الذي فتحه الشيخ الحاسر على مصراعيه في مجلة العرب لنقد المؤلفات والتحقّقات خاصة ما كان منها قائماً على تاريخ المملكة

وأدبها وقبائلها ومواقعها — وعلمه في ذلك عجيب غزير يصعب أو يستحيل أن
يتهيأ لغيره . . . ويلج الباب معه باحثون آخرون .

ثم

الدراسات الأدبية ... وقد رأينا أطرافاً منها ، أي من تقدمها ...

ثم

تحقيق المؤلفات القديمة :

التحقيق ، ولا بد من وقفة خاصة عنده — ولنتذكر أننا هنا نتابع تيارات الأنواع
الأدبية ، وهي أهم ما تقوم عليه الخاتمة لأن البحث الأدبي كان الدافع الأساس إلى
المعجم ... ولأنه — بعد ذلك — يمكن أن يكون مثلاً لغيره من مظاهر الحياة
الفكرية في التأليف والطبع ، مكتفياً من الوقفة عندها بالإشارة للماحة — .

وتأخر التحقيق العلمي في الأدب (واللغة) ولم يدخل في مهمات الأديب
السعودي الأساس ، وكأنه اكتفى بما كان يتهيأ منه في العالم العربي الواسع ،
والعالم الإسلامي ، بعد الذي عملة المستشرقون ومعه .

والشيخ الجاسر سباق في أشياء كثيرة وكان يعنى خصوصاً بشعر يلاقيه خلال
بحثه وقراءاته فيسجله ويُسَوِّبُه ، ويصدره — في العرب تباعاً في مجلته « العرب »
منذ السنة الأولى : عبدالله السلولي ، الصمة القشيري ، جمحدر العكلي ، يزيد بن
الطثرية ، القحيف ، عروة بن أذينة ... — ينظر كتابه « مع الشعراء » .

وقد نال حسن شاذلي فرهود الدكتوراه من جامعة لندن في يولييه ١٩٦٦/١٣٨٦
بتحقيقه كتاب « الإيضاح » لأبي علي الفارسي — مع مقدمة تحليلية — في جزءين .
ثم عاد وعين في قسم اللغة العربية من كلية الآداب من جامعة الرياض (الملك سعود)
فطبع الجزء الأول ، ثم الثاني وبينهما تحقيقات أخرى ، وبعدهما كذلك — ينظر

وحقق الدكتور أحمد محمد الضبيب (●) كتاب « الأمثال » لأبي فيند مؤرّج بن

عمر السدوسي ونشره في العدد الأول من مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (١٣٩٠ / ١٩٧٠) - وله اليوم تحقيق لكتاب الميداني : « مجمع الأمثال » مُعَدَّ للطبع .

ويعني الدكتور حسن محمد باجودة - إلى عنايته بالتفسير والتأمل الحديث في سور من القرآن الكريم - بتحقيق الشعر . فكان له في ذلك أكثر من كتاب ، عرفت منها :

ديوان عبدالله بن رواحة - دراسة وجمع وتحقيق ١٣٩٢/١٩٧٢ - ١١٦ ص .

ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي ١٩٧٣ - ٩٩ ص .

ديوان أحيحة بن الجلاح - دراسة وجمع وتحقيق ١٣٩٩/١٩٧٩ - ٩١ ص .

وأصدر د. محمود حسن زيني : قصيدة البردة لكعب بن زهير ، شرح أبي البركات ابن الأنباري - دراسة وتحقيق ، جدة ، تهامة ١٤٠٠/١٩٨٠ - ١٤٨ ص .

وعني الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل بالقُشَيْرِيَّينَ فجمع شعرهم وأصدره محققاً سنة ١٣٩٨ باسم « شعر أعني قُشَيْرِيَّينَ » .

كما أصدر ديوان الصَّحْمَةِ بن عبدالله القُشَيْرِيَّ ، الرياض ، النادي الأدبي ١٩٨١/١٤٠١ - ١٩٢ ص (بعد أن نشرته مجلة « العرب » س ٢ ص ١٢٧) .

ولعلاء الدين أغا : ديوان أبي النجم العجلي ، صناعة وشرح ، الرياض ، النادي الأدبي ١٩٨١/١٤٠١ - ٢٨٥ ص .

وتوجه الدكتور عبدالله بن عبد الرحيم عسيلان إلى « الحماسة » - حماسة أبي تمام - فحققها وصدرت في الحلقة (١٤) من منشورات المجالس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ٦٢٤ ص .

ثم حقق كتاب « معاني أبيات الحماسة » للحسين بن علي النَّمَرِي (المتوفي سنة ٣٨٥) وقد عوّل فيه على شرح أحمد بن أبي رياش القيسي ، وقد صدر عام ١٤٠٣ (١٩٨٣) عن مطبعة المدني بالقاهرة في ٣٢٨ ص . وله - غير ذلك في التحقيق - : أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز ١٤٠٠ ، الاجتهاد في طلب الجهاد لابن كثير ١٤٠١ .

وصدر عن دار العلوم بالرياض : حسن عيسى أبو ياسين - شعر همدان وأخبارها ١٩٨٣/١٤٠٣ - ٤٥٥ ص .

وتوجه باحث آخر (أردني يعمل في السعودية) هو عبد الحميد محمود المعيني فجمع وحقق أشعار بني تميم في الجاهلية ، بريدة ، نادي القصيم الأدبي ١٤٠٢ / ١٩٨٢ - ٤٩٥ ص . الكتاب في الأصل رسالة دكتوراه .

وللدكتور ناصر بن سعد الرشيد : شعر يزيد بن الطثرية .

وللأستاذ عمر بن محمد سليمان القطان : شعر مهن بن أوس المزني ...

وهناك تحقيقات مهمة في الشعر والأدب وفي غيرهما ، صدرت ، خصوصاً ، عن مراكز البحث في الجامعات ، ومن أساس رسالتها : إحياء التراث .

ونرجو أن يفيد المحقق السعودي من خيرة تجارب سابقيه من عرب وغير عرب ، وأن يحذر أن يقع فيما وقع فيه سابقون من عجلة وتكرار ومن تدليس ومن بذل الجهد فيما لا يستحق الجهد ... وتحقيق المحقق - إنَّ عالم التراث واسع وغني . والمنافسة والسرعة والكسب الحرام لا تجدي صاحبها نفعاً .

وللمحقق السعودي مجال خاص في تراثه القريب .

وقد رأينا الخدمة التي أدّاها سعد بن عبد العزيز الرويشد بجمعه « العقد الثمين من شعر ابن عَنِيَمِينَ » (١٣٧٥) . وعلمنا خبر تحقيق محمد بن سعد بن حسين

ديوان بن بُلَيْهيد ، وهناك من يحقق ديوان سليمان بن سحمان .. ولعبد الرحمن ابن إبراهيم زين العابدين الحفظي (جمع وتحقيق) : شعر آل الحفظي بعسير ومعاصريهم . أبها . النادي الأدبي .

وأحسب أن نشر التراث القريب واجب ... وما زالت آثاره مخطوطة ، وكم من مرة أشير إلى دواوين شعراء المدينة مع بيان مكان وجودها ... ديوان الأسكوبي ، ديوان الزالي ، ديوان البسي ، الحداوي ، محمود شويل ... وشعر برّادة ، والصحاف ، والعُمري وغيرهم ممن يعرفهم الدكتور الفوزان والدكتور عبدالله الحامد - جيداً في سلبهم وإيجابهم .

دواوين شعر لم تنشر :

وأحسنّت دار تهامة إذ أصدرت لحمزة شحاته « الرجولة عماد الخلق الفاضل » بعد أن كدنا نفقد الأمل في الظفر به . وأعمل الدار تعمل على إصدار شعر شحاته مجموعاً في ديوان ، ومقالاته وكلماته النثرية في كتاب ، كما أصدرت له « رفات عقل » ورسائله إلى ابنته - ان تراث حمزة شحاته تراث إبداع وفكر .

وأعلنت تهامة عن قرب صدور ديوان حسين عرب .

وليس من الصحيح أن يبقى شعر الغزاوي - وقد غادر صاحبه الدنيا - من غير جمع وتحقيق (وشرح المناسبات) ، فإنّ هذا الشعر - والشاعر - معلّم من معالم الأدب الحجازي - السعودي في خيره وشره ، وسلبه وإيجابه ، رضيّا أم لم نرض . ولا ندري - وندري - لِمَ لَمْ يُصَدِّرْهُ صاحبه في حياته وهو المتمكن مالاّ وجاهاً ومترلة !

يحدثنا الأستاذ الشاعر محمود عارف في « المنهل » (ذو الحجة ١٤٠٣ / ١٩٨٣) فيقول : إنه (ولد أوائل القرن الرابع عشر بمكة المكرمة ، توفي يوم الاثنين الموافق ١٤٠١ / ٦ / ٢٢ ، ويعتبر طليعة شعراء الجيل الأول ، وأنّ ورثته أهدوا مكتبته إلى (جامعة أم القرى) . وقد ترك زهاء أربعين صندوقاً من الكارتون الورق مكتظة

بالثروة الأدبية وهي عبارة عن آلاف الصفحات مطبوعة بالآلة الكاتبة تحتوي على مختلف الموضوعات في الأدب واللغة والتاريخ والتحقيقات والشذرات ومعظمها قد نشر في الجرائد والمجلات المحلية . ويقال : إن هذه الكنوز الأدبية موجودة حالياً لدى سعادة السيد ياسين علاّف ابن أخت الغزاوي وشقيق الشاعر إبراهيم علاّف (...) وربما يكون حجم الشعر الغزاوي يزيد على عشرة دواوين ضخمة . وحجم النثر يتجاوز اثني عشر مجلداً ...) .

وآن الآوان بلجمع ما تناثر من شعر حمزة شحاته في ديوان جامع مانع ... وجمع دواوين أحمد قنديل ، مع ما لم ينشر له ، في ديوان واحد . وشرع محمد حسن عواد في إصدار ديوان موحد ومضى قبل أن يتم المشروع . وأحسب أن شعر محمد عمر عرب الذي صدر في طبعتين من « الشجرة ذات السياج الشوكي » في حاجة إلى الإكمال والتحقيق .

وفي الحديث الأسبوعي الذي يعده الدكتور محمد بن سعد بن حسين بعنوان « المكتبة السعودية » علمنا أن الأديب عبد الإله جدع - وهو شاعر على النمط الحديث - أصدر المجموعة الشعرية الكاملة لدواوين أبيه : محمد إبراهيم جدع ، وهي خمسة : وحي الشاطيء ...

وأشار الدكتور محمد بن سعد بن حسين إلى المجموعة الكاملة لشعر محمود عارف كذلك - كان الحديث ، الجمعة مساء ١٤٠٥/٣/٧ . ١٩٨٤/١١/٣٠ - والبرنامج نافع في باب المطبوعات السعودية .

وحسناً فعل عبد الوهاب آشي إذ عاد مؤخراً إلى شعره فأصدره في « شوق وشوق » ، وحسناً يفعل حسين عرب إذ (يقوم حالياً بإعداد مجموعة من قصائده ليصدرها في أول ديوان له) حسناً فعل وإن جاء العمل متأخراً - ولد الآشي سنة ١٣٢٣ وتوفي في ١٧ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ ، وولد عرب سنة ١٣٣٨ - والمُهمُّ العمل والجمع والإصدار .

ومهم كذلك الجمع التام ، وتذليل القصائد بتاريخ النشر ومكانه ، والأمانة المطلقة ، ورد التواقيع المستعارة إلى حقيقتها ، ولا خوف في ذلك ولا ضير ، ومن حق الشاعر أن يشرح المواقف ويبين ملابساتها وأن يعترف حيث يكون تناقض وحدث ما لم يعد يرتضيه أو يخشى أن يذكره ... من حقه وواجبه لأنه إن لم يفعل اليوم فسيفسح في حقيقته أو يضيعها ، وإن يعدم - غداً - محققاً مدققاً يظهر المخفى ، كما لا يعدم من يفسر الأشياء بغير ظروفها وحقائقها فيخسر صاحبها من حيث قدر الربح !

ثم لِمَ لَمْ يكمل محمد حسن فقي ما بدأ الخطوة الأولى منه بـ « قدر ... ورجل » ؟ ولم لم يجمع حسين سرحان دواوينه ... في ديوان واحد ؟ !

ويبقى مشروع متكامل يتجرّد له محقق أمين هو « ديوان الشعراء المقلين » من طلائع النهضة الحجازية : محمد صبحي ، محمد صلاح خليدي ، عبد القادر عثمان ، عبد الوهاب النشار ، محمد سرور الصبان ، أحمد العربي ، حسين سراج ، عبد الحق النقشبندى ، عبدالله عمر بلخير ، عبيد مدني ، حامد دمنهوري ، محمد سعيد العامودي (في غير الرباعيات) .

ويمكن أن يتعاون على هذا المشروع المجدي أكثر من محقق ، وقد يؤدي التعاون إلى تعليل علمي للقلة في الشعر ، أو في ترك الشعر ... والتوجه إلى غيره وغير الأدب من شؤون الحياة وسلّم مراقبها . ويحسن المباشرة العاجلة بالعمل لوجود عدد من هؤلاء الشعراء في الأحياء . وقبل أن تضيع الجرائد وتخفى المعالم - ولهم في كتب « أدب الحجاز » ر « وحي الصحراء » و « نفثات من أقلام الشباب الحجازي » مناطق أول .

وفي غير الحجاز شيء مما في الحجاز لشعراء ممن كانوا قبل المملكة ... أو بعدها ، في نجد وفي غير نجد : الشرقية ، الجنوبية ... فأين ديوان حمد الحجي ، ولم لم يجمع شعر محمد العامر الرميح ... ولِمَ لَمْ يصدر مقبل العيسى - ١٣٧٦ - شعره في ديوان ؟ وأين دواوين محمد سعيد الخنيزي ؟ وغيرهم وغيرهم !

والقائمة تطول . ولنا بصدها وإنما هي تذكرة للمحققين ... وللشعراء الأحياء كذلك . والدكتور محمد بن سعد بن حسين عارف بالمخطوطات النجدية ومظان الدواوين منها .

وليست المسألة مسألة الشعر وحده ، وإنما اثر ، والكتب المؤلفة ومازالت مخطوطة هنا وهناك ، عرضة للضياع . وقد ذكر - مثلاً - الفوزان : « الآلى » الثمينة في أعيان شعراء المدينة » و « تراجم علماء جدة » ... ومثلهما مثلهما الكثير في أنحاء المملكة المترامية الأطراف . وللمحققين فيها ندحة عن التنافس أو التدليس . وعليهما واجب لا يقع على من سواهم .

جمع مقالات المقلين من الكتاب :

ونذكرهم بجمع المقالات في كتب بأسماء أصحابها المكثرين ؛ فإذا كانوا مقلتين ألفت بين مجموعة منهم في كتاب واحد . وبعودة عابرة إلى « أدب الحجاز » يجدون عبد الوهاب آثي ، محمد جميل حسن ، حامد كهكي ، عثمان قاضي ، محمد البياري ، محمد علي رضا ، محمد عمر عرب ، عبد الوهاب النشار ، عبدالله فدا ، محمد شيخ حمدي ، محمد سرور الصبان ؛ ونظرة أخرى إلى « وحي الصحراء » : حسين خزندار ، عمر صيرفي ، عبد السلام عمر ، عبد الحميد عنبر ، محمد حسن كتي ...

وتجد أسماء أخرى في المناطق الأخرى من المملكة ... وعلى الأحياء منهم واجب (المبادرة) إلى الجمع والنشر ؛ أمّا الأموات فينبو عنهم المحققون . ولا بُدَّ خلال هذا وذاك من جمع ديوان خاص بالشعر المنشور فيه : أحمد سباعي ، عزيز ضياء ، عبد القدوس الأنصاري ، محمد حسن عواد ، ... ويمكن أن يكون هذا الجمع جزءاً من رسالة للماجستير - أو الدكتوراه - مسبقاً بدراسة الظاهرة في سماتها وعواملها وحياتها وموتها ...

أما الجهد الذي بذله الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي في « ديوان السلطانين »

و « ديوان القاسم ... ابن هُتَيْمَل » فهو مشكور ولكنه ليس التحقيق المطلوب لأنه اختار واختصر وحذف ... وكان غرضه التاريخ أولاً .

وزاول الأدباء - والكتاب - أنواعاً أدبية صغيرة ، تلتقي مرة مع المقالة ومرة مع القصة ، ولا تخلو أحياناً من نكهة شاعرية في حدود ما لصاحبها من قلم سيال وخيال ، وما يمكن أن يسكبه فيها من عاطفة أو تأثير ... زاولوها على قلة ، ولكنها تذكر ، وقد تتقدم مع الزمن .

السيرة الذاتية :

ومن هذه ما يُعَدُّ من السيرة الذاتية (الكلام عن النفس في مسرد حياة صاحبها) ، ويرد هنا اسم الشيخ أحمد سباعي وقد راينا له « أبو زامل » الذي صار في طبعة ثالثة : « أيامي » - وفي تعدد طبعاته ما يدل على أهميته مضموناً وشكلاً . ويعرض الشيخ السباعي أطواراً من حياته مرتبطة بمجتمعها في مؤلفات أخرى وهو جريء نقاد ، ذو قلم وملاحظة ...

ويذكر لمحمد حسن فقي كتاباً مازال مخطوطاً يتحدث فيه عن نفسه وحياته على ما يشبه منهج طه حسين في « الأيام » - يا حبذا لو طُبِع !

وينشر عبد العزيز الربيع : « ذكريات طفل وديع » . ولو عاش لكتب ذكريات الكهل وذكريات الشيخ - وكان لديه الكثير من شؤون الحياة والفكر والعلم والأدب مما يقوله .

ويؤلف كتاب أحمد قنديل « الجبل الذي صار سهلاً » ضرباً من السيرة الذاتية مختلطة تمام الاختلاط بالأحوال الاجتماعية في مرحلة من مراحل حياته ومراحل التاريخ . والجبل هو جبل (كرا) الذي كان يعترض (الصعود والنزول من الطائف وإليه) ثم شقَّ طريقاً عَبَّرَهُ وَذَلَّلَهُ ...

قال المؤلف في صدره : (ليس هذا الذي تقرأ هنا - قصة ولا هو رواية - بالمعنى الحديث ، ولعله .. نوع من .. حكاية مطلقة (...) هو سوانح مبعثرة ..

ذكريات متناثرة .. (..) إنه أوراق خريف تتحات .. وتساقط من شجرة
عمر مكتوب !!) .

وفي هذه الكتب المؤلفة في السيرة الذاتية ما يعرض عرضاً تاريخياً فقط كما
يكتب أي تاريخ دون قصد إلى الإخراج الأدبي لأنّ المهم الأول - والأخير -
هو الحدث .

ومن أوائل ما يذكر في هذا « هذه حياتي » لـ محمد حسن كتيبي (أو حسن محمد
كتيبي) ، وقد أعاده في طبعة ثانية موسعة .

ويدخل في هذا « ذكريات » أحمد علي التي نشرها في المنهل أولاً ثم جمعها في
كتاب - يا حبذا لو زاد فيه . ثم « ذكريات مدرّس » لعبد الرحمن بكر صباغ ...

وفي المذكرات ترد « مذكرات طالب » للدكتور حسن نصيف - وقد طبع
ثلاث مرات دليلاً على اهتمام القارئ به وإشارة إلى طراوة أدبيّة فيه ويمكن أن
يتمّ إلى قائمته ما ألفه محمد عمر توفيق في كتابيه : « أربعون يوماً في المستشفى »
و « من ذكريات مسافر » .

تري أليكتب شيوخ الأدب ذكرياتهم ؟ ولم لا ؟ ، وفيها نفع عميم ، ومتعة
عميمة .

ولا تعدم في طول الصحافة وعرضها ، قديمها وحديثها ، وفيما حصل من
مقالات مجموعة في كتاب من صفحات من الحياة ومن الذكريات ، منها ما عرض
صرفاً ، ومنها ما سعى صاحبه إلى التلويح الأدبي .

كتب الرحلات :

وإذ ذكرنا « من ذكريات مسافر » نذكر للجاسر : « رحلات » ، ولعبدالله
الحقيل « رحلات وذكريات » - طبع مرتين . والكتب - هنا - يغلب عليها
التسجيل ، وقد يسعى صاحبها لاصطياد حادثة تلفت النظر بغرابتها .

ومن أوائل ما يذكر من ثمرات الرحلات كتاب فؤاد شاكر « رحلة الربيع » وقد طبع مرتين ، وكتاب محمد عمر رفيع : « في ربوع عسير » .

ويقوم الشيخ حمد الجاسر كتيبه عن مناطق المملكة ومواقعها على المشاهدة العينية والرحلة إلى المكان نفسه . وفي هذا « التاريخ » تذكر ريادة لمحمد عبدالله بن بليهد في « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » — إلا أن هذه تاريخ وجغرافية ولا حظ يذكر للطابع الأدبي ... في العرض ، وإن كان ذا قيمة أدبية بما أورد فيه من شواهد الشعر وما يبين لما ورد من هذه الشواهد من مواقع مازالت قائمة أو درست .

الرسائل الأدبية :

و « الرسائل » ضرب آخر يُعنى بها الدارس الأدبي — فضلاً عن المؤلف المعجمي والباحث . والمقصود بها ما يتبادله أهل القلم من رسالة أو جواب رسالة تُكوّن مصدرأ لا يستهان به في الدراسة وقد عني الغربيون بجمعها في كتب خاصة . أما إذا صدرت الرسائل عن أديب يسعى إلى التلوين الأدبي فإنها تكتسب أهمية خاصة في الأدب — الإنشائي — الإبداعي ...

ولا شك في أن لأدباء السعودية حظاً وافراً من هذه وهذه ... ولكن ليس لدينا منها على هيئة كتاب إلا « رسائل لحمزة شحاته » كان يكتبها إلى ابنته أصدرتها تهامة — بعد وفاته — بعنوان « إلى ابنتي شيرين » — وقام حمزة شحاته قلم أديب يجمع الرأي إلى عمق لغة عرضه .. ووصف للأحوال والأشياء والعواطف ... مما يدخله في النوع الأدبي .

الفلسفة في كتابات الأدباء :

وفي عودة متأخرة — لا بُدَّ منها — إلى كلمة (الفلسفة) نلاحظ أن الكلمة لم تكن غريبة عن السن — وأقلام — الرعيل الأول والثاني من أدباء الحجاز وهم يغترفون من الكتب — والمجلات — الواردة إليهم من مصر والشام وغيرهما ، وحسبك أن يكون من ذلك مجلة « المقتطف » فضلاً عما كان يرد عليهم من أدباء العرب ومفكرهم ، وما كان يتهياً لهم لدى سفر أو معرفة للغة أجنبية .

وقد يكون محمد حسن فقي أكثر الأدباء استعمالاً للكلمة – غير ما يغلب من روحها على شعره – ولو رجعت إليه في « وحي الصحراء » لرأيت له قصيدة بعنوان « فلسفة الطيور » و « كرامة صغيرة في فلسفة التشريع » .

وصدرت له حلقة في سلسلة المكتبة الصغيرة في يولييه ١٩٨٠ / شعبان ١٤٠٠ فإذا عنوانها « فيلسوف » وإذا به يقول في تقديمها : (... مجموعة ، مما استطعت العثور عليه من مقالات كنت أنشرها في الصحف المحلية تحت عنوان (فيلسوف) .. وإن كنت لم أستطع أن استخرج منها إلا القليل ..

ولقد كنتُ بدأتُ في كتابة هذه المقالات منذ أكثر من عشرين عاماً بجريدة « البلاد » (...) ومنذ سنوات قلائل ، طلب مني الكثيرون من أصدقائي ، وقراء المقالات الأقدمين – طلبوا إليّ بإلحاح ، أن أعادَ كتابتها ، فاستجبتُ لرغبتهم وعاودت كتابتها ...) .

ولا تعمد أدلة أخرى عند كتاب آخرين ... والذي قرأه حسين سرحان كثير ... ومثله معاصروه .

ثم تتوالى الكتب المصرية (خاصة) بين مترجمة أو مؤلفة أو معدة عن أصول غربية ... وتصل إلى المملكة دون شك ، ومن ذلك : « قصة الفلسفة – اليونانية » ، « قصة الفلسفة الحديثة » ... مؤلفات عبد الرحمن بدوي ... الأهواني ... « الفلسفة الإسلامية » لديبوير ... مؤلفات في الحضارة الإسلامية في طليعتها آثار أحمد أمين ، وفي الفلسفة الإسلامية ... غير ما نشر وحقق من آثار الفلاسفة المساهمين بمن فيهم ابن رشد ... و « التّهافت » و « تهافت التهافت » .

تصل هذه الكتب بأساليب شتى ، ويقبل عليها القراء ، ومن القراء من يستطيعها أكثر من غيرها ... فالإنسان الواثق من نفسه – ومن دينه – لا يخشى الاطلاع وإشباع نهيمه إلى المعرفة – ولا أقول : كل ممنوع متبوع ، فما علمتُ منعاً لهذه الكتب . وحين ألفت الشيخ عبدالله ابن خميس كتابه « راشد

الحلاوي « لم ير ما يمنع من دراسة ما سماه : فاسفته . ولم يكن الحلاوي فيلسوفاً ، وإنما المهم استعمال الكلمة (الفاسفة) .

وفي الأدباء – والمفكرين – من يجيد لغةً أجنبية ، ومنهم من نهياً له أن يدرس خارج المملكة ، وفي جامعات حديثة ... منها الجامعة الأمريكية ببيروت ، مثل أحمد عبد الجبار ، حسين سراج ... ولا تسلم عن عزيز ضياء فنظرة واحدة إلى كتابه « جسور إلى القمة » وتلتقي بديكارت ، ورؤوسو والدوس هكسلي ... وابن سينا والفارابي ... ناهيك عن عشرات ومئات وألوف الشباب الذين درسوا مبتعثين أو على حسابهم في أوربة وأمريكة ... ونخرج بهم إلى ما هو أوسع من الحجاز ، إلى المناطق كلها ...

وأبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري – وقد رأيناه ورأينا اسم : محمد بن عمر – ظاهرة خاصة في موضوع الفاسفة ، في الفقه إن أردته فاسفة ، وفي الفلسفة الفلسفة إن خرجت إليها من الفقه والفكر ، وله في ذلك : « ديكارت بين الشك واليقين » ، الرياض ، مطابع الشرق الأوسط ١٣٩١ – ٥٦ ؛ وله (بالاشتراك) : « الفناء الباقي في رباعيات الخيام وغرامه أو فاسفة الكوز » ١٣٩٨ ، غير « النظرات اللاهثة » ، و « النظرات اللاهية » .

ولعل أبرز ما تبرز به الظاهرة كتابه « ان تاحد » (١٩٨٣/١٤٠٣) – وقد رأيناه – وقد كان مقالات موزعة في الجرائد قبل عشرين سنة . وجعل مداره إذ جمعه : الإيمان والإلحاد . وقال : (لم يكن الغرض من هذا السفر ملاحقة شُبّه الملاحدة ، وإنما كان الغرض تحرير العقل من أغاليط الفكر وإقناع الناس بثمرّة الإيمان بالله وبشرعه .

ولهذا كان العنوان : « ان تاحد » ، تفاؤلاً وثقة باستجابة العقول المنصفة لموجبات الضرورات الفكرية) .

تقرأ في الكتاب فتلتقي بأرسطو ، وهنوم ، ومل ، وباركلي ، ومالبرانش ،
وسارتر ، الديالكتيك ...

يدهشك بسعة المعرفة ، وغزارة المقروء ويثير عجبك للثقة بالنفس وبالعقيدة
التي لا يخشى عليها أن يُزلزلها أيُّ فيلسوف ، فضلاً عن انتفاعه أحياناً بما كان
(للمؤمنين) منهم من أدلة ...

وإذا كان ديكارت لديه فيلسوفاً كبيراً ، فإنه لا يلبث أن يعصره ويضيق
عليه الخناق على مرأى منك ومسمع ، صدقته أم لم تصدقه . وهنا ، هنا سرُّ
أسلوبه وخروجه من التعليم إلى التأثير الأدبي بالمقالة : الاستفزاز يبدو وكأنه مع
الفيلسوف حتى في مفارقتها العقيدة ، وما هي إلا أن يضرب عنه فإذا هو في صميم
العقيدة ، وأنت تتابعه مجتذباً إليك بالإثارة العقلية والانفعال الذهني ... وطمعاً
بآخر المطاف .

من أين لأبي عبد الرحمن ابن عقيل هذه الفلاسفة (الغربية) ؟ لقد قرأها مترجمة
ومُعَدَّةٌ ، مقالات وكتباً ، وكان عثمان أمين دلياله البارز إلى ديكارت ... لقد قرأ
أكثر مما تتصوّر ... ونأسف أنه لم يكن ذا علم بلغة أوربية .

لقد قال في كتابه ما قال على النهج المناسب لتركيبه العقلي ... وعَدَّلَ تسمية
كتابته بالذي رأيناه ، ولو أردنا أن ن تدخل ونوسع لقلنا إن « ان تاحد » تعني إنك
لن تُلحِدَ إذا قرأتَ الفلاسفة ... حتى ما كان فيها من فاسفة الملاحدين والماديين .

ولم يكن مرتاحاً من المعرّي ...

ولعلك واجدٌ خلاصة موقفه من الفلسفة في مطلع مقالته (ص ٤٧) : الفكر
المعتزلي حيث قال : (لا يزال شعور العامة الإيمان الشديد بعدم جدوى الفلسفة
(...) وفلاسفة المسلمين الذين دخلوها من أوسع أبوابها (...) فإذا كان رأيي
أن في الفلسفة خيراً كثيراً وكنتُ شديد الإيمان بجدواها فإنما أصطدم بشعور شعبيّ

بَيِّنَ أَن هَذَا لَا يَهْمِي إِذَا كَانَتْ بَرَاهِينِي عَلَى حُدُودِ الْفَلَسَفَةِ - ضَرُورِيَّةً فَأُولَ مَا أَسْتَنِدُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى أَنَّ الْفَلَسَفَةَ الْحَدِيثَةَ دَفَعَتْ بِأُورْبَا إِلَى حَيَاةٍ عِلْمِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ ، فَالْمَذْهَبُ التَّجْرِبِيُّ فَتَقَى آفَاقاً بَعِيدَةً فِي مَضْمَارِ الْإِخْتِرَاعَاتِ وَالْمَصْنُوعَاتِ وَالطَّبِّ وَالتَّشْرِيحِ وَالْإِتْجَاهَاتِ الْعَقْلِيَّةِ ، مُحْتَصِتِ الْكَثِيرِ مِنَ الْخِرَافَاتِ فِي الْأَدَبِ وَالتَّصَوُّرَاتِ وَمُرُوءِيَّاتِ التَّارِيخِ وَإِنْ لِلْمَنْهَاجِ الدِّيكَارْتِيَّ يَدَأُ بِيَضَاءٍ فِي التَّأَلِيفِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ ، الَّتِي اتَّسَمَتْ بِطَوَاعِ التَّجَرُّدِ وَالِاسْتِفَاضَةِ فِي الْبَحْثِ وَالِارْتِبَاطِ بِالْمَوْضُوعِ وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّنْسِيقِ وَالْأَصَالَةِ الْفِكْرِيَّةِ . وَمَا الْفُنُونُ النَّظَرِيَّةُ الْحَدِيدَةُ وَالتَّنْظِيمَاتُ الْإِدَارِيَّةُ وَالِاِقْتِسَادِيَّةُ الَّتِي تَعِيشُهَا الدُّوَلُ الرَّاقِيَّةُ الْيَوْمَ إِلَّا نَتَاجُ فِكْرِ فِلَسْفِي عَتِيدٍ .

وَالْبَرَهَانُ الضَّرُورِيُّ الْآخَرُ الَّذِي أُعْتَمِدَ عَلَيْهِ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْفَلَسَفَةِ أَنَّ الَّذِينَ حَمَلُوا عَلَيْهَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا لَمْ يَقِفُوا عَلَى ثَنِيَّتِهِمْ إِلَّا بِتَعْقِيدَاتٍ فِلَسْفِيَّةٍ فَالتَّفَلُّسُفُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ . قَالَ أَرِسْطُو - حَسْبَمَا نَقَلَ عَنْهُ الْمُرْجُمُونَ - : إِذَا لَزِمَ التَّفَلُّسُفُ وَجِبَ أَنْ نَتَّفَلُّسَفَ ، وَإِذَا لَمْ يَلْزَمْ التَّفَلُّسُفُ وَجِبَ أَيْضًا أَنْ نَتَفَلِّسَ حَتَّى نُنْثِبَ عَدَمَ لَزُومِ التَّفَلُّسُفِ .

وَلَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ عَقِيلِ الظَّاهِرِيِّ حَسَابٌ خَاصٌّ مَعَ الْقَصِيمِيِّ - وَقَدْ مَرَّ مَعْنَا فِي « الْمَعْجَمِ » أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ النَّجْدِيُّ ، وَأَنَّهُ حِينَ أَلَّفَ « هَذِي هِيَ الْأَغْلَالُ » لَقِبَ بِمَلْحَدِ الْقَصِيمِ - إِنَّ الْقَصِيمِيَّ بِإِخْتِصَارِ نَجْدِيٍّ يَتَفَلِّسُفُ وَكَأَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَتَّبِعُ مَعَهُ مَقُولَةَ أَرِسْطُو .

لَقَدْ أَطَالَ حَسَابُهُ مَعَ الْقَصِيمِيِّ بَدَأَ مِنْ ص ٢٨٣ . وَجَاءَ فِي التَّوْطِئَةِ (ص ٢٨٤) : (مِنْذُ نَشَرِ الْقَصِيمِيِّ) كِتَابُهُ « الْعَالَمُ لَيْسَ عَقْلًا » يَبْرَهَنُ فِيهِ عَلَى أَنَّ إِلَهَهُ الْمَادَّةُ الْعَمِيَاءُ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِخُطَابٍ مَفْتُوحٍ إِلَى الْمَادَّةِ ، نَشَرَ فِي كِتَابِهِ « كَبْرِيَاءُ التَّارِيخِ فِي مَآزِقِ » ثُمَّ أَخَذَ يَهْدِمُ أَدْلَةَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ بِقَدَمِ كِتَابِهِ « هَذَا الْكَوْنُ مَا ضَمِيرُهُ » ؟ ... أَخَذَ شَعُورَهُ يَتَكَاثَّرُ بِخُطُورَةِ الْأَمْرِ .

وَفِي ص ٣٠١ (بَعْدَ كِتَابِ « هَذِي هِيَ الْأَغْلَالُ » اسْتَقَرَّ فِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ

القصيمي في المجموعة التالية من كُتُبِهِ : « الإنسان يعصي لهذا يصنع الحضارات »
« فرعون يكتب سفر الوجود » . « كبرياء التاريخ في مأزق » . « هذا الكون
ما ضميره » ؟ « أيها العار إن المجد لك » . « العرب ظاهرة صوتية » . « العالم ليس
عقلاً » أو صحراء بلا أبعاد . « عاشق لعار التاريخ » . « أيها العقل من رآك » ...
ولي مع هذه الكتب وقفة ... وفي ليلة ١٣/١٠/١٩٧٤ أهدى إليّ المؤلف جملة من
كتبه بمتزلي في (جاردن سيتي بالقاهرة ...) .

وفي ص ٣٠٢ : (ولقد قرأت كتب القصيمي بعد ذلك بتمعن فلم أجد فكراً
جديداً متحرراً من بصمات أساطين الفكر والإلحاد . وإنما وجدت طراوة أسلوب –
مع ضعف اللغة – والقدرة على المغالطة والإثارة) .

وبعد فأبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ظاهرة تكاد تكون خاصة فريدة
وكنت ذكرت في صلب « المعجم » أنه يتشبه بأبي تراب الظاهري ودافعي إلى ذلك
الغرابية عموماً ، والإغراب اللغوي خصوصاً ، أما هنا فأقول : إن الفرق بين
الأدبيين الظاهريين كبير ، ويبدو لنا أن أبا عبد الرحمن أوسع أفقاً وعلماً ، وأعمق
في أشياء لم يطرقها أبو تراب ، وربما في أشياء طرّقها أبو تراب ومنها الظاهرية
ممثلة بابن حزم ... وأبو عبد الرحمن أصغر سنّاً ، وبمناخه الابن من أبي تراب .

ومع أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ونحن في الفقه والفلسفة نقف عند
« القائمة » التي مر ذكرها بالرسائل فنجد في رسائل الماجستير : أسس النظرية
الماركسية – عرض ونقد في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود
(١٤٠٠) ؛ والدين والفلسفة المادية في كلية الشريعة بمكة المكرمة (١٣٩٦) ؛
والمدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية في كلية أصول الدين أيضاً (١٣٩٩) .

ولابد من أن يكون قد جد بعد الـ ١٤٠٠ جديد ، ويكون الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل – على هذا – جزءاً من حركة عامة قد يعد هو طليعتها ... ورائدها .

ويسلمنا أبو عبد الرحمن إلى الفلسفة بمعناها العام ، وإلى ما اشتقته الحضارة

الإنسانية منها على مرّ الزمن ، ومن ذلك : علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الاقتصاد ، علم السياسة ... التربية ...

وإذا جئنا إلى هذه (العلوم) على أنها فلسفة أو من الفلسفة رأينا آثارها في المملكة لدى مُبْتَعَثِينَ أو دارسين على حسابهم في أوربة وأمريكة وبعض من البلاد العربية ... وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - نظرت إلى السعوديين أساتذة في الجامعات وفي المؤسسات ، ونظرت إليهم في المؤلفين ، وأنهم ليجدون مكانهم في « معجم للمطبوعات » يبدأ بعد ١٣٩٠/١٩٧٠ وكنا تَشَبَّهْنَا تَشَبُّهًا بالدكتور حسن علي خفاجي في علم الاجتماع ، ثم لم يَلْتَبَثْ أن أَلْفَ وأصدر وثنى عليه الدكتور عبدالله الحريجي ... ولا بُدَّ مَنْ مُثَلَّثٍ ومربّع ... ومخمسة ومسدسة ...

والأهم في تطور وازدياد ... ومعها الكيمياء والفيزياء والطب والصيدة ... والطاقة ... والفلك ...

نكتفي - هنا - بهذا القدر من الخطوط العريضة للمسيرة الأدبية وبما تيسر لنا من موادها على القرب والبعد ، لنقول كلمة - على وجه الاختصار - عن الجوانب الأخرى من الحياة العلمية ومطبوعاتها ، وربما كانت خطوط من المسيرة الأدبية تفسر أموراً من الجوانب الأخرى وتلقي وإياها ، وتسير معها متوازية ، متلاصقة أحياناً ... ضمن تطور جملة الحياة الحديثة في العصر الحديث .

التاريخ وعلم الأنساب :

وأقرب ما يذكر إلى الأدب : التاريخ ، وإذا بدأنا بنجد ، ونذكرنا النواة الحية في أديها : شعر النبط ، ذكرنا أن النواة الحية من التاريخ تركزت في الأنساب ؛ والعناية بالنسب جزء لا يتجزأ من الحياة ما سادت القبيلة ، ولصق الناس بأرض معينة محدودة ، لا يكادون يبرحونها فيبعدون إلى الاختلاط بغيرهم ويزدوبون في مجتمع حضري للمدن ... ولا يكادون يفتحون أبوابهم لغريب ... ومع النسب نسبة يحفظون ويروون ويُسْتَشْهَدُ بهم . ويظل النسب الهاجس الأول مع الإسلام

ومع ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ لأنه لدى أهله ليس نقيضاً للإيمان أو غفلة عن الإسلام ؛ ولكنها التقاليد والأعراف وطبيعة العيش .

ويمكن نقل علم النسابة من الحافظة إلى الورق ، ولا تعدم في المخطوطات ما يدل على هذا - وستطبع هذه المخطوطات وطبع الكثير منها الذي رأيته في « المعجم » باسم التاريخ .

والنسب ذو صلة بالتاريخ ... فإذا قامت دَعْوَةُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت هي وما صاحبها من اتفاق مع آل سعود ، وما تخللها من غزوات ... عاملاً للتاريخ قد يقف عندها ويتوسع فيها ويزيد عليها ومن هذا وذاك كانت المخطوطات التي خلفها الفاخري ، وابن غنام ، وابن بشر ، وابن عيسى ... بانتظار من يتنبه إليها ، وينشرها كيفما اتفق أو محققة ، وهذا ما حصل على مرّ الزمن خلال الحدّين المحدودَيْنِ للمعجم وبعد الحدّ الثاني فيما يخص الفاخري ، وما زال العمل مستمراً وربما عثر على مخطوطات عُدَّتْ في المفقودات ، وربما صرّحت الأُسُرُ التي تدخر منها ما تدخر وراثته فقدّمتهما من يهتم أمرها خاصة بعد أن يطمئنوا إلى ما تكسبهم من مجد ... ولا تفضّح أسراراً لقوم لا يناسب فضحهم في أبنائهم ...

النَّسَبُ وتأريخ المنطقة خلاله ، وتأريخ الدعوة ... أولئك شاغِلُ أهل نجد .

وشغِلُ أهل الحجاز بتاريخ الإسلام والنبوة والخلفاء ، وكان من أبرز المؤرخين قبل ١٣٤٤/١٩٢٥ ودخلوا المعجم تمهيداً حينئذٍ ، وأصلاً حيناً لدخول طبع كتبه في منطوق المعجم : أحمد زيني دحلان . وتحد في (التمهيد) أسماء أخرى ...

ثم جاءت التجربة العلمية في النّشر على يد أديب - باحث فلسطيني هو رشدي مَلْحَسْ إذْ حقق - وجوّد في التحقيق - : « تاريخ مكة » للأزرق .

وتقدم في التأليف أحمد سباعي فأحسن في « تاريخ مكة » وقد تكرر طبعه

دلالة على مكانته ، ولكن المؤلف لم يستطع السير بتاريخ مكة فدخل العهد الذي عاصره جيداً وعاشه ولو استطاع لسد فراغاً كبيراً ، حتى لو عرضه بهدوء ولباقة لما يعرف عن المؤلف من أمانة وثقة بالرأي والنفس مع تمكن من القلم وقدرة على اللغة - فهو أديب شيخ في الأدباء كما هو شيخ في التاريخ ...

وألّف حسين محمد نصيف « ماضي الحجاز وحاضره » فأصدر جزءاً ولم يصدر الثاني .

ولو ألّف والده الشيخ محمد حسين نصيف - وهو الذي عاصر العهدين على جانب كبير من النفوذ والوجاهة - لأدى خدمة كبيرة . ولكن المطلب صعب ... وفي مذكراته ومقالاته بعض الغنى .

وياحبذا لو نشرت مذكرات ظلت معلومة - أو مجهولة - منها ما كان لخير الدين الزركلي ، ومنها لفؤاد الخطيب ، ولا بد من أن يكون لغيرهما ما لهما .

وخدم التاريخ المعاصر آخرون ذكر منهم المعجم : فؤاد حمزة (لبناني الأصل) ، وحافظ وهبه (مصري الأصل) ومحمد عمر رفيع . وفؤاد شاكر ، وعبد القدوس الأنصاري ، وأحمد عبد الغفور عطار ... وخير الدين الزركلي (سوري الأصل) - وكلهم عاصر الملك عبد العزيز وأعجب به غاية الإعجاب ، ومنهم من عاش في معيته .

ويرد في المؤلفين حسين باسلامة وأمين مدني (توفي في ١٦ شعبان سنة ١٤٠٤) (١٧ مايو ١٩٨٤م) ، محمد عمر توفيق ، محمد سعيد العامودي ... عمر عبد الجبار ...

ونذكر بصدد التحقيق « إعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام » لعبد الكريم القطبي بتحقيق أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي . ونحيل إلى ما ذكرنا من كتب التاريخ مقترنة بأسماء المكتبات ولا سيما المكتبة العلمية بالمدينة ، وإن كان

الذي يصدر عن المكتبات نشرًا فقط ، وطبعاً لمخطوط أو طبعاً لمطبوع ولا نبحت وراء ذلك عن تحقيق علمي - ولا بُدَّ من الانتظار ...

ولا بُدَّ من نصٍّ على اسم أمين مدني وقد رأينا عزمه وجهده في « موسوعة العرب في أحقاب التاريخ » وجرى فيها شوطاً ، ولكن المشروع ضيخم ، وقد توفي في شهر شعبان ١٤٠٤ دون أن يتمه تاركاً قسماً مما أنجزه مخطوطاً ينتظر من يتصدى لطبعه - ولد أمين عبدالله مدني بالمدينة المنورة ١٣٣٠ هـ .

ولو عُدْنَا إلى تَجَدُّد ، ولم تَعُدْ نجد في معزل لوجدنا الشيخ حمد الجاسر عالماً في التاريخ - تاريخ العرب كله ، والجزيرة كلها - فهو علامتها ، وتاريخ نجد بخاصة ، ومن آثار عمق التَّجَدُّد فيه هذه العناية التي لا تنفك بالنسب ، ولعلها ازدادت و (تفاقمت) في السنوات الأخيرة استجابة لاهتمام القاريء النجدي بها ، وغير القاريء كذلك . ثم لا بُدَّ من تسجيل الحقائق قبل أن تزول شواهدنا .

والجاسر (مدرسة) إلى ذلك في التحقيق القائم على العام الرصين الواسع والدراية العجيبة بفك رموز المخطوط ، ومن ثم نقل علم المخطوط إلى المطبعة الحديثة وقد زال من اللبس وصحح الخطأ ... من غير لغو في الحواشي ، وادعاء لما لم يكن . بعد سعي طويل في البحث عن المخطوطات .

ولكن الشيخ الجاسر شُغِلَ بما قبل المعاصر عن المعاصر ، مع ثراء حياته ، وعمق علاقاته ونفاذ آرائه - أتراه يحتفظ بمذكرات يقول فيها كل شيء ، مما يرضي أناساً ويسخط آخرين ، ولكنه يَرْضِي الحقيقة على كل حال ، مع التحليل الذي يعرفه امرؤ عَرَكَ الأيام وخَبَرَ الأحداث عن قرب ، وسمع الروايات عن أفواه طاهرة ... ورائدُهُ الحقيقة .

وشغله « النسب » في الأيام الأخيرة ، ولقي كتابه « أنساب الأسر المتحضرة في نجد » نجاحاً لم يكن يتوقعه ، وفي ذلك دليل على أن مسألة النسب مازالت حَيَّةً .

والقائمة تطول ونذكر - مع هذا - مؤرخ جازان محمد بن أحمد العقيلي ، ومؤرخ عسير هاشم سعيد النعمي . ولسنا بصدد الفهرسة قدراً ما تكون بصدد النقاط الأساس والمراحل الرئيسة أو ما أشرنا إليه من الخطوط العريضة ...

وتقدم في البحث التاريخي جيل جديد تلمذ في العموم على الجيل السابق وانعكست عليه اهتماماته ، ولكنه اختلف - قليلاً أو كثيراً - بعد ذلك بدراسته الجامعية خارج المملكة وفي انكلترا خصوصاً ...

ويأتي في الطليعة الدكتور عبد العزيز الخويطر وفي قسم من رسالته تأليف ، وفي قسم تحقيق - وقد طبعا متفرقين متباعدين . الثاني منهما : « الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر » . والملاحظ أنه غير مركز تخصصه إلى تاريخ المملكة ...

ثم عاصرنا من الزملاء الدكتور عبد الرحمن الطيّب الأنصاري وقد عاد بالدكتوراه من جامعة ليدز ١٣٨٦/١٩٦٦ « دراسة نقدية ومقارنة لأسماء الأعلام اللحيانية » وأبدى من النشاط في البحث والكشف درجة عالية ، وما زال كذلك .

وكان عبدالله بن صالح العثيمين آنذاك - فيما أذكر - قد أنهى دراسته في قسم التاريخ من كلية الآداب بجامعة الرياض مستعداً لبعثته إلى انكلترا ، وقد وفّاه حقها وحصل على الدكتوراه من جامعة أدنبره ١٣٩٢/١٩٧٢ : « محمد بن عبد الوهاب وأعماله » . وعاد الدكتور عثيمين نشطاً وأثنى الجاسر على جهوده مراراً تأليفاً وتحقيقاً ، وقد ترجم الدكتور رسالته ونشرها ، وهو الآن في الطليعة من المختصين وفي المقدمة من النشيطين .

ومن الفضلاء الذين عادوا أيام كنا نعمل في الجامعة : الدكتور محمد سعيد الشعفي برسالته : « الدولة السعودية الأولى » - جامعة ليدز ١٣٨٧/١٩٦٧ .

ثم عاد الدكتور عبدالله عقيل العنقاوي برسالته : « تنظيمات الحج ودوره في عصر الماليك » جامعة كمبردج ١٣٨٨/١٩٦٨ ، ثم عاد الدكتور صالح محمد العمرو برسالته : « الحجاز تحت الحكم العثماني ١٨٦٩ - ١٩١٤ » - جامعة ليدز ١٩٧٤/١٣٩٤ .

هؤلاء (بعض) من وصل إلينا خبرهم ، وغيرهم كثيرون - ويبقى العمل والنشاط في النشر والتأليف ، وفي ترجمة (الرسائل) في الأقل .

ويختلط التاريخ بالمواقع الجغرافية وبلغ في ذلك الجاسر المبلغ العجيب المدهش ، ويذكر في ذلك من الباحثين الكبار عبد القدوس الأنصاري ... وعبدالله بن خميس ... واختار الأستاذ عبدالله الناصر الوهيبي - الأمين العام لجامعة الرياض في أيامنا - هذا الميدان موضوعاً لدراسته في انكلترا للدكتوراه ، وقد حصل عليها من جامعة لندن في يونيو ١٩٦٩/١٣٨٩ وعاد برسالته : « شمال الحجاز في كتابات الجغرافيين العرب ٨٠٠ - ١١٥٠ م » وبقي لنا أن ينقلها إلى العربية ويزيد بما هو أهله وماله من ذِهنٍ وقلم ...

وعدد العائدين المتخصصين بالتاريخ في تزايد ، وفتتح لهم الجامعات صدورهم وتحاول أن تُغريهم - كما تُغري أهل الاختصاصات الأخرى لتجذبهم من سحر الإدارة ...

وللتاريخ نصيبه الوافي من المجلات ، وتكون مجلتا « المنهل » و « العرب » ضرورياً من التاريخ ومن البحث التاريخي والنقد التاريخي فهما في رأس المراجع بل المصادر الحديثة ... وقلْتُ أكثر من مرة: إن « العرب » ليست مجلة كما هي المجلة في أذهان الناس من شرقيين وغربيين ، إنها نسيجٌ خاصٌ ، إنها مجموعة كتب ، وقل: مجلدات من كتاب واحدٍ ضخم في تاريخ الجزيرة ومواقعها وأنسابها ... وتصويب لفضائح وقع فيها الباحثون الآخرون والمحققون ... وقلناها - وأكثر - بقلم واحد ... لعلامة واحد .

ثم جاءت - بعد الحد المحدود للمعجم - « الدارة » يبحثها الرصينة ...
ولا تنسَ المجلات الجامعية ... بل إن داراً للنشر هي « دار المريح » في الرياض
(ص.ب ١٠٧٢) تولت نشر « العصور » وهي (مجلة نصف سنوية تُعنى بالتاريخ
والآثار والحضارة ... تصدر عن مكتبها في لندن) .

مع ملاحظة عامة ، هي أن المؤرخين ومحققى التاريخ وأساتذة التاريخ عُنُوا
أكثر ما عُنُوا - بالتاريخ الماضي ، والماضي القريب على وجه الخصوص وكلما
أرخوا الأحداث التي يعيشونها والمجتمع الذي يتطور أمام أعينهم ... على حين كان
السلف النجدي يؤرخ زمنه ، والساف الحجازي همّ بذلك وكاد ... وكأنّ
المؤرخين المعاصرين - على أصنافهم - تخلوا عن مهمة تاريخ عصرهم للصحافة
اليومية ولوزارة الإعلام . ومن يدري فلعلهم يؤلفون ولا ينشرون ولعلهم يكتبون
مذكراتهم التي ستستحيل غداً تاريخاً ...

قلتُ : أريد أن أقِفَ عند التاريخ طويلاً في تطوّر التأليف فيه والدرس
والتحقيق ... فلنذكر للدكتور الأنصاري فضله - عابرين - في التنقيب وما
أقام للتاريخ من جمعية ... ومتحف ... وجهدهُ في اكتشاف آثار (الفأو)
مع إحالة في أمور الآثار والتنقيب على وزارة المعارف .

ولننشر إلى أن أبا عبد الرحمن ابن عقيل لم يبق بمنأى ، فطفق ينشر سلسلة
دراسات ونصوص في البيوتات العربية الحديثة - « آل الحرباء في التاريخ والأدب » .
و « العجمان » و « أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء » .

وتنبّه الشيخ محمد علي مغربي - وهو أديب معدود في جيل رائد غاب عنا
مُدّة ثم عاد - إلى جانب من التاريخ يحفظ التقاليد التي آلت إلى الزوال ، ويرجم
- عن معاشة - لأعلام من المجتمع قدّموا خدمات لبلادهم ، فأصدر ما رأينا
من « ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة » و « أعلام
الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة » وما أحسبه استفاد رصيدهُ ، فنحن بانتظار

المزيد ، وبانتظار أن يقتدي به منّاظروه في أنحاء المملكة فينقلوا إلى الورقة مافي ذاكرتهم ومخزونهم عن المجتمع الذي عاشوا فيه والأحداث التي شهدوها ، والأعلام الذين واكبوهم - وذلك من أنفع وأطرف ما يكون . فهل ؟ أرجو .

ومن طرائف سبل البحث التاريخي الكتاب الذي أصدره كمال الكيلاني بعنوان « صور من حياة الملك عبد العزيز يرويها طلال بن عبد العزيز » - الرياض ، مطابع حنيقة للأوفست ١٤٠٢/١٩٨٢ ، ١٦٠ ص في ١٦ فصلاً . يبدو أن المؤلف قد أعد الكتاب من أوراق وتسجيلات صوتية عقدها مع راويته الأمير طلال بن عبد العزيز - عالم الكتب ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، ص ٤٧٦ .

وشرعت الجامعات السعودية تخرج حملة الماجستير في التاريخ ، وهناك القوائم بالخاصين على هذه الشهادة وبأسماء موضوعاتهم - تنظر مثلاً مجلة « عالم الكتب » ...

ويلفت النظر - دون أن يكون مثار تعجب - إقبال المرأة على التاريخ ، أي التأليف في الموضوعات التاريخية للحصول على شهادة عالية داخل المملكة . ولك أن تلقى نظرة على سلسلة « رسائل جامعية » من مطبوعات إدارة النشر في مؤسسة تهامة (جدة) لرى أمثلة ذوات دلالة

« الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول » - ثريا حافظ عرفة .
« الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت » - موزي بنت منصور بن عبد العزيز .
« العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن » - أميرة علي المداح . « تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف » - فوزية حسين مطر . « الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة » - نورة بنت عبد الملك آل الشيخ .

هذا في قائمة تهامة . وطبيعي أن يكون قد طُبِع لدى غيرها غيرُها . وأوردت « عالم الكتب » مج ١ ع ١ ص ٢٢٨ : مديحه أحمد درويش - تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين . جدة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة (١٩٨٠م) - ٢٢٤ ص .

ولقيت « الصحافة » في المملكة تاريخها ورأينا من مؤلفيها في « المعجم » - وإن جاء التأليف بدءاً من حافة المعجم الأخيرة (١٣٩٠/١٩٧٠) ، فرأينا محمد عبد الرحمن الشامخ ، وعلي حافظ ، ومحمد ناصر بن عباس في كتابه « موجز من تاريخ الصحافة » الرياض ١٣٩١/١٩٧١ ، ومنصور إبراهيم الحازمي . ودخلت الدرس الأكاديمي في فروع التخصص فكان كتاب هاشم عبده هاشم : « الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية » . تهامة ، جدة ١٤٠١/١٩٨١ .

والذي أُلّف في الصحافة قيسٌ ، وقيسٌ جيداً وقد تكلم الأستاذ علي حافظ عن تجربة ومعايشة ... وننتظر من الدكتور الحازمي الاستمرار في مشروعه .

ثم لا بُدّ من مواصلة الدرس وتثبيت المعاصر جيداً بعد ١٣٩٠/١٩٧٠ تثبيتاً دراسياً علمياً في حينه قبل أن يصير ماضياً .. شكلاً ومضموناً ... مع ضرورة البحث في العوامل المؤثرة بين التجارة والسياسة زيادة على الثقافة والعلم بأصول المهنة ...



المؤلفات العلمية ودور المرأة فيها :

وتتشعب المعرفة كما هو ضروري بتشعب الحياة الحديثة ومصادرها ومراميها وتنوع اختصاص المبتعثين رسمياً أو الدارسين على حسابهم الخاص وتعدد الجامعات السعودية نفسها ، ولك أن تعدّ - فيما تعدّ - من هذه الاختصاصات ما بين (الإنسانيات) والعلم الصرف نظرياً وتطبيقياً ... التربية ، علم النفس . علم الاجتماع ، الجغرافية . المكتبات ... الكيمياء ، الفيزياء ، الرياضيات ، الطبوغرافيا ، الصيدلة ، الطب ... الخ .

وكنا قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ لانكاد نرى شيئاً منها ، وما كان من متخرجين فهم الرواد والبداية ولم يكن من التأليف إلا النادر جداً وتشبّثنا باسمين أو ثلاثة من الكيمياء أو الرياضيات تشبّثاً ...

ونقول هنا : مع زيادة المتخصصين . وقيام الجامعات ... فإن التأليف في

المبادين العلمية قليل جداً ، أقل من المنتظر دون شك . وماذا لو ترجم (الدكاترة)
وأصحاب (الماجستير) رسائلهم قبل أن تتقدم ... ؟! ولو حوّل الأساتذة
دروسهم كتباً ؟ ويمكن أن يشمل السؤال أهل الجغرافية ... ونالت المكتبات
قسماً واضحاً وعناية متميزة ونذكر جهود الدكتور عباس صالح طاشكندي
والدكتور يحيى محمود ساعاتي ... وغيرهم كثير ...

ونالت المرأة نصيباً من هذه التخصصات ، محدوداً ولكنه يزداد .

وتمنح البلاد الماجستير في التربية ، ويمكن أن تلتقط في قائمة مطبوعات تهامة
سلسلة رسائل جامعية : « النظرية التربوية في الإسلام » - آمال حمزة مرزوقي .
« الجانِب التطبيقي في التربية الإسلامية » - ليلى عبد الرشيد عطار . « دراسة ناقدة
لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام » - فتحية عمر حلواني .

ولابدّ من أن يكون قد صدر في غير تهامة غيرها ... جاء في « عالم الكتب »
مج ٤ ع ٢ : مائسة محمد حامد الأفندي - « المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية
وتعليم المرأة » دراسة في اجتماعيات التربية ، مطبعة على المجتمع السعودي (مدينة
الرياض) . الرياض ، دار العلوم ١٤٠٣/١٩٨٣ - ٢٣٢ ص .

وجاء في « دليل الكاتب السعودي » : لعابدية إسماعيل خياط : « دور التعليم
العالي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالملكة العربية السعودية » ١٤٠٣ . وقد
يكون المخطوط أكثر من المطبوع ... رأينا لدى وقفة عند الجامعات حاصلات
على الماجستير في قضايا اللغة والأدب .

وذكرت تهامة كذلك : « تقييم النمو والنشوء » للدكتورة ظلال محمد رضا ،
و « التصنيع والتحضر في مدينة جدة » الأستاذة عواطف فيصل يباري .

والخاتمة إذ تؤكد نشاط المرأة ، وإذ تفرّزه عما سواه ، وتكاد تقف عنده في
نهاية كل اتجاه من اتجاهات المعرفة فضلاً عن الاتجاهات الأدبية ... لا ليتفرّق

بين جنسين ... ولو كان هذا التناج قد حصل كله - أو مثله - قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ لنخلفت أسماء النساء المؤلفات خلال أسماء الرجال حيث يحكم حرف الهجاء ، كما حدث مثلاً لسميرة خاشقجي ، و « ندا » ونجاة خياط ... أما هنا ، في الخاتمة فإن التمييز يأتي للدلالة على مدى التقدم ، والمرأة مقياس التقدم في مثل أقطارنا خاصة . التقدم عموماً ، وتقدم المطبوع خصوصاً وهو ما نحن فيه .

وفي الذي أوردته الخاتمة دلالة على ما لم نوردده ، وعلامة إلى ما سيأتي ويكون . وليس من أغراض الخاتمة الاستقصاء ... وإن كانت ترحب به عندما يتهيأ !

كَمْ نحن بعيدون عن جهلها أمس ! وعن نقاش بين حلال أن تتعلم شيئاً قليلاً وبين حرامه . وعجيب أن يجري ذلك ، كأن لم يكن للمرأة في الإسلام مكان من التعلم والعلم ، ولم تكن في الأقل (شَهْدَة) في المحدثات اللاتي تلقين الحديث عن شيوخ وتلقى رجال الحديث عنها (ينظر عنها وفيات الأعيان لابن خلكان) .

وهي ليست غائبة في التراث القريب ولك أن تنظر - مثلاً - في « المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الحادي عشر » تأليف الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير ، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي ، وأحمد علي ، نادي الطائف الأدبي ١٣٩٨/١٩٧٨ ... تنظر فري أم الحسن الطبرية - وطبريات أخريات كثيرات ، وفاطمة الزبيرية ، .

وما بالموضوع مَجَالٌ لإطالة فقد انتهى الأمر ووصل إلى ما يجب أن يصل إليه فإذا وجب تعلم المرأة حسن مع ذلك أن تكون معلمة ، والعلم لا يقف عند حدٍّ ، وإنَّمَا المهم صلاحه وفلاحه . وإذا كنت في تقاليد تحرمها وتتحرج خلالها من أن تعرض زوجتك على طبيب رجل ، أليس من الأجدى أن توجد المرأة الطبية ... وهكذا ، وهذا هو الذي حصل ... وإذا لم تفتح الجامعات السعودية أبوابها للسعوديات وَجَدْنَ أبواباً في العالم كله ... ولم تعد انكثرة أو أمريكا بعيدة المتناول .

هذا الذي حصل ، والخير فيما حصل ... وسيسير الأمر من حسن إلى أحسن ،
وفي شُعَبٍ لا بُدَّ له من السير فيها ... ويكفي ما تنبهت له الرئاسة العامة لتعليم
البنات من إنشاء الكليات اللازمة ، وما هو من شأن الانتساب وغير الانتساب .
أجل ، لقد تقدمت المرأة في مضمار العلم تقدُّماً ملحوظاً ، ومن العلم :
الكتاب ؛ أقول : ملحوظاً ، وهو أكثر من ملحوظ ، وأقولها ولو تصوريته قبل
١٣٩٠/١٩٧٠ وقد تصورت شيئاً منه ، لما بلغت الذي تحقق .

ونترك الموضوع وقد نعود إليه .

عَوْدٌ إلى الفلسفة :

وتسأل عن (الفلسفة) ؟ وأقول : إنك لا تجد كتاباً واحداً بهذا الاسم ،
وربما لم يكن في الجامعات كلها درس بهذا الاسم ومتخصص سعودي لهذا الاسم .
وأحسب أن الحذر في ذلك يعود إلى ما ترتبط به اللفظة من شؤون الفلسفة اليونانية
ثم الأوروبية على مرَّ العصور ، وإلاَّ فقد وُجِدَتْ في التاريخ الإسلامي ، ووُجِدَتْ
معها الفيلسوف المسلم أو المسلم الفيلسوف حتى أولئك العلماء الفقهاء كالغزالي
وابن حزم فإنهم كانوا (فلاسفة) من حيث لا يعلمون لأنهم طرَقوا موضوعاتها
ولكن من وجهة نظر خاصة وقلَّتْ في الفلسفة الإسلامية .

وخير ما يقال في هذا المقام ما نفيده من وجهة نظر الشيخ - شيخ الجامع الأزهر -
مصطفى عبد الرزاق في كتابه القيم : « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » الذي أثبت
أنَّ المسلمين عرفوا الفلسفة وزاولوها على مرَّ العصور ، زاولوها معنىً ودلالة دون
الاسم ، وما الفقه إلا فلسفة ، وإذا ثبت أن تدرس الفلسفة الإسلامية على حقيقتها
وأصالتها فدُونَكَ الفقه الإسلامي ...

العلوم الدينية :

وللفقه حَظُّهُ في الدرس الديني والتأليف الديني قديماً وحديثاً ، خارج الجزيرة
وداخلها ، في غير السعودية ، وفي السعودية ...

والبحث في الكتاب الديني يطول ، و « المعجم » في قسط كبير منه - والقسط

الأكبر من عقود تاريخه الأولى قائم على مؤلفات الشيوخ والعلماء - ولم تكن كلمة العلماء لتطلق على غير الشيوخ المتبحرين في العلم الديني : من فقه وتفسير وحديث ... وقد رأينا مكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآله من الكتاب ... المطبوع . والشيوخ الآخرين . وفتح الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتحاً بالعودة إلى السلفية بعد أن دخل في التقاليد والعادات ما ليس من العقيدة ، والعودة تستدعي الحاجة ... وإطالة النظر في التراث (أحمد بن حنبل ، ابن تيمية ، ابن قيم الجوزية) ... وعلى نهجه سار آله وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه ... - وكثرت في ذلك الكتب ، وكان نصيب المطبعة منها كبيراً ...

وبدا ونحن في أوائل ثمانينات القرن الهجري / ستينات الميلادي - أن الكتاب الديني لم يعد على قوته وقد بظنه ظاناً قد توقف أو كاد . وقد تكون الرؤية خارجية أو نسبية ، وأنها حصلت - أو تحصل - لأن الكتاب الديني لم يعد وحده في الميدان - كما كان . فقد تكاثرت مطبوعات الميادين الأخرى من أدب وتاريخ وما إليهما . ثم إنك لم تعد ترى شيوخاً يؤالون التأليف مثل عبد الرحمن آل سعيدي ولا تجد تفاسير للقرآن الكريم كالذي عمله ابن سعيدي أو عبد الحميد الخطيب المكي أو فيصل آل مبارك . أو المشروعات الضخمة التي يتولاها الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم في مطبعة أم القرى (الحكومية) فهي باقية ولكن ليست على النشاط التي كانت عليه . وأكثر ما في المكتبات كتبات تبنت أغلبها مؤسسة النور للطباعة والتجليد . ولا شك في أن أكبر شيخين عالمين في المملكة هما : محمد بن إبراهيم آل الشيخ (سماحة مفتي الديار السعودية) ، وعبد العزيز ابن باز . وللشيخين الكبيرين مؤلفاتهما وأكمنها في جملتها ليست بتلك التي تُضيف كثيراً إلى السياق الفقهي ، وأكثر ما فيها أجوبة عن أسئلة وفتاوي في قضايا يستفتي عنها الناس ... وقيل في الثناء على الشيخين أن علمهما فوق كتبهما ، وأغزر من كتبهما .

وكان في البلد مؤسسات دينية ذات طابع حديث هي المعاهد والكلليات ،

ولكنها إن كانت فاعلة في التدريس وتخرج المدرسين فإنها لم تكن كذلك في التأليف وطبع المؤلفات .

لأبْدَ إِذْنٌ من التنبيه . وملاحظة مستجدات العصر والتوجه لها بمثلها ، ومن مستجدات العصر تعليم البنات فليكن إِذْنٌ بشرط إشراف (سماحة المفتي) عليه ، وهكذا تَمَّ الأمر ... ومضى يتطور... فاكتملت الابتدائية واكتملت دُورُ المعلمات والثانويات ... وبانتظار المزيد دون انتظار لأي مظهر من مظاهر المقاومة التي برزت في أول الأمر .

وحصل المزيد من المستجدات في البحوث طبق منهج البحث .

وإذا كان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قد توفي يوم ٢٤ رمضان ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م وخلفه ولده إبراهيم (المولود - حسب Who's سنة ١٩٢٩ ، خريج كلية الشريعة ١٩٥٦ وقد صار وزيراً للعدل بعد برهة من إنشاء الوزارة سنة ١٩٧٥) .

فقد أسند للشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز « رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد » .

ولأبْدَ من (جامعة) فكانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وكان مع الجامعة منهج البحث الحديث ، وعمادة شؤون المكتبات ، ومطبعة ، ومجلة ، ومركز بحث ، وسلاسل مختلفة من الكتب لمختلف الحاجات والأعمار غير الطبعة الكاملة لمؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤلفات ومحاضرات عنه ... ثم التدرج الحديث في سُلَّم العلم ، ومعنى ذلك الماجستير وقد أُحْدِثَت الدرجة ونالها كثيرون في الشريعة واللغة العربية والقضاء العالي .

ثم الدكتوراه وقد أُحْدِثَت كذلك .

وهكذا استأنف الكتاب الديني وجوده وحضوره ونشاطه واستعان بمنهج

البحث على أبعاد ما يناسب عقلية العصر والقاري الحديث ... أو ما صار معلوماً
أو ما لم تعد حاجة إليه من موضوعات تحريم حلق اللحى والدخان والسفر إلى بلاد
الكفر ... وحكم تارك الصلاة ... والرسم ... والتصوير الفوتوغرافي ، وشكل
الأرض ... والفضاء الخارجي .

وفي الإذاعة والتلفزيون وسائل لجواب السائلين . والشيخ ابن باز يتلقى الأسئلة
في كل مكان وزمان وعن طريق التلفون وجريدة الدعوة ويحجب عنها بإسهاب .

وفي الإذاعة منهج يومي دائم طويل العمر اسمه : (نور على الدرب) .

وقبل الشيوخ في ستينات القرن الهجري / ثمانينات الميلادي التلفزيون لما فيه
من نفع وما يمكن أن يستثمر عن طريقه ... ومضت البرامج تتوالى بين جدة والرياض .
ولقى افتتاح محطة له في القصيم (في بريدة) مقاومة لم تَدَبِّثْ أن أُحْبِطَتْ لأنها
لم تأت من شيخ كبير مسؤول ...

وهكذا تلتقي الأمور ... وإذا قَبَلْنَا الإذاعة ، وقد قبلناها فعلاً لما فيها من
نفع ومجالي استثمار ... فإن التوقيت الذي تسير عليه المملكة لا يؤدي الغرض في
الخارج الذي يسير على توقيت آخر ، فالتوقيت الساعة ، وقد تغيرت بشرط
أن يُذكر الغروب مع الزوالي والتاريخ الهجري قبل الميلادي .

هكذا ... ولم تعد حاجة إلى النص على كليات للبنات في التربية والآداب
والعلوم تابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات التابعة (سابقاً) لدائرة سماحة مفتي المملكة ...
مع قبول تلقيها العلم في الكليات الأخرى بأسلوب يناسب التقاليد وضمن مظاهر
الحشمة والوقار ... — وتتقدم المرأة إلى الماجستير والدكتوراه ...

وقد كان للتداول بين الحكومة والشيوخ ... — وقل : لما للأسلوب الحكيم الذي
يتفاهم به الملك فيصل مع مفتي الديار السعودية — أثره في حل المشكلات واتخاذ
القرارات ... وتنفيذها ...

الانسجام بين شؤون الدين وتغيرات العصر :

ونريد أن نخلُصَ إلى تكيِّفٍ ومساوقةٍ وانسجامٍ بين شؤون الدين والدنيا أي بين تغيرات العصر... وأعقب ذلك - فيما نَحْنُ فيه من أمر المعجم - تَجَدُّدٌ في نشاط التأليف ، وتوسع في دائرته ، وكان فيه التحقيق والبحث التاريخي والمناقشة الفكرية ولم يقتصر هذا على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ... فمنه ما كان في جامعة المدينة المنورة ، ومنه ما وسع الأفق خارج هاتين المؤسستين ... ويحضرني هنا اسم الأستاذ محمد حسن باجودة إذ حصل على الدكتوراه من انكلترا برسالة عنوانها « الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام » . تهامة ، جدة ، ط ٢ ، ١٩٨٣/١٤٠٣ - ٥٦٢ ص . وكانت من الجدة بحيث استوعبت القديم والجديد ، وفي القراء مَنْ حَسِبَ المؤلفَ مستفيداً من مدرسة التحليل النفسي أو متأثراً بها ... - ثم كانت له سلسلة من التأملات في السور ...

وكان المؤرخ أو المحقق أو المتحدث يحذر الاقتراب من كتب ذات ارتباط بالدين فيما لا تَرْضَى عنها الدعوة أو فيما كان فيها أو في مؤلفيها من مخالفة معروفة للدعوة أو صاحبها .

مركز تحقيق كتب الدعوة الإسلامية

وقد كان للحذر دواعيه ... وخفَّت تلك الدواعي أو زالت ، وجدت نظرة لم تلبث أن حَلَّت محلها ، فقد صار الرأي أن الحذر يُبْقِي الأشياء كما هي ، وخير منه نشر رأي المخالف مع مناقشته وبيان الخطأ والصحيح بصدده . ومثل على ذلك « كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » بخط ، أو من تأليف حسن جمال الريكي . الكتاب غير مرغوب فيه لأنه يقول في الشيخ ما لا يَرْضَى . ولكن ذلك لم يمنع أن يحقق ويطبّع كما هو - خارج السعودية ، وينفُذ - بشكل وآخر - إلى السعودية نفسها مع كلام المحقق لا ترتضيه السعودية إذ وصف المؤلف بالعدالة الموضوعية وقول الحق أكان للشيخ أم عليه .

وهنا رأت السعودية الوجه الآخر لما كانت ترى الأشياء عليه ، أي أن تبتنى هي نشر الكتاب وتحقيقه مع التعليق على ما فيه من أحداث وآراء ، وهو ما جرى

بأمر من وزير المعارف - الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ - بأن يتولى المهمة الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ففعل ، وصدر الكتاب عن دار الملك عبد العزيز (١٣٩٦) .

أعداء الدعوة ومؤلفاتهم :

ولقيت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - في حينها على الأقل - الأعداء ، كما لقيت الأنصار ، وفي الأعداء من هم قريبون من الشيخ نفسه ، نجدثون كما هو نجدي . وإذا كان وجود هؤلاء الأعداء حقيقة - وهو ما يحصل في كل دعوة وحركة - فإن القائمين على شؤون الدعوة كانوا يحذرون الاقتراب من الأعداء ، ويتجنبون ذكرهم وربما حرّموا ذلك على غيرهم أو حَظَرُوهُ . وهذا يحدث - كذلك - في كل دعوة ويبدو مقبولا طبيعياً ، ولكنه لا يستمر حتى النهاية ، فلابدّ من يوم تبدل الظروف ويمكن إعلان الحقيقة كاملة دون خوف أو وجل . وهذا ما حدث فعلاً .

ومن أبرز المعادين : الشيخ عبدالله بن محمد بن حُمَيْدٍ صاحب كتاب « السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة » . كنتُ أعثر - أحياناً - باسمه أو باسم كتابه فلا أجد من يزيدني علماً به ، وأعجب من ذلك أن يذكر كتابه هنا وهناك وربما استشهد بسطور منه ، ويبقى - مع ذلك - مخطوطاً ، عرضةً للتلف ، وأكثر ما يثير الاهتمام أنه في طبقات الحنابلة ، والعنوان يدل على انسجام المؤلف والمذهب ، وهو حنبلي ولاشك . والشيخ محمد بن عبد الوهاب حنبلي .

وجاء الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ يؤلف كتاباً قيماً ذا نهج حديث في التعريف بمشاهير علماء نجد ، فرأيتُه ينقل عن صاحب « السحب الوابلة » ورأيت أكثر من حاشية تقول : جاء في « السحب الوابلة .. » وهذا يعني - عندي - أن الكتاب ليس مُحَرَّمًا ، وإلاّ فكيف يذكره الشيخ وهو من آل الشيخ . وربما رأيت له ذكراً كذلك عند الشيخ حمد الجاسر مع حذر ماحوظ .

ويتقدم شيخ آخر ، عالم فاضل ليؤلف كتاباً ضخماً مهماً بعنوان « علماء نجد

خلال ستة قرون « هو فضيلة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح البسام - العضو القضائي في محكمة تمييز الأحكام الشرعية - فإذا به يفتح - منذ المقدمة - صدرأ أوسع من المعتاد ، ويقدم رأياً لم يكن مألوفاً ، لا لأنه مقتنع بما قاله الأعداء متسهل في متابعة الأنصار ، وإنما (العلمية) في منهجه ، فكتابه « علماء نجد » وأولئك المعارضون علماء على أية حال ، وكل ما في أمرهم أنهم علماء معارضون ، ولا تتم للكتاب المطابقة بين الاسم والمحتوى دون الوقوف عندهم ، ولابأس بعد ذلك من أن يبين موقفهم ، وقد يبين الإيجاب في علمهم إذا رآه . وللقارى أن يرى رأيه .

قال في المقدمة (ص ٢٠ - ٢١) : (... ثم إني في كتابي هذا ترجمت لعلماء كثيرين ممن عارضوا الدعوة السلفية (...) ترجمت لهؤلاء المعارضين المعادين لا لرضاً لمذهبهم ولا ارتياحاً لمسلكهم وإنما ذكرتهم لأني مؤرخ يجب عليه أن يُسَجِّلَ ما جرى ويُدَوِّنَ ما صار . ولا يتمكن من تعديل المنحرف ولا تقويم المعوج ثم إنَّ اعوجاج مسلكهم وانحراف طرقهم لا يحتملني على رميهم جميعاً بالجهل وقلة التحصيل العلمي وهم على خلاف ذلك فقد بلغ بعضهم من العلم مبلغاً كبيراً ولكن استيعاب العلم شيء والاهتداء به شيء آخر ...) .

هذا نمط من (العلمية) فيه فتح لباب .

وسأل (ص ٢١) : لماذا خَصَّصْتُ التراجم بعلماء نجد ؟ وأجاب : (... يعلم الله تعالى أنني (والحمد لله) من أبعد الناس عن العصبية الضيقة والمذهبية والوطنية المحدودة حين خصصت هذه التراجم بالعلماء النجديين دون غيرهم من علمائنا في الحرمين الشريفين أو في الأحساء وفي غير ذلك من أنحاء بلادي الحبيبة العزيزة ...)

وهذا نمط من (العلمية) يتَّسِقُ مع الباب السابق . ويتَّسِقُ مع العقلية التي صار إليها الجيل الجديد المعاصر . بل يطلبها . بعد أن زالت الدواعي على الأقل . فلو ترجم الشيخ البسام لعلماء وأهمل علماء لما رضي منه العصر ، وربما لقي

الاعتراض عليه . ولو لم يبين السبب العلمي الصحيح لعنايته بعلماء نجد ... لكان في المؤاخذتين من يطالبه بالسبب أو يظن به الظنون .

وهنا ، هنا يأتي الجواب الذي انتظرته طويلاً كلما (عثرت) بكتاب « السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة » أو بمؤلفه (ابن حُمَيْدٍ) فمن هو ؟ ولم لم يُنشر كتابه ؟ الجواب في ٣/ ٨٦٢ - ٨٧٠ : (الشيخ محمد بن عبدالله بن حُمَيْدٍ : ... نشأ في بيئة علمية فنشأ محباً للعلم ... سافر إلى مكة للترود من العلم ... ثم سافر إلى اليمن ومصر والشام والعراق فأخذ عن علماء هذه الأقطار ... ثم عاد إلى مكة ... عُيِّنَ لإمامة المقام الحنبلي في المسجد الحرام وإفتاء الحنابلة فيها وكان معظماً ... وقد أثنى عليه علماء عصره ومن بعده ...) . ما تقدم هو الصحيفة البيضاء ... أما الحياة القائمة والصحيفة السوداء فهي أن المترجم بحكم وظيفته تبسّع الدولة العثمانية التي حاربت العقيدة السلفية ... فإنه في مؤلفه - « السحب الوابلة » - قد ضرب صفحاً عن الترجمة لأنصار الدعوة بل لم يكتف بهذا القدر حتى تناولهم بالتجھيل والتضليل عند كل مناسبة ... - توفي بالطائف ... عام ١٢٩٥ ... » .

لم يحدد الشيخ البسام المعارضين في مقدمة كتابه ، ولكنك تجدهم في درجة على حين لا تجدهم في كتب أخرى منها كتاب الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ . ومن أولئك : محمد بن عبد الرحمن ابن عفاق ومحمد بن عبدالله بن فيروز ، والشيخ محمد بن علي بن غريب وقد أعاد إليه بالوجه العلمي كتاباً طبع منسوباً - خطأ - إلى الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ، هو الكتاب الذي طبع باسم : « التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق » .

وهناك مسألة حساسة جداً يتجنبها الباحثون من قبل ، ويحاولون أن يصفوها ضمن تجنبهم وبعاميل من حساسيتها بما لم تكن عليه ، تلك مسألة موقف أخي الشيخ من أخيه أي موقف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ فقد كان منافياً للدعوة . وهذا ما لا نقاش فيه ولكن الباحثين

يعرضون الحال على أن الشيخ سليمان رجع عن منافاته واعتذر إلى أخيه ، وهم يرون في ذلك إرضاءً لِحُمَاةِ الدعوة والمتنفذين فيها ... أما الشيخ البسام فلم يقع فيما وقع سابقوه . وكان أكثر صراحة وجرأة فأثبت أن الشيخ سليمان ظل على منافاته ولم يرجع عنها ولم يعتذر - وهذا ما كان صعباً أن يقال كما قاله الشيخ البسام - ينظر البسام - « علماء نجد خلال ستة قرون » .

وكثر نقل الشيخ البسام من كتاب « السحب الوابلة » والاستشهاد بنصوصه ... ولم يخالف في فعله ورأيه جهة دينية عليا ، ولم يقدم كتابه إلى الطبع إلا بعد أن (أجزى طبعه من رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ... بتاريخ ٢٠/١٠/١٣٩٤هـ) - والرئيس هو الشيخ عبد العزيز بن باز .

ولم يَعدْ ، إذَنْ ، كتاب « السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة » للشيخ محمد ابن عبدالله ابن حميد في موضع [النهي عن] الاقتراب منه والأخذ عنه والانتفاع به . ثم لم يَعدْ الكلام على من نابذوا الدعوة أو عادوها في موقع الخوف .

ونعود إلى الشيخ حمد الجاسر وهو الذي عرف « السحب الوابلة » جيِّداً ، وتابع اتساع النظرة ، وأعجبه « علماء نجد خلال ستة قرون » ... فإنه خطا خطوة أخرى بأن استل من « السحب الوابلة » كتاباً كاملاً نشره في « العرب » (س ١٢ ص ٧٣٦/٦٤١) .

وهكذا صار « السحب الوابلة » حقلاً محروثاً ، وصار ابن حُمَيْدٍ اسماً مألوفاً ... ولم تبق إلا الخطوة الأخيرة في تحقيقه ونشره كاملاً ... كما نشر الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ « كتاب لمع الشهاب » . وإذا لم يتوَلَّ تحقيق « السحب الوابلة » محقق من أهل الدعوة ربما تولاه من ليس منها كما فعل أبو حاكمة في « لمع الشهاب » .

والمهم المهم في هذه المسيرة بيان الأفق الذي اتسع إليه البحث الديني ، والمنهج

الحديث الذي أخذ به ، ولو لم يفعل ذلك لصعب أن يكسب العوذ الذي كسبه من الأجيال الجديدة . والمهم المهم في عالم « المعجم » ما انبثق عن هذه الحال من موضوعات وكتب ورسائل ... وإن كان ذلك بعد الـ ١٣٩٠ / ١٩٧٠ على وجه الواضح ...

اتساع مجال التأليف (دائرة معارف) :

ويعضي الطموح بالمؤلف السعودي إلى حدود بعيدة بعد أن تشعبت تيارات التأليف ، وكثر المؤلفون ، ومنهم من ألف بالانكليزية . ومنهم من ترجم عن الانكليزية ، ومنهم من ترجم إلى الانكليزية . والقافلة سائرة . ورأينا النوادي الأدبية وما يرنجى منها ، و (المجمع) المنتظر ... والجامعات ... وكأن آن الأوان لعمل ضخم جامع تتعدى مادته حدود المملكة جغرافية وتأريخاً ، وهو مشروع (دائرة المعارف العربية الإسلامية) وقد بدأت الخطوة الأولى منه بتأليف اللجنة التأسيسية من الدكتور أحمد محمد الضبيب ممثلاً عن جامعة الملك سعود . والدكتور محمد الرتيبع عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، والأستاذين عبد العزيز الرفاعي وعبدالله حمد الحقييل . اللجنة محترمة ينتظر منها الجد ثم لا بد من التنفيذ . وإلا فقد سمعنا عن مثل هذه المشروعات في أقطار أخرى . ولا يصعب على دور النشر المحلية تنفيذ المشروع . ويكفي أن يكون فيها مثل (تهامة) و (الشروق) .

نلاحظ في خلاصة خطوط الخاتمة التوازي والتلّاق في خطوط الحياة للمملكة العربية السعودية ، الحياة العامة وفيها العمارة والتجارة والبتّول وتحلية مياه البحر وراحة الحاج وتنظيم مياه زمزم وشق الطرق ... ونشوء وزارات جديدة ، ودخول (دكاترة) في الوزارات ... ، وما هو من الحياة العامة في الرياضة وكرة القدم . والإذاعة والتلفزيون ، والفنون التشكيلية (والمسرح) والجمعية العربية للثقافة والفنون والنوادي الأدبية ، وما هو من الحياة الخاصة بالمعنى الذي نريدُه لموضوعنا في التأليف : الأدب ، التاريخ ، علوم الدنيا ، علوم الدين ، الجامعات ، البعثات ، عمادات شؤون المكتبات ؛ وما هو مرتبط بالعام قائم على الخاص : الطباعة ، الصحافة ، مكاتب السوق ، دور النشر ... ولا يجري شيء في البلاد داخلاً

وخارجاً دون علم السلطة العليا وتوجيهها ومتابعتها . وكل يجري بقدر مقدر ...
وقد أسّس هذا عبد العزيز منذ البداية . وكان واضحاً أيام فيصل .

وربما خفيت هذه الحال من التنظيم المدني على كثيرين في الخارج . وربما
جهلها هؤلاء الكثيرون وبقوا على انطباعهم عن الصحراء والبدواة .

أذكر مرة أن جامعة الملك سعود تعاقبت ذات يوم من عام ١٣٨٣/١٩٦٣
تعاقداً شخصياً مع أساتذة انتدبتهم ، ومضى هؤلاء الأساتذة يؤدّون واجبتهم
سنة بعد سنة .

وغاز ذلك التعاقد أعداء هؤلاء الأساتذة في بلادهم ، فأجمعوا أمرهم وتعاقبوا
على فترات متقاربة ولمناسبات مختلفة (يخوفون) المسؤولين في المملكة مغبة
التعاقد ، ويقدمون في ذلك أسباباً مختلفة حيناً . ولا تضير الجامعة حيناً ...
ويظهرون بمظهر الناصح المخاض الأمين ... فما أقوا أذناً صاغية . وكان المسؤولون
يُرحّبون من صدورهم إزاء ما يسمعون ، وربما قالوا لهم : أليكم بقية منهم ؟
ولم يكفوا حتى بلغت الحال إلى ما لا بدّ معه من الجواب البليغ .

مركز تحقيقات قاتل بؤر عدم رضى

وكان الجواب :

— وماذا تحسبوننا ؟ أغافلون نَحْنُ عن أمورنا ؟ (...) إننا نَعْتَرِزُ هؤلاء
الأساتذة ، وقد راقبناهم فما رأينا منهم إلا الخير وخدمة الجامعة خدمة حقّة .

روى المسؤول ذو الجواب البليغ الواقعة كما هي في لقاء له مع أولئك الأساتذة
وهم يزعمون العودة إلى بلادهم بعدما نسيّفت إقامتهم على خمسة الأعوام . وزاد
في عبارات التكريم ما قد تأتي مناسبة لذكرها .

تجري أمور الدنيا في المملكة بعلم وتخطيط وتقدير بما يجب أن يكون قبل
فوات الأوان ، وبالأسلوب المناسب ضمن الظروف القائمة والحاجة إلى توطيد
الحكم .

أما أمور الدين فهي بيد أهلها ولكن « المملكة » منذ أيام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لدن التقائه (سنة ١١٥٧ هـ) في الدرعية بأمرها (الإمام) محمد بن سعود ، شركة وتكاتف . ومن هُنَا كانت حكمة الملك فيصل في المداولة مع مفتي الديار السعودية من آل الشيخ ، والحكمة في إيصال ما يحسن أن يكون وَيَقْتَنِعُ به الشيوخ ، ومن ذلك ما رأينا من تعليم البنات وإنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات تابعة لمفتي الديار ، والتلفزيون ، والساعة الزوالية في الإذاعة مع الغروبية (العربية مع الغربية) ، والتاريخ الميلادي مع التاريخ الهجري ... وأشياء كثيرة في الجامعة والمعاهد ، وفي المطبوعات والمؤسسات الصحفية ... واستمرت القاعدة ... ولا تلبث البذرة أن تنبت ، والنبت أن يثمر ، والثمر هو ما تراه مرتفعاً عن تربة تراها حيناً ولا تراها أحياناً .

نشر الكتاب وطبعه :

والمفروض بالعام أن يكون رسمياً ، وهو كذلك في صميمه وغالبه بمعنى أنه تابع للدولة في وزارتها أو رئاستها ومؤسساتها التابعة لمجلس الوزراء ، فهي التي تخطط له ، وهي التي تصرف عليه وتقيم أودّه مالياً بالقدر الذي ترسمه ... وهذا ما هو حاصل ، وقد كنت أترى في البداية ما طُبع على نفقة الملك عبد العزيز ... والملوك والأمراء بعده ثم كانت وزارة المعارف ، ووزارة الإعلام ، والجامعات والزراعة والعدل ...

والمفروض بالخاص من موضوعنا في الكتاب وطبعه أن يكون أهلياً ، وهو كذلك ، فالمؤلفون من أدباء ومؤرخين ... وفقهاء يختارون موضوعاتهم ويرجعون إلى مصادرها ، ويُسَوِّدُون وَيُبَيِّضُون .

ثم تأتي مرحلة الطبع أو التفكير الجدّي بالطبع ، وكانت مرحلة صعبة في تاريخها الأول . فما في البلاد مطابع تذكر ، والموجود قليل جداً ومُكَلَّفٌ جداً ويبقى بعد ذلك طريق الطبع في الخارج : مصر ، سورية ، لبنان ... وما هو بالطريق المتيسر فتكاليفه باهظة ، والمؤلف تحت رحمة أصحاب المطابع في الابتزاز واضطراب المواعيد ... والعلم الأكيد بقدر من الخسارة المالية في نهاية المطاف .

قال أحمد سباعي : (... إنَّ الأديبَ ضائعٌ ، وأخْصُ بالذِكر منهم إخواننا المؤلفين . (...) إن المؤلف منهم يُرْهِقُ أعصابه شهوراً أو سنواتٍ إذا اقتضى الأمر حتى إذا انتهى من التأليف والطبع تحوَّلَ إلى سائل يستعطي من يُساعده على الثراء ، لا ليتقاضى أتعاب الشهور والسنوات التي عاناها في التأليف بل حسبه أن يستعيد ما أنفقه كترأس مال .

إن استعادة رأس المال يا إخوتي دونه خرطُ القتاد ، فأكثر المؤلفات لا ينفدُ ربعها أو نصفها إلاَّ بعد جهد شاق (...) لهذا فهو ضائع ... وهو خليق بالتشجيع (...) - « سباعيات » / ١١٧ - ١١٩ .

وقال في مكان آخر (« سباعيات » ٨٣/٢ - ٨٦) : (... كنت أتمنى لو أجد من يثبت لي أن مؤلفاً أدبياً واحداً في بلادنا استطاع أن يظفر بنصف ما أنفق على طبع مؤلفه لأقيّم وإياه الحجة على خطأ كل الأدباء وقصورهم عن إبراز ما ينتجون .

إن بلادنا لا تبيع المؤلفات إلاَّ في نحو أربع مدن وبضع قرى كبيرة لا تتجاوز أصابع اليد ، وإنَّ معدّل ما يباع في كل مدينة لا يتجاوز مئة نسخة لأديب سارت باسمه الركبان - كما كان يقول أجدادنا القدامى - وضجّت الصحف بشهرته كما يتحدث شبابنا المحدث . (...) لقد صدرت الطبعة الأخيرة من « تاريخ مكة » وساعدني في الإهداء الواسع - والحمد لله - على نفادها . وصدرت لي بعدها عدة مؤلفات أهديت منها وبعثت بعضها وعندما شكوا نفر من سعرها أعلنت التخفيض شهراً كاملاً فلم يحقق ذلك ما يصح أن يسمى رواجاً . ومع هذا استطيع أن أؤكد أن حظّي من رواج الكتب ربما فاق حظ البعض فكيف حال هذا البعض (...) .

وشكا السباعي من الاستهزاء ، وكثرة الذين يرون من حقهم أن تُهدى إليهم

النسخ ...

والسباعي شاهد عصره . والحال التي عرضها هي التي كانت السائدة ، وتُرينا من ثمَّ سبباً للأدباء الذين أداروا ظهورهم للأدب مبكراً في وظيفة رسمية يحصلون عليها قبل فوات الأوان ، أو في مهنة حُرَّةٍ تَصِلُ بصاحبِها إلى أن يكون تاجراً مرموقاً ...

ولم تكن الشكوى خاصة بالسباعي ... فلا بُدَّ من أنها كانت قاسماً مشتركاً بين أحاديث الأدباء ... ومادة للنشر عند الحاجة . ورأيتُنا الأستاذ حسين سرحان شيئاً منها ...

وظل الموقف من الكتاب السعودي قائماً على الفتور ، وربما الاستهانة . لمدة طويلة ، وعلى أيدي أصحاب المكتبات السعودية أنفسهم فيما يستوردون ويعرضون . ويرفضون ... وقد رأيتهم خلال إقامتي في الرياض (١٣٨٣ - ١٣٨٨ / ١٩٦٣ - ١٩٦٨) لا يحفلون بالكتاب السعودي ، ولا يفتحون له نافذة في معروضاتهم . ولا يكادون يُلبَّسُون أيَّ طاب له ... وقد شغلوا بالمطبوعات اللبنانية والمصرية عن المطبوع السعودي حتى عن الكتاب السعودي المطبوع في الخارج ! وكم سألتُ عن دواوين أحمد قنديل - وهي حديثة الطبع في لبنان - فما رجعت من السؤال بطائل ! فكيف الآخرون !

وحين عاد الدكتور عبد الرحمن الشامخ بعد انتهاء دراسته في انكلترا وتعيينه في كلية الآداب بجامعة الرياض صدمه الموقف فكتب سنة ١٣٩٢ مقالة بعنوان (كاتب الحي) جاء فيها : (إذا رأيتَ ما تعرضه المكتبات التجارية في بلادنا حَسِبْتَنَّا أُمَّةً لا تسهم في القول إلا قليلاً . وإذا بحثت عن مؤلفات رجال الفكر والأدب عندنا فلن نجد منها إلا بضعة كتب ألفت بها أيدي المكتبيين في ركن قصي من أركان مكتباتهم ...) - وفي العنوان إلماح إلى القول المشهور المأثور : مغنية الحي لا تطرب ..

الحال مؤلمة مزرية ، حال هو ان الكتاب السعودي على أهله السعوديين ، ولكنها

تُرِينَنَا - كذلك - فضلَ الذين ثبتوا في الميدان ... ومواصلة (النضال) رغم
الحسرة ... وحتى يصلوا إلى الحال التي تليق بالمؤلف ... وقد وصلوا فعلاً ،
ومَهَّدُوا السبيل لجيل من أبنائهم . ومنهم ، وفي مقدمتهم السباعي نفسه . أَلَمْ
يُعَدِّدِ المؤلفات ؟ ألم يطبع تاريخ مكة ثلاث طبعات ... ويصل في آخر المطاف
إلى إعادة طبع أكثر مؤلفاته - ثم كانت الجائزة التقديرية التي منحتها الدولة هذا
العام (محرم ١٤٠٤ / ١٩٨٣) لثلاثة هم السباعي والجاسر وابن خميس . والجائزة
ضخمة مادياً ومعنوياً .

لقد عَانَى الرُّوَاد كثيرًا في سبيل توطيد التأليف والطبع ، ورأينا السباعي
نفسه يصير صاحب مطبعة (مطبعة قريش) ... ومثله كانت معاناة الآخرين ،
ولنا أن نقدر صبر الأنصاري وهو ينشيء « المنهل » ويعمل على إقامة أودها وتثبيت
أركانها وقد استطاع . ولا بُدَّ من قابلية خاصة لديه واستعداد مبكر وإلا فهو
يحدثنا عن أثر مبكر لديه هو « التوأمين » : الرواية الأولى التي صدرت في المملكة
سنة ١٣٤٩ / ١٩٣٠ ، طبعها في دمشق - مطبعة الترقى بالقيصرية . وكان عدد النسخ
التي طبعت منها ألفي نسخة نفذت كلها في ظرف ثلاثة أعوام ..

ولنا أن نتعدَّ هذه حادثة شاذَّة لا تُتمثل القاعدة أبدًا ، ولا بُدَّ من أن يكون في
عوامل رواج الكتاب المغربي التربوي الأخلاقي الوطني وضرب من (الدعاوة)
العلمية له إذا استنفر له إدارات المعارف .

كان لا بُدَّ من الطبع في الخارج ، وكانت مصر أوَّلَ ما يتردُّ على البال ،
ورأينا أول مطبوع هو « أدب الحجاز » تأليف محمود سرور الصبان سنة ١٣٤٤ / ١٩٢٥
بالمطبعة العربية في القاهرة لصاحبها : خير الدين الزركلي ...

وتوالى الطبع ... في مصر . ويتردد اسم مطبعة المدني ، مطبعة الباني الحلبي (دار
إحياء الكتب العربية) ، مطبعة الإمام ، دار القلم ، دار الكتاب العربي . مطبعة
مصر شركة مساهمة ، دار التأليف ، دار سعد ، دار مصر للطباعة ، السعادة ،

دار النيل ، دار المعارف ، ممفيس ، دار الفكر العربي ، الأخبار ، الرسالة ،
الفجالة ، الجبلاوي ، دار وهدان ، العربي ، الناشر العربي .

وكان للمنار وللسلفية دور كبير في طبع الكتب الدينية خاصة ، عادت على
المطبعتين بالربح الوفير .

ولم ينقطع الطبع في القاهرة ، ولكنه تضاعف كثيراً . ومن أسماء المطابع
المتأخرة : دار الجليل ، دار الاعتصام ، الدجوي ، دار العالم العربي .

ولدمشق مكان مبكر يذكر ، وقد رأينا طبع « التوأمين » بمطبعة الترقى ١٣٤٩ /
١٩٣٠ واحتفظت الترقى بنسبة كبيرة ثم الهاشمية لصاحبها محمد هاشم الكتبي ،
وابن زيدون ، والمطبعة العمومية ، النضال ، زيد بن ثابت ، دار البيان ، خالد
حسن ، اليقظة .

ويسعى (المكتب الإسلامي) سعياً دينياً فيبلغ ...

وفي بيروت : دار الكتب ، دار العلم للملايين ، المكتب التجاري ، دار
الثقافة ، دار الفكر ، دار مكتبة الحياة ، الكشف ، المكشوف ، القباني ، الوفاء ،
دار العودة ، مؤسسة الرسالة ، دار الآفاق .

وتضاعفت المطابع الهندية منذ السنوات الأولى ، وانقطع ذكرها انقطاعاً تاماً .
وتذكر « النجف » في العقود الأولى . ولم تنل (العواصم) الأخرى إلا في حدود
كتاب واحد : بغداد ، طهران ، عدن ، في وقت مبكر . ثم الدوحة بعد ١٣٩٠ /
١٩٧٠ .

وجرت في السنوات الأخيرة محاولة لإصدار سلسلة من الكتب السعودية في
تونس ، ومن ذلك ما صدر لطاهر زنجشيري وعبدالله جفري ومحمد أحمد باشميل .
إنَّ الحاجة إلى الطبع خارج المملكة أصبحت أقلَّ من القليلة ؛ فلقد تعددت
المطابع في المملكة ، وتوافرت وهيئات أحدث وأرقى وسائل الطبع ... زدْ على
ذلك ما قام في المملكة من دور للنشر لها مؤهلات الدور الحديثة بما في ذلك ما تُسهله

لمؤلف من أمور الطبع ، وما تحقّقه له من حصة الربح المالي ... — لقد بلغت المطابع ودور النشر إلى ما لَمْ يمتدّ إليها خيال الذي يُعنى بالكتاب السعودي ، وهو في ثمانينات القرن الهجري / ستينات القرن الميلادي ... ولا تسَلَّ عمّا جرى في حوالي القرن الخامس عشر الهجري قبيله وبعده ... وفي جدول عمله الأستاذ يحيى ساعاتي (عالم الكتب مج ٤ ، ع ١) لحركة التأليف والنشر في المملكة خلال عام ١٤٠٠هـ يبيّن أن الذي طبع خلال ذلك العام خارج المملكة (٤١) عنواناً من أصل ٣٣٥ أي ما يساوي ١٢٪ وأحسبها الآن لا تزيد على ١٪ غير قليل .

ونعود إلى ما كنا فيه حيث تركنا المؤلف السعودي يعاني (الأمرين) من الطبع ، وأقل ما في عوامل المراجعة قلة المطابع الوطنية ، وضعف إمكانات الموجود منها ، وارتفاع التكاليف . أجل ، لقد امتلك الأهلون — تدريجاً — وسائل الطبع والنشر ، وقد رأينا جمعاً من هذه الكتب وعليها أسماء المؤلفين وأسماء المطابع ، والمكتبات ... والناشرين .

هذا حاصل ولاشكّ ، ومن المؤلفين من يعتمدون على أنفسهم اعتماداً كلياً في الصرف على الكتاب اعتمادهم عليها في التأليف ، وهذا أعلى الدرجات فيما نحن فيه ضمن النظام القائم — وهو حاصلٌ فيعلّاً على وجهه يذكر ، وقد أورد على سبيل المثال — المثال فقط — مؤلفات الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، ومؤلفات الأستاذ حمد الجاسر ، وهؤلاء نظائر جزءاً أو كلاً وإن كنّا نرى القاعدة أكثر انطباقاً على مؤلفين من طبقة الشيوخ من الرعيل الأول والثاني منها انطباقاً على الذين جاءوا بعدهم — مع علامة من التعجب إذ ترى بيّن هذا الجيل من اممتلكوا من مادة الأدب والعلم ما يؤلف كتاباً أو ديواناً وامتلكوا معه المال — والمال الغزير أحياناً — ولكنهم لم يتقدّموا خطوة في الطبع والنشر !

إنّ الذين جاءوا بعدهم يؤلفون كذلك ، ولكنهم يعتمدون أكثر ما يعتمدون لدى الطبع على وسائل لا يقوم الصرف فيها من (جيهم) الخاص كأن تكون

جهة رسمية أو جهة أهلية ، ولانذكر هذا من باب الاعتراض ، وإنما من باب إقرار ما هو واقع على وجه من الظهور ، وفيه من المستجاد ما فيه ... مع مَحذُورٍ صغير هو ما يدفع المؤلف إلى التفكير بالربح أكثر من التفكير بالتأليف ، وما يدفعه إلى الاعتماد على (الغير) أكثر من الاعتماد على النفس ، ثمَّ إنه لا يفكر بالقارئ قدر تفكيره بالجهة التي ستولى طبع كتابه ، أو تعضيد طبعه ، أو شراء كمية كبيرة منه ، في رغباتها وأهدافها وشرائطها ... وربما ساعدت هذه الجهة مالياً لمعنى المساعدة دون أن يكون الكتاب مما يهمها ويغرض النظر عن الجودة والرداءة .

ثم إذا حدث لهذه الجهة أهليةً كانت أم رسمية ... داعٍ إلى الفتور في الطبع والنشر ، انعكس هذا الفتور على التأليف والمؤلف . أما القراء فلم يكونوا طرفاً رئيساً في القضية ، والذي يقرأ منهم كان يجد الكتاب بسعر مقبول ، فإذا ارتفع السعر استغلى الكتاب وتردد في الشراء أو انصرف عن اقتنائه ، ولا يجد حينئذ المؤلف مُسَوِّغاً للاعتماد على نفسه ، ومن ثمَّ لا يجد المسوغ في التأليف أمّا لو كانت العلاقة وطيدة بين المؤلف والقارئ — منذ البداية — ولا تدخل بينهما الجهات الخارجية من رسمية وشبه رسمية وأهلية إلا بحدود العامل المساعد ، والوسيط الذي يَمُدُّ يده لإسناد الاثنين بقدرٍ مقدر من نظرة تسعى بهما إلى الوقوف على أقدامهم والسير بعد ذلك في قوّة وثقة ... لو كانت لما تأثر موقف المؤلف كثيراً . ومعنى هذا وجوب أن تستقرّ تقاليدُ يكون فيها للمؤلف قراء يتابعونه ويسألون عنه ويطلبون كتابه .

قد تكون الفكرة — هنا — غير واضحة ، وقد يعود بعض من غموضها إلى جِدَّتِها ، ووجوب التأمل طويلاً فيها ، وأن يشترك كثيرون ممن يعنيه أمر الكتاب في التأمل والمناقشة ... وكأنني أريدُ أن أقول : إنه لا بُدَّ لنا من السعي الطبيعي لإيجاد القارئ الطبيعي ، فإذا وُجِدَ استمرت سوق الكتاب مهتماً يعرض للجهات الخارجية من عوامل قد تدعو — منطقياً — إلى الفتور . إن من صحة

المطبوعات أن تستحيل تقليداً شعبياً ، ولا بأس بعد ذلك — أو قبل ذلك — من رعاية رسمية — أو أهلية — في حدود النظرة المستقبلية السليمة المدروسة .

دور النشر في المملكة :

وهنا يأتي دور الكلام في الخاتمة على دور النشر . وقولنا : يأتي دور لا يعني جودة الكلام عليها فلقد رأينا ذلك على وجه خاص في المقدمتين الثانية والثالثة ، فضلاً عما انبث خلال « المعجم » وكانت الدور في كثرتها وتكاثرها تدل على نفسها ... وقد رأينا (تهامة) تبرز — بعد الحد المحدد — أمراً مدهشاً ، لافتاً للنظر ، عجباً ... وفاتنا أن نذكر دار الشروق قبلها . وكلتاها في جودة .

ولوبدأنا بالبداية — بعد التمهيد ، لوقفنا عندما نشر (على نفقة) مميزين مكان الملك عبد العزيز ثم آله والأثرياء من وجهاء البلاد وفيهم حسن شربتلي ... ومحمد سرور الصبان وغيرهما وغيرهما . وكانت لذلك النشر ضرورته ، ثم زالت الضرورة تدريجاً بانتظام المؤسسات الحكومية وقيام الوزارات . ولكن مؤسسات الحكومة — في مثل النظام القائم في المملكة — ليست دور نشر بالمعنى الصحيح . إن دار النشر هي جهة أهلية يقصدها المؤلف بمخطوطه ليتفق وإياها على طبعه ونشره وتوزيعه بعد الاتفاق على حصته المالية لقاء جهده . وهذه غير تلك ، وغير « المكتبة » التي تختار كتاباً تحسبه رائجاً (من التراث عادة) وتطبعه وتذيعه وتحتكر ربحه — وقد رأينا منها أمثلة غير قليلة ...

إن دور النشر بالمعنى الاصطلاحي حديثة النشأة في البلاد وأصل النشأة متأثرة بالدور اللبنانية خاصة . ولا بأس بالنشأة المتأخرة ، إن كان التأخر فيها طبيعياً ، فنشأة الدور تستدعي خطوات سابقة عليها ، وقد تهيأت تلك الخطوات على مر الزمن ، وكان آخرها (دار اليمامة) بمعنى من المعاني ، والدار السعودية بمعنى آخر من المعاني ؛ وتمثل الاثنتان خطوات ذات بال ، جديرة بالذكر ، وهما آخر ما شهدنا في المملكة قبل وداعنا إياها (١٣٨٨/١٩٦٨) وحتى الحد المحدود لنهاية المعجم (١٣٩٠/١٩٧٠) . ومن ثم لا ندري السبب الدقيق — لبعثنا عن موقع الأحداث —

لتكاثر دور النشر بعد ذلك ، وتنوعها ، وتوزعها على المدن الكبرى من المملكة ولاسيما جدة والرياض ، ولك أن تقول الرياض وجدة ... وقد عددنا بعضها . ويمكن أن نستدرك ونزيد ونستعيد - مع إمكان القوات والنسيان والجهل وهو كثير - ولا بُدَّ من أن يكون الربح - أياً كان مصدره - في أسباب هذا التكاثر . ولا بُدَّ من أن يدخل المصدر الرسمي على رأس تلك الأسباب .

في الرياض - غير دار اليمامة ، ومؤسسة اليمامة الصحفية ، ومؤسسة الجزيرة الصحفية ، ... والدعوة - :

دار الوطن ، دار العلوم ، دار المريخ ، دار الرفاعي ، دار الأشبال ، دار الأصالة ، دار الرسالة ، دار الرشيد ، دار الرياض ، دار الصحراء ، دار طيبة ، دار اللواء ، دار الناصر ، دار نجد ، دار الهدف ، دار اليقين ، الدار الوطنية ، الشركة السعودية للتجارة ، عالم الكتب ، دار الكتاب الجامعي ، دار الكتاب العربي ، دار المعارف السعودية ، مؤسسة خدمة العلم ، مؤسسة الأنوار ، دار الفیصل ، دار الهداية ، دار أمية ، الفاخرية ، مكتبة المعارف ، وكالة تبر - غير ما تنشره الوزارات والجامعات .

وفي جدة ، غير مؤسسة تهامة التي لم تمر فرصة دون الإشارة إلى إدارة النشر والمكتبات فيها والإعجاب بها - ونذكر هنا : ان مدير الإنتاج فيها هو الأديب سباعي عثمان - ، وغير الدار السعودية التي كانت قبل ١٣٨٨/١٩٦٨ : دار الشروق وهي نشطة جداً . سبقت تهامة في الظهور . قال ساعاتي في كتابه « حركة التأليف والنشر ١٣٩٠ - ١٣٩٩ ص ١٨٣ : (تعد جامعة الرياض أكبر جهة نشر في المملكة العربية السعودية حيث نشرت ٦٤ عنواناً (...) وتأقي دار الشروق بجدة في المركز الثاني إذ بلغ عدد ما تمكنا من إحصائه من منشوراتها حوالي ٤٨ عنواناً ولعلها نشرت أكثر من ذلك ... أغلب منشوراتها ذات صبغة أكاديمية بحثية .

ويحتل المركز الثالث نادي الطائف الأدبي الذي نشر حتى الآن أكثر من ٣٦ عنواناً ...) .

حتى إذا تأسست إدارة النشر في تهامة بذت ما سواها ففي بحث للأستاذ يحيى ساعاتي (عالم الكتب ، مج ٤ ، ع ١ ، رجب ١٤٠٣ / أبريل ١٩٨٣) بعنوان : حركة التأليف والنشر في المملكة خلال عام ١٤٠٠هـ يضع جدولاً بما نشرته دور النشر والهيئات الرسمية داخل المملكة .

تأتي على رأسه تهامة وقد أصدرت (٢١) عنواناً ، يليها النادي الأدبي في الرياض ، (١٨) عنواناً ، وجامعة الملك سعود ، في الرياض (١٨) عنواناً كذلك ، فدار الشروق (١٧) عنواناً ، والدار السعودية (١٧) عنواناً كذلك فجامعة الإمام محمد بن سعود (١٣) عنواناً ... الخ .

ومن دور النشر في جدة : شركة مكنتات عكاظ ، مكتبة المدني ، محمد سعيد باعشن وعبد الحميد مشخص ، دار البحوث العلمية ، دار المجمع العلمي ، مؤسسة الرجاء للتجارة ، مؤسسة القنديل للتجارة .

وأحدث دار فيها هي دار القبلة للثقافة الإسلامية ، استهلت مطبوعاتها بالجزء الأول من كتاب لأبي تراب الظاهري عنوانه : « ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى والبلايا » ، مطابع سحر د . ت (١٩٨٤/١٤٠٤) .

وفي مكة المكرمة : دار مكة ، دار الرائد ، مؤسسة هديل ، مكتبة الثقافة ... دار عكاظ .

وفي المدينة المنورة : مكتبة الثقافة ، طيبة ، المكتبة العلمية ...

وفي الطائف : دار الزايدي ، دار ثقيف (ونذكر أن صاحبها الأديب عبد الرحمن المعمر) ، دار الحارثي .

وفي الدمام : دار الإصلاح .

هذا ما وصل إلى العلم - وهوليس كل شي - غير ما نشرته الجهات الرسمية (المعارف ، والدفاع ، والإعلام ، والزراعة ، والداخلية ، والحج والأوقاف) والجمعية والنوادي والجامعات ودارة الملك عبد العزيز والمعاهد (مثل معهد الإدارة) ، والمؤسسات الدينية . وما نشرته المكتبات مثل مكتبة التوفيق ، الحرمين ، العلمية ، الرياض الحديثة ، المعارف .

وليس من غرضنا الإحصاء - وما ذاك بمستطاعنا لو أردنا إليه - وإنما أردنا إلى الأمثلة ذات الدلالة . ويحسن الرجوع إلى كتاب ساعاتي « حركة التأليف والنشر » ...

لقد تكاثرت دور النشر على شكل لافِت للنظر ، ولو قلت : إنها زادت عدداً (ونشاطاً محلياً) على ما في أي قطر عربي آخر لما أبعدت (حتى لو أدخلت في حسابك مصر وربما لبنان) والمسألة تدعو إلى الدهشة أحياناً ؟ !

المطابع في المملكة :

ودور النشر تتصل بالمطابع وتعتمد عليها ، والمطابع تسد الحاجة بعض الشيء فكانت المطبعة الرسمية أم القرى (الحكومة) في مكة ، ومطابع الأصفهاني (الأهلية) في جدة مع مطابع أقل شأنًا ! مثل شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر . ومكة ... وربما المدينة ، والدمام خصوصاً يوم كان المؤلف السعودي يفكر بالطبع في مصر أو لبنان قبل أن يفكر بالطبع محلياً حبّاً بنشر أوسع ، وإخراج آتق . وسِعِرَ أرخص ... ، ثم زادت المطابع بازدياد الحاجة أو شعور أهلي بدلالة وجودها ، كالذي جرى في الرياض ، فكانت مطابع الرياض .

وبقي - مع هذا - الطبع في الخارج هو السائد في الكتاب ويكفي أن (دار اليمامة) التي كان صاحبها (الشيخ حمد الجاسر) أساساً في قيام مطابع الرياض . لم يجد ما يسد حاجته إلا في لبنان (إن لم يكن لدوافع أخرى) ومثل دار اليمامة ،

الدار السعودية للنشر ... مع أن العدد قد زاد نسبياً ، وكان من مطابع مدينة الرياض : مطابع نجد التجارية ، ومطابع الفرزدق ... وشركة مطابع الجزيرة ، ومؤسسة النور - غير مطابع الجيش .

ثم توسعت وتطورت مطابع الأصفهاني ...

وجاءت المؤسسة الصحفية وفي صميم نظامها إنشاء المطابع التي تعتمد عليها وقد شرعتْ تُنشيء الحديد أو تُحسِّنُ القديم .

ولك أنْ تَعُدَّ التَّطَوُّرَ في ذلك طبيعياً ضمن أسبابه الموجبة الموضوعية ... كما عده صاحب المعجم وهو قريب منه .

ثم لم يلبث الأمر أن خرج عن مدى تصور البعيد عنه - وحتى القريب أحياناً - وكان ذلك على اتصال مباشر مع تكاثر دور النشر فالمطابع تبحث عن مادةٍ تطبعها ، وهي تطبع المادة التي تبحث عنها دور النشر لنشرها ، ومعنى هذا كثرة المؤلفين والمؤلفات من كل نوع من أنواع المعرفة ، وفي تلك الأنواع غير الحديد . القريب العهد الذي يُعاد طبعه ، والمخطوط القديم الذي يُحقَّق . ويسند المؤلف غير دور النشر ، مؤسسات رسمية علمية أهمها الجامعات وفي عدد منها عمادات شؤون المكتبات ، والمطبعة ، ومراكز البحث (والتحقيق) . ولا تنس النوادي الأدبية والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ... وغير هذه وتلك ...

وقد وقفنا على عدد من دور النشر ، ووقفنا عند المطابع قد تستدعي ربط المطابع الجامعية بدور النشر في وجه من الوجوه ، مع فارق الأساس الرسمي لها وأنها تبذل لمؤلفيها جيِّداً وتذيع مطبوعاتها هدايا وما أشبه .

إن مطبعة كطبعة جامعة الملك سعود (مطابع جامعة الملك سعود) تطبع - غير الكتب - « فهرس معرض الرياض الدولي الخامس للكتاب » ١٤٠٣/١٩٨٣ بـ ١٢٦٠ صفحة من قطع كبير وإتقان منقطع النظير . هي مطبعة - أو مطابع - كبيرة الشأن .

وتزداد المطابع على أية حال ...

ولو ذكرتُ المطابع التي تتعامل معها إدارة النشر بمؤسسة تهامة (جدة) وحدها
لكان في عددها - لو استطعت الدقة في ضبطه - دلالة ، وهذا الذي تهياً منها :
في جدة : شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، مطابع النصر ، سحر ، المطبعة
العربية ، الروضة ، دار البلاد ، دار العلم للطباعة والنشر ، دار عكاظ للطباعة
والنشر ، دار الأصفهاني - وربما غيرها ا

ومن مطابع جدة مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، مطابع البنوي ، مطابع
مؤسسة القنديل ، مطابع دار المجمع العلمي ، مطابع مؤسسة الرجاء ، أوفست
المدينة ، دار الفنون .

وفي هذه المطابع ما لم يكن له وجود أو احتمال وجود قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ .

وتكثر المطابع في الرياض على ما لم يكن يمتد إليه يوماً خيال - أو حلم -
الشيخ حمد الجاسر ... فبعد الذي رأينا ، ومطابع اليمامة ، ومطابع مؤسسة الجزيرة ،
تأتي مطابع إذا فاتنا حصرها فلا يفوتنا ذكر ما تهياً لنا منه : مطابع الشرق الأوسط ،
شركة الطباعة العربية السعودية ، المطابع الأهلية للأوفست ، مطابع وإعلانات
الشريف ، مطابع القصيم ، المطبعة اليوسفية ، المطابع الوطنية الحديثة ، مؤسسة
الأنوار ، مطابع المنطقة الوسطى ، مطابع دار الهلال ، مطابع النصر الحديثة ،
مطابع الخالد للأوفست ، مطابع الإشعاع ، مطابع الأمل ، مؤسسة المنار الطباعة ،
مطابع بحر العلوم ، مطابع اليمامة ، مطابع البادية للأوفست ، مطابع حنيقة ،
مطابع المجد التجارية ، مطابع أبو نزار ، مطابع مرامر ، مطابع النهضة ، مطابع
بطاقة دعوة ، مطابع الشمس ، مطابع السفراء (سفير ؟) ، مطابع صقر الجزيرة ،
مطابع الوطن الفنية ، مطابع البكيرية ، مطابع الشهري ، مطابع الفيصل التجارية ،
المطبعة النموذجية ، مطابع السامر ، مطابع دار العلوم ، مطابع القوات المسلحة .

قال ساعاتي : (تضم مدينة الرياض وحدها أكثر من سبعين مطبعةً تتفاوت مستوياتها) .

وإذا ذكرنا مطابع جدة والرياض علينا أن نتصور أحدث ما في الأحداث في عالم الطباعة . وفي الخبر : أن « الشرق الأوسط » تستعمل الأقمار الاصطناعية . ثم إن المطابع القديمة لا بُدَّ من أن تطور نفسها ولم تلبث مطبعة الزايدي في الطائف أن صارت مطابع الزايدي .

وفي مكة قامت - غير ما رأينا من مطبعة الحكومة ، وقريش والثقافة - دار مكة للتأليف والنشر فقامت معها ولها دار مكة للطباعة ، وتوسعت مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ... مع مطابع قد تكون صغيرة أو أصغر، أعرف منها : زمزم ، مطبعة النهضة الحديثة ، الوفاء .

وفي المدينة المنورة : مطابع الرشيد ، المصحف .

وفي الشرقية ، في الدمام مطابع المطوع ، المطابع الفنية ، مطابع التريكي .

وفي أبها : مطبعة العسيري ، وفي حائل : المحيسن ، وفي جازان : الأمل (؟) . قال الشيخ حمد الجاسر (العرب ، شوال ١٣٩٢ / تشرين الثاني ١٩٧٢) : (ومنذ سنتين قام (...) الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي المؤرخ المعروف بإنشاء مطبعة في جازان قاعدة ذلك الإقليم الواقع في تهامة في الجنوب الغربي من المملكة ...) .

(وفي هذا العام وجدت الطباعة في مدينة أبها قاعدة بلاد عسير (...) فأنشئت مطبعتان في تلك المدينة إحداهما باسم الإقليم ، والثانية باسم الوديعه) .

ولسنا بصدد الإحصاء والدقة . ولسنا قادرين على ذلك لو أردنا، ولا بُدَّ من القول هنا ، كما كان بصدد دور النشر ، والمكتبات ، من دراسة خاصة يتوجه إليها متخصص ... لأهميتها وقبل فوات الأوان - وعُذراً عن الخطأ أو السهو .

وتتضافر العوامل ليكثر المطبوع ، ويتعدّد الكتاب ، وأنواع المطبوعات الأخرى ...

ولا تعجب حينئذ أن تقوم في البلاد مجلة متخصصة محترمة كمجلة عالم الكتب...

وتقام المعارض ومنها المعرض الدولي الذي يقام في جامعة الملك سعود ...

وكان مؤلف المعجم يسأل عن السبب في هذا الازدهار - أو ما يبدو ازدهاراً - ويصعب لمثله أن يقع عليه واضحاً أكيداً. ولكن الذي لاشك فيه أن هذه المطابع وتلك الدور ما كانت لتقوم لو لم يكن في البلاد مؤلفون وكتب ومخطوطات ، ولو لم يكن في تلك الكتب الجاهز المعدّ للطبع أو ما ينتظر (لمسات) قبل الطبع.. وإلا فماذا تطبع المطابع وماذا ينشر الناشر؟ هذه بديهية .

ولابدّ من أن يكون مثلها الاستنتاج السهل بأن الدور تربح مالياً ، لأنها قبل كل شيء مؤسسات تجارية ، حتى ما كان منها راجعاً لمالك أديب (والأدباء الذين أسسوا دور نشر في السعودية ليسوا قليلين ، ولا يحسن أن تمرّ الظاهرة دون إشارة إليها ، ودعوة إلى دراستها لتمييزها في موضوعها) .

بدیهي - وواجب أن تربح مالياً دور النشر .

ويتأسّسُ على ذلك أن المؤلف يربح كذلك .

تلك أمور يمكن أن يصل إليها البعيد - فضلاً عن القريب - وهي أحوال دالة على نفسها ، ويكفي أن وصّفناها بالبديهيّة .

ترويج الكتاب وتسويقه :

يبقى بعد ذلك أمران ليسا بديهيّين جداً :

الأول : القاريء - أو القراء - فهل القاريء السعودي يستوعب كل ما تنشره دور النشر السعودية فضلاً عما يترد إليه سهلاً من الخارج وهو غير قليل ؟ ويدخل في الاستيعاب كل معانيه حتى المالية .

لاشك في أن المثقف السعودي قاريء جيد ، ولكن الشك في الكمية (والعدد) وليس الموضوع - هنا - موضوع الكيفية والنوع . وهو قادر - عموماً - على الأثمان المالية للشراء ، إذا أراد حتى لو بدأ سعر الكتاب الواحد غير رخيص .

ومع هذا ، يبقى الشك في العدد ، وربما فاق المطبوع قدرة القراء وعددهم وأبواب تلقيهم . أنا لاشك في أن هناك مؤلفين يفرضون - أو فترضوا - أنفسهم ، وأن هناك موضوعات معينة كذلك ، ولكني أحسب أن المطبوعات أكثر من القراء ، وقُلْ : أكثر من الذين يتقدمون طوعاً للشراء من المكتبات .

ويزيد من تضيق هذا الباب أن دور النشر السعودية على كثرتها ونشاطها تبقى محلية طبع وتنشر لقراء من البلاد نفسها ، ومهمتها يكن عدد القراء أو الذين يشترون الكتاب منهم كبيراً فإنه يبقى دون المطلوب الذي يسد النفقات ويوفر الأرباح - ولا تقنع دور النشر بأرباح قليلة وإلا لما كانت بهذا العدد ، ولوجدت إلى الأرباح طرقاً أخرى خارج عالم الطبع والنشر .

لم تفكر هذه الدور جدياً في إخراج الكتاب السعودي عن محليته . لقد نجحت كثيراً في (جمالية) الإخراج ، ولكنها بقيت تدور - أكثر ما تدور - في موضوعات محلية - وقُلْ سعودية - قلما كسبت - النطاق الواسع الذي يهيئ لها سوقاً خارج المملكة زد على ما يضرب عادة على الأسواق الخارجية من أنطقتة صعبة الاجتياز لدى التصدير ، ولدى التفاهم على العملة الصعبة (أو السهلة) .

وأستدرك وأقول : إن في هذا العدد الضخم من المطبوعات السعودية ما يمكن أن يتخذ صفة العموم ، وأن يتهم قارئاً عربياً أو غربياً بهذا العموم الذي يعنى به وإن كان هذا قليلاً (أخذاً بالتزايد ... قليلاً كذلك) ...

ثمَّ أَسْتَدْرِكُ وَأَقُولُ : إنَّ من الباحثين والقرّاء خارج المملكة سواء في الأقطار العربية أم في العالم من يَهْمُهُ أن يَقِفَ على خُصُوصِيَّةِ بِلَدٍ مَّا . ولاشكَّ في أن في المطبوعات السعودية خصوصية مَّا ...

ثمَّ هناك ما هو أوسع في الدلالة ، فليس هناك كتاب يُصَدَّرُ وكتاب لا يُصدَّرُ ، لأنَّ المفروض بأي كتاب عربي أن يكون له مكان مَّا في أي قطر عربي ، ومعنى هذا أن تَتَكَوَّنَ لجنة أو مؤسسة خاصَّةٌ تأخذ على عاتقها إيصال الكتاب السعودي إلى الأقطار العربية وإلى من يَهْمُهُمُ أمره خاصَّةٌ ، بكل الوسائل من التجارة والمقايضة إلى المعارض إلى الإعلان إلى الإهداء ...

وَيَبْدُو لي أَنِّي أطرق موضوعاً لم تمنحه دورُ النِّشْرِ حقَّه في خدمة الكتاب ، وخدمة الدار ، وخدمة الثقافة العربية كلها ، وكأنَّها رُضِيَتْ بالرَّيْحِ وهو حاصل من أقصر طريق ، ولعلها حاولت مرَّةً أو مرتين فتراجعت عند أوَّل مُشَبِّط . والذي يُصِرُّ يصل كما حصل - مثلاً - لمجلة « الفيصل » ، وما يمكن أن يحصل جداً لمجلة « عالم الكتب » لو ...

إنَّ مسألة تسويق الكتاب مسألة أخرى تُشِيرُهَا وَجَدِيرٌ أن يتدارسها أهلها ، ولكنها ليست مسألة أخرى لنا في حدود خاتمة لمعجم المطبوعات العربية - السعودية.

ونعود إلى الأمر الثاني ، وهو الحكوميَّة ، وهي أساسٌ في أرباح دور النِّشْرِ (والمطابع والمؤلفين) ، ومعلوم جدًّا أنها تُقدِّم في ذلك تشجيعاً مالياً كبيراً بقواعد صارت مقررة يعرفها الناشر والمؤلف ويُستَفَعُ بِهَا إلى أقصى الحدود ... وفي الحكومة جهاتٌ مختلفه من الوزارات والرئاسات والمؤسسات ، والتشجيع المالي المجزي يَرِدُ مرَّةً مُباشرة ومرة غير مباشرة ، ولكنه يَرِدُ على كل حال .

وهذا موضوع جدير ببحث خاص ، ويستطيع أن يقول الذي يعرفه عن قُرْب الكثير النافع ... والحكومة مشكورة على تشجيعها ، ولكن للحكومة ظروفها

وسياستها ومشاكلها الأخرى الأهم لديّها ثم إنّ الكثرة في دور النشر والمطبوعات - في هذه الحالة - لا ترصد علمياً المستوى الثقافي الشعبي ، وهنا نعود إلى ضرورة تكوين القاري والاعتماد عليه ، وأول خطوة في تكوينه أن يرد العزم الأكيد في مخطط الناشرين والمؤلفين والمشتجعين .

قضايا المطبوعات كثيرة ، جديرة بالإثارة فضلاً عن الدراسة والبحث ، وفي المملكة من وسائل الدراسة ما يمكن أن يصل إلى كثير من الحقائق ، ويكفي ما في جامعاتها من عمادات لشؤون المكتبات ، وما في أقسامها من أقسام للمكتبات ... ومع العمادات والأقسام أساتذة مُتَخَصِّصُونَ درسوا (الكتاب) على أصوله ، وحصلوا فيما درسوه الشهادات اللائقة من ماجستير ودكتوراه ، من مصر أو من أمريكا أو أوربا أو من غيرها . في كتاب أصدرته جامعة الملك سعود ، عمادة شؤون المكتبات بعنوان : « مستخلصات رسائل السعوديين لدرجة الدكتوراه » الرياض ، العمادة ، ١٤٠٣/١٩٨٣ يشتمل على (٣٩٣) ، منها (٣٩) باللغة العربية ، والبقية باللغة الانكليزية - تنظر عالم الكتب مج ٥ ، ع ١ ، ص ٢٥٧ . تضاف إليها التجارب الخاصة بمطبوع بعينه في نشأته وتطوره ، وما هو خير وما لا يُراد له من نشر ... فعليهم تقع المسؤولية في البحث وإليهم نُشير وبهم نكتفي ... ونختصر ، وإلا فالكلام كثير والمسألة تطول ... - والأقربون أولى بالمعروف .

لقد سارت المطبعة قدماً ، وزادت دور النشر تكاثراً ونشراً ... كما سارت مكتبات البيع قدماً وتكاثراً واهتماماً بالكتاب السعودي . فحفت الشكوى أو زالت . ولم يعد المجال واسعاً إزاء مقالة الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ (كاتب الحلي) بل إن الذي حصل تحقيق لمطلبه حين قال : (... ولكني أعتقد أنه لن ينقذ كتابنا المحلي من وضعه ...) إلا أن تُنشأ مؤسسة كبرى تتولى توزيع المؤلفات المحلية وتنفق على نشر ما ترى نشره منها . ولا شك في أن هذه المؤسسة ستكون قادرة على أن تضمن للكتاب المحلي مكاناً ملائماً في معظم مكتباتنا التجارية ، وأن تُقنّع رواد هذه المكتبات بأن علماءنا ومفكرينا لم ينتجوا بضعة كتب فحسب ، ولكنهم

قد أَلْفُوا في علوم الدين واللغة والأدب والتاريخ وشؤون الفكر الأخرى ما قد
تمتليء به رفوف المكتبات في بلادنا ، ولاسيما إذا ما ساعدت هذه المؤسسة في
نشر ما خُطَّ ، وإعادة طبع ما نفذ وتشجيع ما سُود .

لقد تحقق هذا وما هو أكثر منه ؛ فلقد تأسست أكثر من مؤسسة واحدة ؛
وفي المؤسسات ما فتحت مكتبات تجارية لنفسها ، ومنها ما طبع كتباً في العلوم
الصرف ، وشرع بطبع لمؤلفين من خارج البلاد ... ويُحاول - ولا بُدَّ من أن
يصل - إخراج الكتاب المحلي عن محليته موضوعاً وسوقاً .

عَتَبٌ ورجاء .. !! :

وبعد : فقد قال مؤلف «المعجم» أكثر من مرة : إنه وفَّر ٩٠٪ لحدِّي كتابه بين
١٩٢٥/١٣٤٤ - ١٩٧٠/١٣٩٠ ولا بُدَّ من أن يحسب لك ١٠٪ الباقية حسابها ،
ورجا القراء من كل نوع التَّفَضُّل بالتعاون على تسديدها ببيان النقص وتعيين
المصادر إلى الكمال وإلا فَمَهْمٌ طرف - وليس محوالة - في تحمل المسؤولية قال
ذلك وقد عاش قريباً من جملة المادة في السعودية نفسها وهنا يَرِدُ مكان الإشارة
إلى ظاهرة قد تكون سعودية وقد تكون عامة . خلاصتها أنك نشرت مادة المعجم
في مجلة « العرب » على حلقات لأسباب في رأسها طمعتك بالتنبيه على الخطأ ،
والإسهام في رَدِّمِ الهُوَّةِ ، والتطوع في متانة الأساس ، وأنتَ أعلنت ذلك منذ
البداية و (ظَلَمْتَ) في كل حلقة تطلب ملاحظات القراء و (تستجديها) ، وكان
الحاصل قليلاً ... جداً . هذا وَجْهٌ من الظَّائِرة : أما الوجه الثاني فإن الحاصل
القليل الذي يَرِدُ إليك يفتَرَن عادة بحالة خاصة هي أن القاري لا يُنبِّهك إلا إلى
خطأ يتصل بشخصه مباشرة مع علمه بخطأ أكبر . وقدُرتَه على نفع أعم .
ويخبرني هنا مثل الأستاذ محمد حسن كتيبي . وهو أديب حجازي (ولد في مكة
المكرمة سنة ١٣٢٩) وله في « وحي الصحراء » صورة ونماذج ثرية واسعة تختم
الكتاب - بعد أن فات ذكره في « أدب الحجاز » . والأستاذ الكتيبي عارف بخير

بالكتاب السعودي والحجازي خصوصاً ، وكان يقفُ على « العرب » وعلى حلقات « المعجم » في العرب ويتقِفُ خلال ذلك على نقْص يستدعي السدَّ ، وخطأً يتطلب التصويب . وانتظرتُ ولمْ أَفْزُ . وجاء تسلسلُ اسمه الكريم من المعجم ووقع خطأً – لا أدري كيف – فجاء لدى التعريف به (أنه عمل مُدرّساً بالمدرسة الصولتية بمكة) فانبَرَى – حينئذ – مشكوراً ونَبَّه إلى أنه عمل في مدرسة الفلاح وليس في الصولتية. ففرح المؤلف وخَفَّ يَصَحَّح ويستدرك . ويقول في نفسه : لا بُدَّ من أن يكون في حلقات المعجم أغلاط أخرى ، وإنَّها لكائنة ولكن المشكلة في الذين يتفضَّلون بالتنبيه .

هذا ما قاله في نفسه آنذاك ، وقد مرَّ على الحادث سنتان أو أكثر ، عاد بعدها يُحوِّلُ الحلقات كتاباً وإذا به هو نفسه يرى من الفوات الكثير ، والخطأ الكثير ، ويصحح هو نفسه ما يُشيرُ عجباً ، وكان جميلاً لو نَبَّههُ إليه المعنيُّون أنفسهم ، العارفون ، العالمون... ترى ما ضَرَّ لو نبَّهه مُنَبِّه مثلاً على فوات اسم : عبد الهادي محسن الفضلي ؟ أكان عليه أن ينتظر طويلاً ، فيصدر « دليل الكاتب السعودي » (١٩٨٤/١٤٠٤) ليقرأ أنه من مواليد الأحساء ١٣٥٤ وحاصل على الدكتوراه ، ويعمل أستاذاً مشاركاً في اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة الملك عبد العزيز بجدة . وهو عضو إداري في النادي الأدبي الثقافي في جدة . ويذكر مؤلفاته ، ويهمنها منها – تأريخياً – « مبدأ الاشتقاق في اللغة العربية ١٣٩٠ هـ » وله مؤلفات أخرى متأخرة عن هذا التاريخ : « مختصر النحو » « مختصر الصرف » « القراءات القرآنية » « اللامات » « في علم العروض » . ويذكر أنه حصل على الماجستير برسالته « أسماء الأفعال والأصوات » ١٣٩٠ هـ وعلى الدكتوراه بـ « قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية » ١٣٩٥ ، وأن « مختصر النحو » طبع سبع مرات . ويحتمل أن تقع الأولى ضمنَ حدود المعجم أو على حدوده . ويذكر ساعاني « مختصر النحو » . جدة . دار الشروق ١٩٧٦ – ٢٦١ ص .

الأستاذ الفضلي – هنا – مثلٌ واحدٌ على الفوات ، يدل على ما سواه . وتقع

مسؤولية الإخلال على مؤلف المعجم والفضلي نفسه ، وقرأء مجلة « العرب » كذلك .
واليوم ، وقد أصلح ما أصلح واستدرك ما استدرك وزاد ما زاد ، مازال هو هو كما
بدأ أول مرة يرجو ويُلِحُّ في الرجاء بالتنبيه على النقص ، والإشارة إلى المصدر
الذي يسدُّ الخلل — ولا يَبْئَسُ . وَلَا يَفُوتُهُ أَنْ يَكْرُرَ الشكر لمن تفضل فدّل على
غائب ورفع من بناء .

هذا ما قاله مؤلف مفرد (غريب) وما عاناه ... ولكن الذي يقوله أبناء البلاد
من الباحثين في الموضوع وما يعانونه ليس بالقليل فطلما شكّا الأستاذ يحيى ساعاتي من
قعود المؤلف السعودي عن عونه في أعماله الخيرية .

المؤلف الغريب فرْدٌ ، والمواطن السعودي فرد كذلك فما ظنّك بمؤسسة
نشطة قوية متنفذة كالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون وقد عازمت جادة على
صنع « دليل الكاتب السعودي » فما جاء عملها كما تريد ، وسجّلت شكواها
في مطلع كتابها « دليل الكاتب السعودي » — الرياض ، مطابع الفرزدق التجارية
١٤٠٤/١٩٨٤ — ٣٠٤ ص — فمالت : (...) كانت الجمعية قد بعثت أكثر من ألف
رسالة مع استمارة البيانات الخاصة بهذا الدليل ، إلى كتابنا وكاتباتنا للمشاركة في
هذا العمل ، كما أعلنت عنه في الصحف المحلية ، ثم أرسلت استعجالاً للذين
لم تصل ردودهم . وكاد هذا المشروع — على أهميته — يتأخر تنفيذه طويلاً لعدم
وصول كل الردود ...) .

وحسناً فعلت إذْ أصدرت الذي تهيأ لها ليكون أساساً تكمله وتصلحه في
طبقات قابلة كما وعدت : (ومن هنا فكرنا في أن يصدر الدليل في طبقات متتابعة ،
رما هذه الطبعة سوى بداية ، وستعقبها أخرى مزيدة) راجياً أن تكون الطبقات
القابلة أكثر تفصيلاً في حياة الكاتب وأكثر — أيضاً — في الكتاب نفسه في نوعه
وتاريخ طبعه ، وموضوعه ، وعدد صفحاته ...

الوصية باستمرار تأليف هذا المعجم :

ويأتي — حينئذ — وقت الوصية — وهي جزء من هذه الدعوة ومُتَمِّمٌ لها

ولعمله . فهذا آخر عهد المؤلف بالمطبوع العربي السعودي ، وقد بدّل ما وسعه من جهد ، واستنفد ما أمكنه من وسائل ، وهو إذ يودع الدنيا (دنيا المعجم - والموت حق) يوصي بآلا يقف المعجم من الحد الزمني حيث وقف (١٣٩٠/١٩٧٠) فهو أقرب إلى أن يكون حلقة أولى تتبعه حلقة ثانية في الظروف القائمة (وثالثة ... ورابعة ... على مرّ الزمن وتوالي الأجيال ...) .

تبدأ الحلقة الثانية من ١٣٩١/١٩٧١ ... ويمكن أن تقف عند ١٤٠٥/١٩٨٥ فقد جدّ خلال هذه السنوات الـ ١٥ ما يُكوّنُ مادة كافية ، ويمكن أن تمتدّ قليلاً قليلاً بحيث تستغرق (٢٠) عاماً ، أو (٢٥) عاماً حسب طاقة الأخ - أو الابن - الذي يتولى تنفيذ الوصية - وخيرُ البرِّ عاجلهُ .

وأعلم - وأنا أقرُّ وأعترفُ في حال من الصحة والعافية - أن شيئاً من هذا قد عمِلَ وأقصد ما ألفه الأستاذ يحيى محمود ساعاتي في كتابه « حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية ١٣٩٠ - ١٣٩٩ » ، وأعلم كذلك أن الأستاذ (الدكتور) ساعاتي يُعيدُ النظّر في كتابه فيستدرك ويصحّح وي زيد ... وأعلّم إلى ذلك تخصّصَ الرجل في الكتاب وهو آتته فيه وأقدّرُ خلال ذلك ما يمتلك من (بطاقات) بما يصدر ...

أعلّمُ هذا ، ولكني في وصيّتي أريدُ منهجه في « حركة التأليف والنشر » إذ يذكر اسم المؤلف واسم الكتاب ، ومكان الطبع ، وتاريخه ، وعدد الصفحات ... وهو ما سمّيته العمل البيليوكرافي (المكتبي) الصّرف ... وأريدُ ما هو أزيد ، فما هو في منهج « المعجم » العتيّد ، فالزّيمُ مُنفذ الوصيّة بما ألزمتُ به نفسي مما ليس يَلزَمُها ، فبَعْدَ السّير على حروف الهجاء لأسماء المؤلفين (أو المحقّقين أو المترجمين ...) يرد التعريف بالكتاب في موضوعاته ومنهجه وسطور من المقدمة والخاتمة ... وبيان صلته بما سبقَ إنْ وُجِدَ ، وما لحقَ للمؤلف نفسه

أو لغيره ؛ ويتردُّ بعضُ ما قيل فيه إيجاباً أو سلباً ؛ وما يمكن أن يتَّهياً قوله لصانع المعجم في حدود علمه ورأيه من غير مبالغة أو مجازفة ؛ وربط ما في الحلقة الثانية بما في الحلقة الأولى لدى وجود الرابط ... وأشياء أخرى تكررت الإشارة إليها أو يستنبطها استنباطاً ويبتكرها ابتكاراً إذا كانت له تجربة في البحث والتأليف ، أو يضع نفسه موضع الباحث إذا لم يكن ... وأن ينشره حلقات في مجلة تعرف قدر الكتاب ، ويطلب التنبيه على الخطأ ، ويرحب بما يرد إليه ومن ثمَّ يُقدِّم كتابه إلى الطبع ... مستعداً لتلقي الملاحظات ، سائراً قدماً إلى الحلقة التالية ...

وإنِّي أقرُّ وأعترفُ في حالة من الصحة والعافية أنَّ هذا عملٌ صعب ، وأنَّ تجاوب المؤلفين فيه قليل ، ولكنني أقرُّ وأعترفُ أنَّ الحلقة الثانية ستكون أنقى وأقل صعوبة من الحلقة الأولى التي تعاملت مع مادة فيها ضائع كثير وفقيد كثير وضمن تجربة جديدة أصابها ما يصيب أية تجربة جديدة من تعثر أو تدأخل أو اضطراب تبقى آثارها مهما يحاول صاحبها التخفيف منها . ثم إنه عمل مفيد جيداً ، ولا بُدَّ من أن يكون ، ولشئ يُصنَّع والمادة متوفرة والشباب مساعد خير من أن يبحث عنه في الزوايا والظلمات بعد فوات الأوان .

مركز تحقيقات قاتورة علوم رسيدي

والمسألة مسألة موسوعة مكتبيَّة ، تخدم الباحث خدمةً جليَّةً ، إلى جوار كونها معجماً مكتبيّاً .

وبإمكان النوادي الأدبية والجمعية العربية السعودية أن تُقدِّم خدمات خاصة في هذا الباب للعديد الكبير الذي تضمه من الأدباء والمؤلفين . وما يحسن أن تحتفظ به هي - وأية جمعية أو مؤسسة أخرى - من (استمارات) خاصة بكل عضو من أعضائها ، فاسيحة لمؤلفاته مكاناً خاصاً واسعاً ... وإذا كانت الجمعية قد أصدرت « دليل الكاتب السعودي » فقد أدركت أهمية أن يكون للكاتب السعودي دليل .

وبعد : فإن هذا الذي رآه القاريء في المقدمات والتمهيد وفي صلب المعجم وخاتمته خاصاً بقطر عربي بعينه (هو المملكة العربية السعودية) ليس خاصاً به بكل معنى الكلمة ، وإن الخبرة التي انبثقت منه أو فيه هي سعودية وليست بنيت السعودية وحدها ، فالكتاب السعودي - هنا - هو المدار ووسيلة الإيضاح ، ومركز الاهتمام والتجربة . وطِماح المؤلف أبعد ، ودعوته أوسع . والمؤلف إذ يتخص الكتاب العربي - السعودي بما يبذل وجهداً خاصاً فإنه لا يدعي لنفسه فضلاً ، وإنما الفضل للكتاب نفسه حيث وفر له الفرصة التي يُعربُ فيها عن نفسه ، والمُجَلّي الذي يستغل فيه هوايته ويتصرف بما تهيأ له من خبرة ... إنه يُعجبُ الكتاب وهذا كل ما في الأمر ، وهو الشاكر الفضل - وكان (أدكار ألن يو) يقول الشعرَ شَغَفًا .

علي جواد الطاهر

يوم الخميس ١٠٤٥/٣/٨ هـ

يوم الاثنين ١٤٠٤/١٠/٣ هـ

بغداد - الجادرية

١٩٨٤/١٢/١ م

١٩٨٤/٧/٢ م

٩٢٣/ق ١٥/٢٥

لهم عذرتي.. ولكن..!

عتب أستاذنا الكريم (ص ٣٦٦ وما بعدها) على القراء في بلادنا : وانصب عتبه على ما اعتبره ظاهرة قد تكون خاصة بهم ، من سماتها عدم التجاوب مع الكاتب من خلال ما نشر في هذه المجلة طيلة خمسة عشر عاماً وفي نحو سبعة وخمسين نصلاً ، عن « معجم المطبوعات العربية في المملكة » حيث دعا ورجا وألح أن يُنسبَ على الخطأ أو القصور ، وألح إلى جوانب من ذلك مما لم يلق من أولئك القراء اهتماماً بها .

من حق أستاذنا الجليل أن يعتب ، ولكل معنٍ بدراسة تلك الظاهرة أن يأسى ويأسف لتغلغلها في النفوس ، وقد قيل : (العرب لا يقرأون) وهذا أكثر انطباقاً على مثقفي هذه البلاد في موقفهم حيال هذا المعجم المنبثق من ثقافتهم ، المتصل بحياتهم الأدبية ، فكانوا أولى بالاهتمام به من غيرهم ، ومن يدري ؟ فقد يبدو من بينهم بعد برونزه من يتخذ منه موقفاً آخر .

أفترى لهاؤلاء من عذر ؟ أجل ... ولكنه عذر ... وكفى !

تاريخ المدينة المنورة

لعمر بن شبة النميري (١٧٣ / ٥٢٦٢ هـ)

[انظر « العرب » ص ١٩ ص ٥٨٩ وما بعدها]

- ١ -

وَأَمْضَيْتُهُ أُسْبُوعاً كُنْتُ فِيهِ فِي الْقَاهِرَةِ (من اليوم الثالث من جمادى الآخرة ١٤٠٥ إلى العاشر) أثناء انعقاد (المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية) أقابل الجزء الثالث من كتاب ابن شبة في أخبار المدينة على صورة مخطوطته ، حيث بدأت من الصفحة الخامسة عشرة بعد المئة وانتهت إلى الصفحة الخامسة والسبعين بعد المئة .

ولا داعي لتكرار القول بأن صعوبة قراءة المخطوطة كانت سبباً في استغلاق معرفة كثير من الكلمات ، مما اضطر المحقق الفاضل إلى الاستعانة بكتب أخرى لمحاولة معرفتها . وبإياديه وقف عند هذا الحد من حيث الاستعانة بتلك الكتب ، بل إنّه اتخذ منها مادة يرجع إليها لإكمال ما يراه من نقص في مباحث الكتاب ، وهو نقص في المخطوطة ، كان عليه أن يشير إلى مواضعه بدون أن يتصرف في أصل الكتاب فيلحق به ما ليس منه ، بحيث لا يستطاع القول بأن النصّ الوارد في مطبوعة كتاب ابن شبة هو من كلام ابن شبة نفسه ، ومن هنا تنعدم الثقة بصحة النسبة إلى هذا العالم الذي يعدّ من أئمة علماء التاريخ والأدب القدماء عند الرجوع إلى هذه المطبوعة من كتابه الذي يعتبر من مصادر التاريخ الإسلامي الأولى ومن أمثلة ذلك :

١ - تسع صفحات، بعنوان (موافقاته رضي الله عنه) أدخلها المحقق في ترجمة عمر بن الخطاب ، وليست من الكتاب - من ص ٨٥٩ إلى ص ٨٦٨ .

ولم يوضح أنها من إضافاته التي نقلها عن كتب منها ما أُلّفَ بعد ابن شبة بقرون .

٢ - سبع صفحات - بل تزيد - تتعلق بوفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - نقلها المحقق من تاريخ ابن جرير ، وذكر أنها برواية ابن شبة ، فأدخلها في صلب الكتاب ، وكان ينبغي أن توضع في الحاشية (ص ٩٢٤/٩٣٢) .

٣ - صفحة أكمل بها بياضاً في الأصل ، نقل ما فيها عن «مسند الإمام أحمد» تتعلق بوفاة عمر رضي الله عنه (ص ٩٣٦/٩٣٧) .

٤ - ست صفحات تحوي نصوصاً تتعلق بوفاة عمر ، نقلها المحقق من كتب مختلفة (ص ٩٤٣/٩٤٩) .

٥ - خمس صفحات عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أضافها المؤلف لِيَسْبَدَ بها أخبار عثمان التي وردت في الأصل مبتورة (٩٥١/٩٥٦) .

٦ - نقص في الأصل بمقدار صفحة ونصف - كتب في الهامش (ورقة واحدة) وقد أكمل المحقق النقص من كتاب «شرح نهج البلاغة» وأشار إلى ذلك (ص ١٠٤٦/١٠٤٧) وتبدأ الزيادة من جملة : (فإني جئتكم أستعذك) إلى جملة : (حتى مات رحمه الله) .

٧ - أما الزيادات التي لا تبلغ الصفحات مما أضافه المحقق إلى أصل الكتاب ووضعه بين أقواس فهي من الكثرة بحيث لا يتسع المقام لإيرادها .

ولقد كان من أثر مقابلة هذا الجزء من كتاب ابن شبة أن مرّرتُ بكلماتٍ وجُمَلٍ ظهر لي أنها لا تتفق مع ما أوردهُ المحقق الفاضلُ في مطبوعته ، مع أنه قد اكتسب من طول معاناة مطالعة المخطوطة ما يَسَّرَ له سهولة قراءتها ، وإدراك مميزات الرسم في كتابتها . ولكن هذا لا يمنع من القول بأن عدم وضوح

تلك الكتابة حال دون صِحَّتِهَا في مواضع يسيرة : أو هكذا اتَّضَحَ لي ، مما سأعرضه للقاري الكريم ، إكمالاً لما بدأتُ به من الحديث عن هذا الكتاب ، وقد استغلقتُ عليَّ قراءة كثير من الكلمات ، فلم أُشِرْ إلا إلى ما اتضح لي وجه الصواب فيه — غالباً — .

١ - ص : ٧٨٧ : - في خبر الحُطَيْيئةِ : (فجُعِلَ في تَقِيرٍ بشرٍ ، ثم أُلْقِيَ عليه حفصه) . وفسر المحقق الحفص . ولكن الذي في الأصل (خَصْفَةٌ) الصاد قبل الفاء . والحروف مهملة ، والخَصْفَةُ هنا أنْسَبُ ، وهي الحَصِيرُ .

٢ - ص : ٧٨٨ - في شعر ابن الحمامة - : (لقد دار هذا الأمر) . كلمة (دار) في الأصل (رات) وقد تقرأ (راث) بمعنى أبطأ .

وفي الصفحة : (ويدعى رياح) . وفي الأصل : (وتدعى رياح) على اسم القبيلة .

وفي الصفحة : (إن الرمضاء قد أحرقت قدمي . قال : بُلُ في موضعهما تبردان) كلمة (تبردان) في الأصل : (يبرد لك) . أي الموضع .

وفي الصفحة : (فألْفَيْتُ الأمانةَ لم يَخُسْهَا) . وفي الأصل : (فألْفَيْتُ الأمانةَ لم يَخُسْهَا) . وهو الصواب ، والبيت مشهور ، من شعر النابغة الذبْياني .

٣ - ص : ٧٩٠ : (قيس بن غيلان) . وفي الأصل : (قيس بن عيلان) - بالعين المهملة - وهو الصواب - انظر « تاج العروس » رسم (عيل) .

٤ - وفي ص : ٧٩١ : (أن إبراهيم شكاً إلى ربه ذرّاً في خُلُقٍ سارة) وفسر المحقق (ذرّاً) قائلاً : أي شيئاً قليلاً . ولكن الكلمة في الأصل ليست واضحة ، وهي إلى (ذَرَباً) أقرب . والذرب حِدَّةُ اللسان وسلطته ، والذَرَبَةُ من النساء السَّليطة اللسان - على ما في كتب اللغة .

٥ - ص : ٧٩٣ : (ولا تدرعوا نساءكم القُبَّاطِي فإنه إن لم يشف فإنه يصف)
وفي الأصل : (... القِبْطِي ، فإنه إلا يشف فإنه يصف) .

وفي الصفحة : (فُلقي علقمة بن عُلَاثة عمر رضي الله عنه خالداً) والصواب
- كما في الأصل : (فُلقي علقمة بن عُلَاثة عُمَر - رضي الله عنه - ليلاً بعد
ما نزع خالداً) .

٦ - ص : ٧٩٤ : (يعني ما كان في قاب علقمة) . وفي الأصل : (عَنَى
ما كان في قلب علقمة) .

٧ - ص : ٧٩٥ : (قال : وادًا : ما هما ؟) كلمة (وادا) في الأصل ليست
مشكلة ، وقد تقرأ (وإذا) .

وفيها (مال هنة) . وفي الأصل (مَاهِنَةٌ) ، وهي الخادمة ، لا كما فسرها
المحقق في الحاشية .

وفي الصفحة : (وأمرنا ، أو قال : وحسابنا على الله) . في الأصل : (وأجرنا)
بدل (وأمرنا) بدون نقط .

وفي الصفحة : (ما كان حديث علقمة إياك وقت البارحة) كلمة (وقت)
هي أشبه بكلمة (منذ) .

وفي الصفحة : (قال يعزره) ليست كما في الأصل التي هي أقرب إلى (يَعدو)
أي يتجاوز حده .

٨ - ص : ٧٩٦ : (اللققة : الحلبة) والذي في الأصل : (اللققة : الرنة) .
والرنة صَوْتُ الحزين وهي المرادة هنا . كما يفهم من أول الحديث .

وفي الصفحة : (عبدالله بن نافع بن ثابت الزبيدي) . وما في الأصل يقرأ -

(الزيري) - بالراء لا بالبدال - وهو الصواب ، فثبت هو ابن عبدالله بن الزبير
« تهذيب التهذيب » : ٥٠/٦ -

وفيهما : (طلحة بن عبدالله) والصواب كما في الأصل : (طلحة بن عبيدالله)
الصحاحي الجليل .

وفيهما : (فعل الجليل أضاع الحق من كتب) .

وكلمة (الجليل) بدون إعجام في الأصل ، ولهذا تقرأ (الخليل) بالخاء وهي
أنسب .

٩ - ص : ٧٩٧ : (أوفوا الطحين ، واملكوا العجين) . كلمة (أوفوا)
صوابها - كما في الأصل - : (أدقوا) أي اجعلوه دقيقاً .

وفي الصفحة : (إذن أمسكك ، لما قيل فيك ، وما في قومك) ونص ما في
الأصل : (إذن أمسيكك لما فيك ، فيك ما في قومك) .

١٠ - ص : ٧٩٨ : (كذب النسَّابون ، ما يرجون قول الله تعالى : ﴿ وَقُرُونَا
بين ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ . في الأصل بدل (ما يرجون) : (فأين) وبها يستقيم الكلام .

وفي الصفحة كما في ص ١٠٠٦ : (حدثنا الحزامي) والكامة غير معجمة
الحروف في الأصل . ولكن الاسم ورد (الحزامي) على الصحيح في الصفحات :
١١١١/١١١٤/١١١٥ وغيرها وهو ابراهيم بن المنذر الحزامي ١١١٦ - نسبة إلى
حزام بن خويلد الأسدي القرشي - انظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » : ١٦٦/١

١١ - ص : ٧٩٩ : (أي بني حلفت تغشانا ، حلفت تائينا) كلمة (حلفت)
في الأصل (جعلت) .

وفي الصفحة : (أثبت في رؤوسنا ما هدى الله وأنتم) ما في الأصل يقرأ :
(إنما أنبئت في رؤوسنا ما ترى الله وأنتم) كذا .

١٢ - ص : ٨٠٠ - : (تبكي بشجوكم) وفي الأصل : (تبكي لشجوكم)

- وفي الصفحة من قول عمر لأبي هريرة : (أو لألْحَقَنَّكَ بأَرْضِ الطَّيْحِ) .
كلمة (الطَّيْحِ) هي إلى (الطَّبِيحِ) أقرب وهذا الخبر أورده أبو زرعة في تاريخه - :
٥٤٤/١ عن السائب بن يزيد بلفظ : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة :
لَتَتَرُكَنَّ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لَأُلْحِقَنَّكَ بأَرْضِ
دَوْسٍ ، وقال لكعب : لَتَتَرُكَنَّ الأحاديث أو لَأُلْحِقَنَّكَ بأَرْضِ القردة .
وأورده الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٦٠٠/٢ وابن كثير في « البداية والنهاية » :
١٠٦/٨ - بهذا اللَّفْظ ولعل كلمة (الطَّبِيحِ) أو نحوها مما استغلق فهمه على أحد
رواة الحديث فلجأ إلى المعنى .

وفي الصفحة : - في خبر كعب الأحبار - : (أو لألْحَقَنَّكَ بأَرْضِ القرية)
كلمة (القرية) غير واضحة ، ولكن القاف تحتها كسرة ، ويظهر أن الدال
اختلطت بالهاء ، وأن الصواب (القِرْدَة) كما ورد في الكلام على أول الخبر .

١٣ - ص : ٨٠١ : (أصبح أهلُ الرأي أعداءَ السُّنَنِ ، أعَيَّتَهُمْ أَنْ
يَعُوْهَا ، وتَفَلَّتَتْ أَنْ يردوها ، فاستقوها بالرأي) . كلمة (يردوها) في الأصل
(يرووها) وهي أظهر معنى .

١٤ - ص : ٨٠٢ : (انزعوا تفاريقه ، يعني أقماعة) . وكامة (تفاريقه)
مهملة من الإعجام ، وصوابها (ثفاريقه) بالثاء المثناة ، واحِدُهَا ثَفْرُوقٌ ،
وهو قِمْعُ التمرة وما لصق به .

- وفي الصفحة : (ثم إني لأترك اللحم وهو عندي) . والذي في الأصل :
(ثم إني لا أترك اللحم وهو عندي) .

١٥ - ص : ٨٠٣ : (لا أفعل شيئاً مما يقولون) . وفي الأصل : (مما
نقولون) وهي المناسبة لسياق الكلام .

١٦ - ص : ٨٠٥ : (يدفع الشيء ليشتهبه سنة) وفي الأصل (يشتهبه) بلا لام ، وهي المطابقة لسياق الكلام ، فهو يتركه مع رغبته فيه ، لا لكي يأتي الوقت الذي يشتهبه فيه ، والمقام مقام الإخبار عن زهد عمر

وفي الصفحة : (هان علي شيء أصلح به قوما) . وكلمة (علي) أضافها المحقق والكلام مُسْتَقِيمٌ بدونها .

١٧ - وفي ص : ٨٠٦ : (عن عبدالله بن أبي سليمان عن عطاء) . وفي الأصل : (عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء) . وهو الصواب ، إذ عبد الملك ابن أبي سليمان العرزمي من الرواة عن عطاء بن أبي رباح - انظر « تهذيب التهذيب » : ٣٩٦/٦ .

وفي الصفحة : (أو يردوا عليكم فيثكم) . وهي : (وَيَرُدُّوا عَلَيْكُمْ فِيْثَكُمْ) .
١٨ - ص : ٨٠٧ : (إن عاملك فلانا ضربني مئة سوط) . وفي الأصل : (عاملك فلان قام فقال : يضرب مئة) .

- وفي الصفحة : (ولا تُجَمَّرُوهم في البعوث) وفي الأصل : (ولا تُحَيِّرُوهم في البعوث) . ومعنى الكلمتين واحد *مؤخر*

١٩ - ص : ٨٠٨/٨٠٩ : (وكان ذا صوت ونكاية) . وغير المحقق كلمة (صوت) بكلمة (سوط) وأشار إلى هذا في الحاشية . وكلمة الصوت في هذا الموضع صحيحة ، ففي كتب اللغة ورد الصوت بمعنى الصَّيْتُ يقال : صوت وصييت أي ذكُرٌ حسن .

٢٠ - وفي ص : ٨٠٩ : (من جميع ما أفاء الله علينا) . والذي في الأصل : (من جميع ما أفِيء علينا) .

٢١ - وفي ص : ٨١٠ : (غاضبا بغير إذني) . وهي - كما في الأصل - : (عاصياً بغير إذني) .

وفي الصفحة : (وأعادها عمر ثم قال) . وفي الأصل : (وأعادها ثلاثاً ، ثم قال) .

وفي الصفحة : (وإن العدو لكبير) والكلمة الأخيرة غير معجمة الحروف ولهذا تقرأ (لكثير) . وهي في هذا الموضع أنسب .

٢٢- وفي ص : ٨١١ : (فمشيتُ إلى جنبه أغبطه) . وكلمة (أغبطه) هي المناسبة هنا . والكلمة غير معجمة الحروف .

وفي الصفحة : (قبح الله تلك القصعة ، ما أحيلَ لنا ما قد أصبنا منها) . وفي الأصل : (قبح الله تلك القصعة ، فإننا قد أحل لنا قد أصبنا منها) كذا .

٢٣- وفي ص : ٨١٣ : (فاحتبس عليه بالهزل) و (فاحتبس بالهزيل) . وفسر المحقق الكلمة بقوله : (لعل المراد بالسمير المفرنس المفاكه) الخ . وصواب الكلمة في الموضعين (بالمنديل) لكي يمسح أثر الطعام ، فلما تأخر إحضار المنديل مسح بلحية الرجل عبد المسيح ، فشكاه إلى عمر ، ولهذا قال له : (ثم مسحت بلحيته) الخ .

٢٤- وفي ص : ٨١٥ : (ثم غدونا إلى المسجد) وهي : (وغدونا إلى المسجد) .

وفي الصفحة : (فخرج إلينا سعد وهو يذم أهل الخيرة والمخالفة) . وكلمة (الخيرة) في الأصل (النجير) . والشجيرة هو الموضع الذي تجمع فيه أهل الردة في حَضْرَ مَوْتٍ ، والقوم الذين شكوا سعد بن أبي وقاصٍ . الوارد ذكرهم في هذا الخبر هم من أهل حضر موت ، بزعم الأشعث بن قيس الكندي الحضرمي . وكان ممن ارتد فأسير ثم أسلم .

٢٥- وفي ص : ٨١٨ : (إنه مرَّ إليك عياض) . والذي في الأصل : (اندس إليك عياض) .

٢٦- وفي ص : ٨٢٠ : (هم كقيداح الحصير . فيها الأعضل ... وسعد

أمامها ، يقيم ميلها ويعمر عضاها) . كلمة (الأعضل) في الأصل : (الأعصل)
و (أمامها) : (يتابعها) و (عضاها) : (عضلها) . والأعْصَلُ - لغةً -
السَّهْمُ الْمُعْجَوْجُ .

- وفي الصفحة : (وقد قال قائل . قال) . وفي الأصل : (وقد قال قائل
قالةً) .

٢٧- وفي ص : ٨٢٢ : (يضرب بيديه فلا ينشب - أي ينقب -) والذي
في الأصل : (يضرب بيديه فلا تنشب أن تنقب) . والضمير راجع إلى اليدينِ
فهو التي تصاب بالنَّقَبِ أي يَرِقُ خُفَّاهما فتَحْفَيَانِ .

٢٨- وفي ص : ٨٢٤ : (فلما هزه خلجه ... وقال : قبج الله من عملك
هذا) . كلمتا (هزه) و (عملك) في الأصل : (أحضره) و (علَمَك) .

٢٩- وفي ض : ٨٢٥ : (تلوح صلعته في الشمس ، لا حقبة ولا خشبة) .
والكلمتان الأخيرتان ليستا واضحتين في الأصل ، إلا أن الأولى تقرأ (لاصقه)
وما بعدها (ولاحسه) بدون نقط .

وفي الصفحة : (وطاؤه قروة كبش كرمي) . و (كرمي) في الأصل أقرب
إلى (نجدي) بدون نقط وفيها : (وحقيبة نمرة) وفي الأصل : (وحقيبه نمرة) .

وفي الصفحة : (فركب بغير سرج فأهزته) . وفي الأصل : (فركبه بغير
سرج ، فأهترَّ به) .

- وفي الصفحة : (عن محمد بن سوقة عن ابن صالح) . وفي الأصل :
(عن أبي صالح) وهو الصواب ، محمد بن سوقة الغنوي الكوفي يروي عن أبي صالح
السَّمان ، كما في « تهذيب التهذيب » : ٢٠٩/٩ -

وفيها : (على بغير أحمر ، بقتب) . والكلمة الأخيرة تقرأ (مقتبا) .

وفي الصفحة : (وفي يساره نمرة) . وفَسَّرَها المحقق بأنها شملة ، أو بردة .
ولكن الكلمة في الأصل (عَنَزَة) مهملة من الاعجام ، والعَنَزَةُ - بالتحريك -
رُمُحٌ قصير .

٣٠ - وفي ص : ٨٢٧ : (وكان صاحب إمرة) والصواب : (وكان صاحب
أمره) .

٣١ - وفي ص : ٨٢٨ : (ثم وكد عمر رضي الله عنه) . كلمة (وكد)
في الأصل (ذكر) وهي المناسبة هنا .

وفي الصفحة : (عليك ميرة الجيش) . وفي الأصل : (عليك نصرة الجيش) .
وفيها : (والعسار علينا) . وتقرأ (والفساد علينا) .

وفيها : (من يهد الله) وهي : (من يَهْدِيهِ الله) .

٣٢ - وفي ص : ٨٢٩ : (فلنحدثه عنها فنغيره ثيابا) . وكلمة (فلنحدثه)
في الأصل تقرأ (فَلَنُخَدِّعُهُ) ويفهم من القصة صحَّةُ هذه الكلمة .

٣٣ - وفي ص : ٨٣٠ : (فربما أرخى فأخذ الحبل منه) . وفي الأصل (فربما
أرخف ، فأخذ الحبل منه) . وكلمة (أرخف) من معانيها أرخى .

٣٤ - وفي ص : ٨٣٢ : (مَالَوْا ألبسته قوما من الناس لسترهم) . كلمة
(قوما) في الأصل (فياماً) ولم توضع الهمزة والكاتب يحدفها في كثير من الكلمات ،
مثل (الفى) في (الفياء) و (مايه) في (مئة) . والفئام الجماعة من الناس .

٣٥ - وفي ص : ٨٣٤ : (يفرش بطحاء يبوسة ووسادة برذعة) . وصواب
الجملة كما في المخطوطة : (يفرش بطحاء ، ويتوسد برذعة) .

وفي الصفحة : (قد أرهقه البرْدُ) . والذي في الأصل : (قد أدلقه البرد) .

وتقرأ (قد أذلقه البرد) بمعنى أقلقه . أما تفسير المحقق لكلمة (أرهقه) أي حمله ما لا يطيق فأراه لا ينسجم مع المعنى المراد من سياق الكلام .

٣٦ - وفي ص : ٨٣٨ : (لَتَكَلَّتْ بِكَ) . هي (لَتَكَلَّتْ بِكَ) كما في الأصل .

٣٧ - وفي ص : ٨٤٠ : (جاءني ببينة) . والصواب - كما في الأصل : (جاءني ببنيه) .

وفي الصفحة : (أفتاركهم تالله : لا أبالك) وفي الأصل : (أفتاركهم أنالك ، لا أبالك) .

وفيها : (أنَّ عمر رضي الله عنه حمى الرَبْدَةَ ، وأنَّ عثمان رضي الله عنه حمى السَّرَفَ) وفسَّرَ المحقق كلمة السرف بأنه المكان الذي أعرس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميمونة ، على ستة أميال من مكة . وهذا خطأ ، فصواب الكلمة (الشرف) - بالشين المعجمة - وهو موضع مشهور في عالية نجد ، وكان من الأحماء المشهورة قبل الإسلام وبعده ، أما سَرَف - بدون تعريف - فلم يكن من الأحماء .

٣٨ - وفي ص : ٨٤١ : (فمكث أشهراً صحيحاً) . والذي في الأصل : (فمكث شهراً صحيحاً) .

٣٩ - وفي ص : ٨٤٢ : (إني وجدت مع عبد الله بن عمر ريحَ شراب) . الصواب - كما في الأصل - : (عُبَيْد الله بن عمر) فَعُمِّرَ له عدد من الأولاد أفضلهم عبد الله بن عمر .

٤٠ - ص : ٨٤٣ : (لَتَمْسُكَنَّ لِسَانَكَ) في الأصل : (لَتَكْمَنَّ لِسَانَكَ) ولعل الكاتب أراد أن يكتب (لَتَمْلِكَنَّ) كما في « طبقات ابن سعد » .

٤١ - ص : ٨٤٥ : (حاشا في إمارتنا أحداً غيره) . كلمة (حاشا) قريبة من (حابينا) ولكنها غير معجمة الحروف .

٤٢- وفي ص : ٨٤٦ : (لا يُضْرَب سكرانٌ حتى يصحو إلاَّ إمامٌ فإنه إذا صَحَا امتنع) . كلمتا (يصحو) و (صحا) في الأصل : (يصح) و (صح) .

- وفي الصفحة : (ابن حنظلة الرزقي الأنصاري) . وفي الأصل (الزرقي) وهو الصواب ، لأنه من بني زُرَيْق .

وفيهما : (يا ابن أبيه) . والذي في الأصل : (يا ابن أُميمة) .

وفيهما : (الجارود العبدلي) والصواب ما في الأصل : (الجارود العبدي) .

٤٣- ص : ٨٤٧ : (بني رباح بن يربوع بن حنظلة) و (خصيُّ بني رباح) . وفي الأصل - في الموضعين (رباح) بالياء بِنقطة واحدة ، ولكن كاتب الأصل لا يَهْتَم كثيراً بإثبات النقط . وهذا الاسم (رباح) بالياء المثناة التحتية - كما في كتب النسب ، وكما ضبطه علماء اللغة - انظر « تاج العروس » رسم (روح) .

٤٤- وفي ص : ٨٤٩ : (قدامة إنا) . وفي الأصل : (قدام فإنها) .

- وفيها : (استهام عبد الرحمن) وفي الأصل : (استُهِمَ عبد الرحمن) .

- وفيها : (فتسكن بُصْرَى) . والذي في الأصل : (تُدَمَّنُ بُصْرَى) .

وهي كلمة فصيحة كقول عبيد بن الأبرص :

مَنْزِلٌ دَمَّنَهُ أَبَاؤُنَا الْمُو رِثُونَ الْمَجْدَ فِي أُولَى اللَّيَالِي

- وفيها : (أَنْ تُوفِيَا) وكانت في الأصل : (أَنْ تُتْلَقِيَا) فغيَّرها المحقق

اعتماداً على كتابين ألفا بعد ابن شبة بقرون ، مع أنه ورد في أول البيت : (وَأَنْتَى تُلَاقِيهَا) فناسب ذكر (التلاقي) في آخره .

٤٥- وفي ص : ٨٥٠ : (ثم نزل بها فهانت عليه) كلمة (نزل) في الأصل

(مذل) ومعناها لغةً ضجر ، وهي هنا أقرب معنى ، لأنه سئم منها وكرهها .

- وفي الصفحة : (يعلى بن منبه) . والصواب : (يَعْلَى بن مُنِيَّة) وهي

أُمُّهُ ، وأبوه أُمِيَّة - انظر ترجمته في « الاصابة » وغيره من كتب تراجم الصحابة -

٤٦- وفي ص : ٨٥٢ : (قالت : نعم ، رفش : بدرهمين ، بالحشية تقول : أجري بدرهمين) . كلمة (أجري) في الأصل : (أجر) .

٤٧- وفي ص : ٨٥٣ : (فضر بها أدنى الحد من مئة جلدة) . والصواب - كما في الأصل : (فضر بها أدنى الحدَيْنِ : مئة جلدة) . إذ أعلاههما الرَّجْمُ - كما هو معروف - .

٤٨- وفي ص : ٨٥٤ : (البيعة ثم الخبر) . في الأصل : (البيعة ثم الخبر) الباء بنقطة واحدة - والخبر هو المناسب هنا ، لأن عمر سأل : أجتنا بظهر ؟ فأجابه : أباعك ثم أخبرك .

٤٩- وفي ص : ٨٥٥ : (أَكُلُ الْمُسْلِمِينَ تَدَّهِنُ بهذا) . وكلمة (تدهن) في الأصل مهملة الحرف الأول ، ولهذا تقرأ (يَدَّهِنُ) لِتُلَائِمَ كلمة (كل) .
- وفيها : (حدثني همام بن إسماعيل قال حدثني العلاء بن بشير) . وفي الأصل : (ضَمَّامُ بن إسماعيل قال حدثني العلاء بن كثير) وهو الصواب ، - كما يتضح من ترجمة الأخير في « تهذيب التهذيب » : ١٩١/٨ - .

- وفي ص : ٨٥٦ : (أَنْ رَجُلًا نَعَى عَمْرًا بن الخطاب فاستوقفه) . كلمة (نعى) صوابها في الأصل : (لقي) ولا داعي لتفسير المحقق لكلمة (نعى) .

- وفي الصفحة : (وَإِنِّي لَا أَرْضَى لَهُ عَمَلًا) . والذي في الأصل : (وَإِنِّي لَا وَرَضُ لَهُ عَمَلًا) . أَيُ أَهْيَاءُ لَهُ عَمَلًا . وفي الحديث : لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُورْضْهُ مِنَ اللَّيْلِ - أَي لَمْ يُهَيِّئْهُ وَلَمْ يَنْوِهِ .

٥٠- ص : ٨٥٧ : (قال عبدالله بن جعفر بن برقان) . في الأصل : (قال عبدالله عن جعفر بن برقان) فالقائل - كما يظهر من أول الخبر - هو عبدالله ابن المبارك رَآوِيًا عن جعفر .

٥١- ص : ٨٥٨ : (مِمَّ وَيُنْحَكُ) وأشار المحقق إلى أنه أضاف كلمة

(مِمَّ) ولكن الأصل لا يحتاج إلى إضافة ، فننص ما فيه : (لِمَ وَيُنْحَك) .
 ٥٢ - ص : ٨٦٩ : (قال أي عوف بن مالك كأن الناس اجتمعوا) .
 والصواب ما في الأصل : (قال : رأى عوف) الخ .
 - وفي ص : ٨٧١ : (والمسلمون يضيعون به) . وهي : (والمسلمون مطيفون به) .

- وفيها : (رأيت فيما يرى النائم ... ستارا نزل من السماء بقدر الناس ،
 ففضلهم عمر بثلاث قصبات) . كلمة (ستارا) في الأصل بدون نقط ، وقد تُقرأ
 (سَبَّارًا ... يُقَدَّرُ النَّاسَ) . ويورد علماء اللغة : مفازة لا تُسَبَّرُ أي لا يعرف
 قدر سعتها . وخير كثير لا يُسَبَّرُ ، وأمر عظيم لا يُسَبَّرُ . أفلا يكون السَّبَّار
 من هذا ؟ !

وفيها : (فعدوت بها على عمر) . (وهي فعدوت بها) الخ .

٥٣ - وفي ص : ٨٧٤ وص : ٨٧٥ :
 قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا فَوَائِحَ فِي أَكَامِيهَا لَمْ تُفَتِّقْ
 كلمة (فوائح) في الأصل (بَوَائِح) بدون نقط وتقرأ (بَوَائِح) جمع بائجة ،
 وهي الداهية - نص على ذلك علماء اللغة كصاحب « اللسان » وصاحب « تاج
 العروس » وأورد الأخير البيت في رسم (بوج) .
 وفيها : (نحل الناس هذه الأبيات شمًاخ بن ضرار ، أر جماع بن ضرار)
 وكلمة (جماع) في الأصل ليست كما وضع المحقق ، ولا شك أن الصواب (جزء)
 وقد يكون طرف الزاي اختلط بالهمزة فأشبهت العين ، وانظر ترجمة الشماخ في
 كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام .

٥٤ - وفي ص : ٨٧٥ :

فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نَعَامَةٍ
 لِيُذْرِكَ مَا أَسْدَيْتَ بِالْأَمْسِ يُسَبِّقُ

كلمة (أسديت) في الأصل : (سديت) .

٥٥ - ص : ٨٧٦ : (رماني رماه الله) . الصواب - كما في الأصل : (رماه رماه الله) إذ المَرْمِيُّ عمر ، وليس المتكلم .

- وفيها : (ثم يذكر قائم الليل حين يأخذ في النقصان .. وتمايم الشمس) الخ . كلمة (قائم) لا تطابق ما في الأصل التي قد تكون (تام الليل) .

٥٦ - وفي ص : ٨٧٩ : (قد قَضَّتْ أضْلَاعَهُ) كلمة (قَضَّتْ) في الأصل : (فَضَّتْ) على الفاء نقطة واحدة ، من النَفَضِ أي كسر الشيء وتفريقه .

وفي الصفحة : (قال قلت خيرا يقول :

وإنْ يَرْجِعِ النُّعْمَانُ نَفْرَحَ وَنَبْتَهِجَ
وَيَأْتِ مَعْدًا مَلَكُهَا وَرَبِيعُهَا

والذي في الأصل : (قال : قلت حين يقول :

إنْ يَرْجِعِ النُّعْمَانُ مَعْدًا يُسْرُهَا وَرَبِيعُهَا

٥٧ - وفي ص : ٨٨٠ :

وإنْ يَهْلِكَ النُّعْمَانُ تُعْرَمُ مَعِيَّةٌ وَيُلْقَى إِلَى جَنْبِ الْفِتَاءِ قُطُوعُهَا

وفي الأصل : تُعْرَمُ مَطِيَّةٌ

وفيها :

على إثر خير الناس إن كان هالكا وإن كان في جنب الفتاة ضاجعها

وكلمتا (هالكا) و (الفتاة) في الأصل : (هلكا) و (جنب الفراش) .

وفي الصفحة : (أَلِقُرْبَى في قرابته) وفي الأصل : (التمس) والتاء غير منقوطة .

حمد الجاسر

(للحديث صلة)

رحلة الوزير الشرقي الإسحاق المغربي إلى الحج سنة ١١٤٣هـ

-٤-

ذكر المسجد الحرام والبيت العتيق أدامه الله :

قلت : أردنا التبرك بذكر بعض أوصاف المسجد الحرام ، وأحوال البيت العتيق شرفه الله ، إلا أن ما شهدناه عياناً مما لا يحتاج فيه إلى زائد على الرؤية ، ومنها ما لم نباشر حقيقته وغايته مما يحتاج إلى كتيل بالذراع أو بالشبر لضيق الوقت علينا ، ولكن اكتفينا بوصف من باشر ذلك بنفسه ، وتولى تحقيقه من العلماء الذين يوثق بهم ، حسبما نورد ذلك إن شاء الله . فنقول : وبالله الاستعانة على الإبانة : إن البيت المكرم له أربعة أركان ، وهو قريب من التريع ، قال العلامة ابن جُبَيْر^(١) : وأخبرني زعيم الشيعة الذين إليهم سدانة البيت وهو محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن من ذرية عثمان بن طلحة بن شبة بن طلحة ابن عبد الدار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب حجابة البيت ، أن ارتفاعه في الهواء من الصفح الذي يلي يقابل الصفا وهو من الحجر الأسود إلى الركن اليماني تسع وعشرون ذراعاً ، وسائر الجوانب ثمان وعشرون بسبب انصباب السطح إلى الميزاب ، فأول أركانه الركن الذي فيه الحجر الأسود ، ومنه ابتداء الطواف ، ويتقهقر الطائف عنه ليمر جميع بدنه به ، والبيت المكرم عن يساره ، وأول ما يلتقى بعده الركن العراقي ، وهو ناظر إلى جهة الشمال ، ثم الركن الشامي ، وهو ناظر إلى جهة المغرب ، ثم الركن اليماني وهو

ناظر إلى جهة الجنوب ، ثم يعود إلى الركن الأسود وهو ناظر إلى جهة الشرق ، وعند ذلك يُتِمُّ شوطاً واحداً ، وباب البيت المكرم في الصفح الذي بين الركن العراقي وركن الحجر الأسود ، وهو قريب من الحجر بعشرة أشبار محققة ، وذلك الموضع الذي بينهما من صفح البيت يسمى المُلْتَزَم ، وهو موضع استجابة الدعاء . والباب الكريم مرتفع عن الأرض بأحد عشر شبراً ونصف ، وهو من فضة مذهبة بديع الصنعة ، يستوقف الأبصار ... وعِضَادَتَاهُ كذلك ، والعتبة العليا كذلك أيضاً ، [وعلى رأسها لوحٌ ذهب خالص ، إبريز في سعته مقدار شبرين ، وللباب نقّارتان فضة كبيرتان ، يتعلق عليهما قفل الباب] وهو ناظر لجهة الشرق ، وسعته ثمانية أشبار ، وطوله ثلاثة عشر شبراً ، وغلظ الحائط الذي ينطوي عليه الباب خمسة أشبار ، وداخل البيت المكرم ، مفروش بالرخام المجزّع ، وحيطان رخام كلها مجزّع ، قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج ، مفرطة الطول ، وبين كل عمود وعمود أربع خُطَطًا ، وهي على طول البيت متوسطة فيه .



مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم (٢) :

وهو حَجَرٌ مَغْشَى بِالْفُضَّةِ ، وارتفاعه مقدار ثلاثة أشبار ، وسعته مقدار شبرين ، وأعلاه أوسع من أسفله ، وأثر القدمين المباركتين وأثر الأصابع المكرمة بَيِّنٌ . قال ابن جبير : رأيناها وصُبَّ لنا فيهما ماءٌ زمزم فشربناه ، وتبركنا بذلك كله نفعا الله به ، ولم يُقَدَّرْ لنا نحن التبرك بهما على هذه الصفة في هذه الوجادة :

فَيَا دَارَهَا بِالْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ

نسأل الله تعالى أن يحقق رجاءنا بتيسير الرجوع إلى هذه الأماكن المطهرة ، حتى نستدرك ما فاتنا في هذه بمنه وكرمه آمين .

[وبين الباب الكريم والركن العراقي] حَوْضٌ طوله اثنا عشر شبراً

وعرضه خمسة أشبار ونصف وارتفاعه نحو شبر ، يتصل من قبالة عضادة الباب التي تلي الركن المذكور ، آخِذًا إلى جهته ، وهو علامة موضع المقام مدة إبراهيم عليه السلام ، إلى أن صرفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الموضع الذي هو الآن مُصَلَّى ، وبقي الحوض المذكور مَصْبِيًّا لماء البيت إذا غُسِلَ ، وهو موضع مبارك يقال : إنه روضة من رياض الجنة ، والناس يزدهمون للصلاة فيه ، وموضع المقام الكريم هو الذي يُصَلَّى خلفه يقابل ما بين الباب الكريم والركن العراقي ، وهو إلى الباب أَمِيلٌ بكثير ، وعليه قبة خشب في مقدار القامة أو أزيد قليلا مركنة مُحَدَّودَةً ، بديعة النقش ، سعتها من ركنها الواحد إلى الثاني أربعة أشبار ، وقد نُصِبَتْ على الموضع الذي كان فيه المقام ، حوله تكيف من حجارة ، نصبت على حرف كالحوض المستطيل في ارتفاعه نحو شَبْرٍ ، وطوله خمس خُطًا ، وعرضه ثلاث خُطًا وأُدْخِلَ المقام إلى الموضع الذي وصفناه احتياطا عليه ، وبينه وبين صفح البيت الذي يقابله سبع عشرة خطوة والخطوة كلها فيها ثلاثة أشبار ، ولموضع المقام أيضا قُبَّةٌ مصنوعة من حديد ، موضوعة هنالك جانب قبة زمزم ، فإذا كان في أشهر الحج وكثر الناس ، رفعت قبة الخشب ، ووضعت قبة الحديد ، فتكون أحمل للازدحام .

ومن الركن الذي فيه الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ إلى الركن العراقي أربعة وخمسون شبرا ، ومن الحجر الأسود إلى الأرض ستة أشبار ، فالطَوِيلُ يتطامن إليه ، والقصير يتناول إليه .

ومن الركن العراقي إلى الشامي ثمانية وأربعون شبرا . محققة وذلك داخل الْحَجَرِ ، وأما من خارجه فمئة إليه أربعون خطوة وهي مئة وعشرون شبرا محققة ، ومن خارجه يكون الطواف .

ومن الركن الشامي إلى الركن اليماني ما بين الركن الأسود إلى العراقي لأنه الصفح الذي يقابله .

ومن اليماني إلى الأسود ما بين العراقي إلى الشامي داخل الْحَجَرِ ، لأنه يقابله أيضا .

وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة ، منها سودٌ وسُمرٌ وبَيْضٌ
قَدْ أُلصِقَ بعضها إلى بعض ، واتسعت عن البيت بمقدار تسع خُطًا إلا في الجهة
التي تقابل المقام فإنها امتدَّت إليه حتى أحاطت به .
وسائر الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض .

وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة ، وربما اختلطن بالرجال وهو
الغالب .

وبين الركن العراقي وبين أول جدار الحِجْر مدخلٌ إلى الحِجْر ، سعتُه
أربع خُطًا هي ستة أذرع ، محققة ، وهذا الموضع الذي لم يُحجَر عليه هو الذي
تركزت قريش وهو ستة أذرع حسبما وردت به الآثار الصحاح ويقابله عند الركن
الشامي مدخل آخر على مثال ذلك ، ودَوْر جدار الحِجْر تسع وعشرون خطوة ،
وهي أربعة وتسعون شبرًا محققة من داخل الدائرة ، وبين جدار البيت الذي
تحت الميزاب إلى الذي يقابله في جدار الحِجْر على خط استواء يشق وسط الصحن
المذكور أربعون شبرًا ، وسعته من المدخل ست عشرة خطوة وهي ثمانية
وأربعون شبرًا ، ودَوْر الجدار رخام كله مجزَع بديع الإلصاق ، وقد لُزَّت
فيه قضبانٌ صفر مذهبٌ وصنع منها في صفحتها أشكال شطرنجية متداخلة بعضها
على بعض ، وفي ارتفاع جدار هذا الحِجْر الرخامي خمسة أشبار ونصف وسعته
أربعة أشبار ونصف ، وداخل الحِجْر بلاط ينعطف عليه الحِجْر كأنه ثلثا
دائرة وهو مفروش بالرخام المجزَع ... والميزاب في أعلى الصفح الذي على
الحِجْر المذكور وهو - والله أعلم - فيما قيل لنا من صفر مذهب ، قد خرج إلى
الحِجْر بمقدار أربعة أذرع ، وسعته مقدار شبر ، وهذا الموضع تحت الميزاب
أيضا مظنة استجابة الدعاء بفضل الله تعالى وكذلك الركن اليماني ويسمى المستجار .

وتحت الميزاب في صحن الحِجْر بمقربة من جدار البيت الكريم قبر
إسماعيل صلى الله عليه وسلم ، وعلامته رخامة خضراء مستطيلة على شكل
محراب ، يتصل بها رخامة خضراء مستديرة غريبة المنظر ، وإلى جانبه مما يلي الركن
العراقي قبر أمه هاجرَ - رضي الله عنها - وعلامته رخامة خضراء مستديرة ،

سعتها مقدار شبر ونصف ، يتبرك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحجر ،
وحقّ لهم ذلك ، لأنهما من البيت العتيق وقد انطبق على جسدين مقدسين
مكرمين نورهما الله وبين القبرين المقدسين سبعة أشبار .

وقبة زمزم تقابل الركن الأسود ، ومنها إليه أربع وعشرون خطوة ،
والمقام المبارك الذي يُصَلَّى خلفه عن يمين القبة ، ومن ركنها إليه عشر خطاً ،
وداخلها مفروش بالرخام الأبيض الناصع ، وتَنَوَّرُ البئر المباركة في وسطها
مائلا عن الوسط إلى جهة الجدار الذي يقابل البيت المكرم ، وعمقها إحدى
عشرة قامة ، وعمق الماء سبع قامات على ما يذكر ، وباب القبة ناظر إلى المشرق ،
وباب قبة العباس ناظر إلى الشمال ، وتلي قبة زمزم من ورائها قبة الشراب ،
وهي منسوبة لسيدنا العباس — رضي الله عنه — والقبة العباسية لم تَحُلْ عن نسبتها
الشرابية لأنها كانت سقاية الحاج ، وهي حتى الآن يُسَرَّدُ فيها ماء زمزم ويخرج
مع الليل لِسَقْيِ الحاج في الدوارق كل دورق منها ذو مقبض واحد ، وتنور
بئر زمزم من رخام ، قد ألصق إصا قالا تحمله الأيام ، وأفرغ في اثنتائه الرصاص ،
وكذلك داخل التنور ، ودوره أربعون شبرا ، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف ،
وغلظه شبر ونصف . وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر ، وعمقها
نحو شبرين ، وارتفاعها من الأرض خمسة أشبار ، تُمَلَأُ ماءً للوضوء ،
وحولها مصطبة دائرة ، يرتفع الناس إليها ، ويتوضؤون عليها .

والحجر الأسود المبارك ملصق في الركن الناظر إلى جهة الشرق ، ولا
يعرف قدر ما دخل منه في الركن ، وقيل : إنه داخل في الجدار بمقدار ذراعين
— قاله ابن جبير الغرناطي في رحلته — وسعته ثلثا شبر وطوله شبر وعقد ، فيه
[أربع] قطع ملصقة ، ويقال : إن القرمطي — لعنه الله — كان الذي كسره وقد
شُدَّتْ جوانبه بصفيحة فضة يلوح بصيص بياضها على بصيص سواد الحجر ،
ورونقه الصقيل ، فيبصر الرائي من ذلك منظرا عجيبا هو قيد الأبصار ، وللحجر
عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعم بها الفم ، حتى يود اللائم ألا يقلع فمه عنه ،

وذلك خاصة من خواص العناية الإلهية ، وكفى بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنه يمين الله في أرضه » نفعا الله باستلامه ومصافحته - وأوفدَ عليه كل شيق إليه بمنه .

وفي القطعة الصحيحة من الحجر ما يلي جانبه الذي يلي يمين المستلم له إذا وقف مستقبله نقطة بيضاء صغيرة مشرقة تلوح كأنها خال في تلك الصفحة المباركة ، وفي هذه الشامة البيضاء أثر : إنَّ النظر إليها يَجْلُو البصر ، فيجب على المقبل أن يقصد بتقبيله موضع الشامة المذكورة ما استطاع .

والمسجد الحرام يطيف به ثلاث بلاطات على ثلاث سواري ، من الرخام ، منتظمة كأنها بلاط واحد ذراعها في الطول أربع مئة ذراع ، وفي العرض ثلاث مئة ذراع فيكون تكسيره محققا ثمانية وأربعين مرجعا . وما بين البلاطات فضاء كبير ، وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرا ، وقبة زهزم خارجة عنه وفي مقابلة الركن الشامي رأس سارية ثابتة [في الأرض ، منها كان حد الحرم أولاً وبين رأس السارية] وبين الركن الشامي المذكوران وعشرون خطوة ، والكعبة في وسطه على استواء من الجوانب الأربعة ما بين المشرق والجنوب والشمال والمغرب وعدد سواريه الرخامية - قال ابن جبير - : التي عددها بنفسه أربع مئة سارية وإحدى وسبعون سارية حاشا الحصينة التي منها في دار الندوة ، وهي التي زيدت في الحرم ، وهي داخلية في البلاط الآخذ من الغرب إلى الشمال ...

وللحرم سبع صوامع أربع في الجوانب الأربعة ، وواحدة في دار الندوة ، وأخرى على باب الصفا [وهي أصغرهما وهي علم لباب الصفا] ، وليس يصعد إليها لضيقها ، وعلى باب إبراهيم صومعة ...

والبيت العتيق مبني بالحجارة الكبار الصم السمر ، قد رُصَّ بعضها إلى بعض ، وألصقت بالعقد الوثيق لصاقا لا تحيله الأيام ، ولا تقصمه الأزمان .

ومن آياته البينات أنه قائم وسط الحرم كالبرج المُشَيَّد، وله التزيه الأعلى، وفيه نُتُو يسير، يظهر بعد التأمل... [وحمام] ^(٣) الحرم لا تُحْصَى كثرةً ، وهي من الأمن بحيث يُضرب بها المثلُ ، ولا سبيل إلى أن تنزل بسطحه الأعلى حمامةٌ ولا تحل فيه بوجهٍ ولا على حال، فترى الحمام تتجلل على الحرم كله فإذا قربت من البيت عرجت عنه يمينا أو شمالا، والطيور سواها كذلك. وفي بعض أخبار مكة أنه لا ينزل عليه طائر إلا عند مرض يصيبه فإما أن يموت أو يبرأ ، فسبحان من أورثه التشريف والتكريم ، وقال الشاعر ^(٤) :

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرَ ترقبه رُكبانُ مكة بين الغيَلِ والسندِ

ومن عجائب اعتناء الله تبارك وتعالى بهذا البيت المبارك أنه لا يخلو من الطائفين ساعة من النهار ولا وقتاً من الليل ، فلا تجد من يخبر أنه رآه دون طائف به ، فسبحان من كرمه وعظمه .

وللحرم أربعة أئمة سُنيَّة ، وكان قبل هذه الأزمنة خامس لفرقة الزيدية ^(٥) ، وكان أشرف البلدة على مذهبهم وهم يزيدون في الأذان : (حيَّ على خير العمل) إثر قول المؤذن : حيَّ على الفلاح ، وهم روافض سبابون ، والله من وراء حسابهم وجزائهم . فأول الأئمة السُنيَّة الشافعي — رحمه الله — وكان هو المقدم فيما سلف من الأزمنة ، لأنه المقدم من الإمام العباسي ، وأما اليوم فالإمام الحنفي أقوى مذهباً لما أن الترك على مذهبه ، وصلاة الإمام الشافعي خلف مقام إبراهيم ، وله حطيم حفيل ، ثم المالكي — رحمه الله — وهو يصلي قبالة الركن اليماني ، وله محاريب حجر تشبه محاريب الطريق الموضوعة فيها ثم الحنفي — رحمه الله — وصلاته قبالة الميزاب تحت حطيم مصنوع له ، وهو أعظم الأئمة أئمةً وأفخرهم آلة من الشمع وسواها. ثم الحنبلي — رحمه الله — وصلاته مع صلاة المالكي في حين واحد وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني ولا حطيم له .

ذكر أبواب الحرم الشريف :

في كل جهة أبواب جملتها تسعة وثلاثون : وباب بني شيبه في ركن الحائط الشرقي من جهة الشمال أمام باب الكعبة متياسرا ، وفي جهة الشمال باب الندوة ، ودار الندوة قد جُعِلَتْ مسجداً شارعا في الحرم ، مضافا إليه ، وهي مقابلة لِلْحِجْرِ والميزاب ، وفي جهة الغرب بابُ العمرة وهو من أجمل أبوابه ، وهنالك مدرسة مليحة لها علوة وسفل ، وفي جهة الجنوب باب الصفا وهو في ناحية الركنين الأسود واليماني ، وكلاهما إلى ناحية اليمن . وفي « الموطأ » عن عبيد بن جريج أنه قال لعبدالله بن عمر : رأيتك لا تمسُّ من الأركان إلا اليمانيَّين - الحديث (٦) وهذه الأربعة الأبواب أشهر أبواب الحرم ، ونسبة هذه الجوانب إلى الجهات ليس على الحقيقة ولكن على التقريب ومراعاة الأكثر ، إذ الكعبة غير موضوعة على مسامطة حقيقة الجهات بل فيها انحراف .

واعلم أنَّ المسجد الحرام صانعه الله تعالى لم يُبْنَ قديما ، ولا كان حول البيت حائط ، وفي البخاري عن عمرو بن دينار وعبدالله بن أبي يزيد قالا : لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حول البيت حائط كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر بن الخطاب حائطاً ، قال عبدالله : جدره قصير فبناه ابن الزبير ، قال بعضهم : والمسجد الحرام ذو ما دار بالكعبة وهو المصلى ، ويطلق على الكعبة ، وهو الظاهر من حديث أبي ذرٍّ أَنَّهُ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مسجد على ظهر الأرض وُضِعَ أولاً ، قال : « المسجد الحرام » ، قال ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » قال كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » فظاهر قوله (وُضِعَ) أَنَّهُ أراد المبني وهو البيت بلا مزية في قوله تعالى ﴿ فَوَلَّيْنَاكَ الْغَنَاءَ وَجَنِّهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ لأن القبلة البيت ، وكان المسجد الحرام - على ما ذُكِرَ - غير محجَّر ، والدور به محيط فاشترى منها عمر ديارا فهدمها ، ووسع المسجد ، وامتنع بعض الناس من البيع فوضع لهم الأثمان في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد ، وقال لهم : فناء الكعبة إنما نزلتم

عليها ، ولم تنزل عليكم ، وأحاط بالمسجد حائطاً قصيراً ، ثم كثر الناس فصنع عثمان كما صنع عمر فأكثرُوا الشكوى وهاجوا به فقال لهم : قد فعل عمر مثل ما فعلت فلم يصح أحد .

الصفاء والمروة :

قال في كتاب « نشق الأزهار في أخبار الأقطار » جبلا الصفاء والمروة بين بطحاء مكة المشرفة ، وقال الله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ وتقدم سبب مشروعية السعي بينهما في حديث ابن عباس من قصة أم إسماعيل عليه السلام . قال أدل اللغة : الصفا الحجر الصلد الأملس ، والمروة حجارة بيض رقاق ويقال هي حجارة القداح ، قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِ حِينَ تَشْدُهُ
صَلِيلُ زَيْوْفٍ يَنْتَقُونَ بِعَبْقَرَا

قال في الكتاب المذكور : الصفا والمروة رجل وامرأة قد زنيا في الكعبة فمسخهما الله حَجَرَيْنِ فوضعوا كل واحد منهما على الحجر المسمى باسمه حتى يعتبر كل من رآهما . وجاء في الحديث أن الدابة التي هي من أشراط الساعة تخرج من الصفا ، وكان ابن عباس يضرب بعصاه الصفا ويقول : إِنَّ الدابة تسمع قرع عصاي هذه ، وباب الصفا أحد أبواب الحرم المشهورة ، والواقف به يرى الحَجَرَ الْأَسْوَدَ ، إن لم يَحُلْ بينه وبينه حائل ، وهو الذي يخرج عليه إلى السعي ، وكل وآفِدٍ إلى مكة — شرفها الله — يدخلها بعمره فيستحب له الدخول على باب بني شيبه ، ثم يطوف سبعا ، ويخرج على الصفا ، ويجعل طريقه على الأسطوانتين اللتين أمر المهدي — رحمه الله — بإقامتهما .

والصفا أربعة عشر درجا ، وهو على ثلاثة أقواس مشرفة ، والدرجة العليا متسعة كأنها مصطبة ، وقد أَحْدَقَتْ به الديار ، وفي سعته سبع عشرة خطوة وأدراج المروة خمسة ، وهي تقويس واحد كبير ، وسعتها سعة الصفا سبع عشرة خطوة ، وجميع خطا الساعي من الصفا إلى المروة أربع مئة خطوة

وثلاث وتسعون خطوة ، وما بين الصفا والمروة مَسِيلٌ ، هو اليوم سوقٌ حفيلة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر المبيعات الطعامية ، والساعون لا يكادون يخلصون من كثرة الزحام ، وحوانيت الباعة يمينا وشمالا ، وما للبلدة سوق منتظمة سواها إلا البرازين والعطارين فهم عند باب بني شيبه تحت السوق الكبيرة ، وبمقربة تكاد تتصل بها .

وعلى الحرم الشريف جبل أبي قبيس وهو في الجهة الشرقية يقابل ركن الْحَجَرِ الْأَسْوَدَ ، وفي أعلاه رباط مبارك ، فيه مسجد وعليه سطح مشرف على البلدة الطيبة ، ومنه يظهر حسن الحرم واتساعه ، وجمال الكعبة المقدسة القائمة وسطه . قال ابن جبير : وقرأت في « أخبار مكة » لأبي الوليد الأزرقي أنه أول جبل خلقه الله عز وجل وفيه استودعَ الْحَجَرُ مِنَ الطوفان ، وكانت قريش تسميه الأمين ، لأنه أدنى الْحَجَرِ إِلَى إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وفيه قبر آدم صلوات الله عليه ، وهو أحد أخشي مكة ، والأخشب الثاني الجبل المتصل بقميعةان في الجهة الغربية . وفي جبل أبي قبيس موضع موقف النبي صلى الله عليه وسلم عند انشقاق القمر له بقدرة الله عز وجل ، وناهيك بهذه الفضيلة والبركة ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء حتى الجمادات من مخلوقاته لا إله سواه .

ومن جبال مكة المشهورة بعد جبل أبي قبيس جَبَلُ حِرَاءَ ، وهو في الشرق منها على مقدار فرسخ أو نحوه ، مشرف على مِنتَى ، وهو مرتفع في الهواء عالي القنة وهو جبل مبارك كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينتابه ويتعبد في غار فيه ، واهتزَّ تحته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسْكُنْ حِرَاءَ فما عليك إلا نَبِيٌّ أو صَدِيقٌ أو شهيد » وكان معه أبو بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما . وَيُرْوَى : « اثبتْ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » وكان عثمان رضي الله عنه معهم ، وأول آية نزلت من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في الجبل المذكور ، وهو آخذٌ من الغرب إلى الشمال ، ووراء طرفه الشمالي جبَّانة المِعْلَا التي تقدم ذكرها ، وسُورُ مكة إنما كان في القديم

من جهة المعلا ، وهو مدخل إلى البلد ، ومن جهة المسفل وهو مدخل أيضا إليه ، وأما من جهة باب العمرة وسائر الجوانب فجبال لا يحتاج معها إلى سور ، وسورها في هذه الأزمنة قد تهدم إلا آثار باقية .

ذكر بعض مشاهد مكة شرفها الله وبعض الآثار بها^(٧) :

لا شكَّ أنَّ مكة - شرفها الله - كلها مشهد كريم ، يكفيها شرفا ما خصها الله من مثابة بيته الكريم ، وما سبق لها من دعوة الخليل إبراهيم ، وكفاها أنها منشأ النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي آثره الله بالتشريف والتكريم ، وابتعثه بالآيات والذكر الحكيم ، فهي مبدأ الوحي ، ومبدأ نزول التنزيل ، وأول مهبط الروح الأمين جبريل ، وكانت مثابة أنبياء الله ورسله الأكرمين ، فمن مشاهدتها التي عاينناها قبة الوحي ، وهي في دار خديجة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، وفيها كان ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بها ، وقبة صغيرة أيضا في الدار المذكورة ، فيها كان مولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وفيها أيضا ولدت هي سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، رضي الله عنهم ، وهذه المواضع المقدسة المذكورة مغلقة مصونة ، بنيت بناء يليق بمثلها ، ومن مشاهدتها الكريمة أيضا مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مسها جسمه الطاهر ، بُنيَ عليها مسجد . والموضع المقدس الذي سقط فيه صلى الله عليه وسلم ساعة الولادة السعيدة المباركة ، التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين . محفوف بالفضة ، فيالحا تربة شرفها الله بأن جعلها مسقط أطهر الأجسام . ومولد خير الأنام ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام . وسلم تسليم .

يفتح هذا الموضع المبارك ، فيدخله الناس كافة متبركين به . في شهر ربيع الأول ، وفي يوم الاثنين منه ، لأنه كان شهر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي اليوم المذكور ولد صلى الله عليه وسلم . وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها ، وهو يوم مشهود بمكة ، وتفتح المواضع المباركة للحجاج وقت الحاج ، دائما يتبركون بها ، ويتنعمون بمشاهدتها .

ومن مشاهدتها الكريمة دار الخيزران ، وهي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعبد الله فيها سرّاً مع الطائفة الكريمة المباركة للإسلام ، من أصحابه رضي الله عنهم حتى نشر الله الإسلام منها على يد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكفي بهذه الفضيلة .

ومن مشاهدتها أيضاً دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهي اليوم معروفة بمكة ويقابلها جدار فيه حجر مبارك ، يتبرك الناس بلمسه ^(٨) يقال : إنه كان يسأم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز عليه . وذُكر أنه جاء يوماً صلى الله عليه وسلم إلى دار أبي بكر رضي الله عنه ، فنادى به ولم يكن حاضراً فانطق الله عز وجل الحجر المذكور ، وقال : يا رسول الله ليس بحاضر ، وكانت من إحدى آياته المعجزات صلى الله عليه وسلم ^(٩) .

ومن جبال مكة التي فيها أثر كريم ، ومشهد عظيم ، الجبل المعروف بجبل ثور وهو في الجهة اليمنى من مكة ، على مقدار فرسخ أو أزيد ، وفيه الغار الذي أوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه الصديق رضي الله عنه ، حسبما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز . قال ابن جبير ^(١٠) : وقرأت في كتاب « أخبار مكة » لأبي الوليد الأزرقي ، أن الجبل نادى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني يا محمد إني يا محمد فقد أويت قبلك سبعين نبياً ، وخصّ الله عز وجل نبيه فيه بآيات بينات ، فمنها أنه صلى الله عليه وسلم دخل مع صاحبه على شق فيه ثلثا شبير ، وطوله ذراع ، فلما اطمأننا فيه أمر الله عز وجل العنكبوت فاتخذت عليه بيتاً ، والحمام فصنعت عليه عشاً وفرخت فيه ، فأنتهى المشركون إليه بدليل قصاص للأثر ، مستاف أخلاق الطرق ، فوقف بهم على الغار وقال : ها هنا انقطع الأثر فأما صعيد بصاحبكم من هنا إلى السماء ، أو غيض به في الأرض ، ورأوا العنكبوت ناسجةً والحمام مفرخة فيه ، فقالوا : ما دخل ها هنا أحد فأخذوا في الإنصراف فقال الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله لو وآسجوا علينا فم الغار ما كنا نصنع ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو

ولجوا علينا فيه كنا نخرج من هنا » وأشار بيده المباركة إلى الجانب الآخر من الغار ، ولم يكن فيه شقٌّ ، فانفتح للحين فيه بابٌ بقدره الله عز وجل وهو سبحانه قدير على ما يشاء ، وأكثر الناس يتتابون هذا الغار المبارك ، ويتجنبون دخوله من الباب الذي أحدث الله عز وجل فيه ، ويرومون دخوله من الشقِّ الذي دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم تبركا به فيمتد المحاول لذلك على الأرض ، ويبسط خدَّه بإزاء الشقِّ ، ويولج يديه ورأسه أولاً ، ثم يعالج إدخال سائر جسده ، فمنهم من يتأتَّى له ذلك بحسب لطافة بدنه ^(١١) ، ومنهم من يتوسط بدنه فم الغار فيروم الدخول أو الخروج فلا يقدر ، فينشب ويلقي مشقة وصعوبة حتى يتناول بالجدب العنيف من ورائه ، فالعقلاء من الناس يجتنبونه لهذا السبب ، ولا سيما ويتصل به سبب آخرٌ مخجل فاضح ، وذلك أن عوام الناس يزعمون أن الذي لا يسع عليه ويمتسك فيه ليس لرشدة ^(١٢) ، جرى هذا الخبر على ألسنتهم حتى عاد عندهم قطعاً على صحته ، لا يشكُّون فيه ، فيحسب المنتشب فيه الأمر حقاً لما يكسوه من هذا الظان الفاضح المخجل ، زائداً إلى ما يكابده من لُزٍّ في ذلك المضيق ، وإشراف على المنية توجعا ، وانقطاع نفْسٍ ، وبرح أَلَمٍ ، فالبعض من الناس يقولون في مثل : (ليس يصعد جبل أبي ثور إلا ثور) .

وعلى مقربة من هذا الغار في الجبل بعينه عمود منقطع من الجبل ، قد قام شبه الذراع ، بمقدار شبه القامة ، وانبسط له في أعلاه شبه الكف ، خارجاً عن الذراع ، كأنه القبة المبسوطة ، بقدره الله عز وجل ، يستظل تحتها نحو العشرين رجلاً ، وتسمى قبة جبريل صلى الله عليه وسلم .

ذكر شيء مما خص الله به مكة من الخيرات والبركات : ^(١٣) :

هذه البلدة المباركة استجاب الله فيها دعوة خليله إبراهيم في قوله ﴿ فاجعلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ ﴾ إلى ﴿ يشكرون ﴾ فالأفئدة إليها منجذبة من سائر الأقطار جبَّذَ الحديد حجارة المغناطيس ، فترى الناس يأتونها أبداً أفواجا من كل فج عميق ، ومن كل بلد سحيق ، لا يصدُّهم عنها صاد ، ولا يحول بينهم وبينها

الموت الزؤام ، وأما رزقهم من الثمرات التي تُجَبِّي لهم من كل شيء فبرهان ذلك ظاهر ، ودليله باهر ، متصل إلى يوم القيامة وما رآه كمن سمع أقلد وجدي فليبرهن... فما أضيع البرهان عند المقلد

فهي أكثر بلاد الله نعما وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر، ولو لم يكن لها من المتاجر إلا وقت الموسم الذي يجتمع فيه أهل المشرق والمغرب ، فيباع فيها في يوم واحد فضلا عن سائر الأيام من الأمتعة وأنواع البز وأنواع الجواهر واليوافيت والذخائر النفيسة ، والثياب الهندية ، والأواني الصينية ، ومن أنواع الطيب كالمسك والعنبر والكافور والزباد والعود والعقاقير ، وغير ذلك ما لا يدخل تحت الحصر ، ولا ينضبط ، ولو فُرِّقَ على البلاد كلها لأقام لها الأسواق الحافلة النافقة ، دَعَّ عنك مِصْرَ وغيرها . وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيبات فشيء تغص به الأسواق ، وقد أدركنا شيئا من فاكهتها وخضرها ، فرأينا شيئا عظيما طعما وحسن مذاق . وحدثونا عما لم ندركه بها من الفواكه الصيفية والخريفية ، وأنواع البقول بما لا مزيد عليه في الوصف ، وكل فواكهها عجب ، ولا سيما البطيخ له فيها خاصة من الفضل عجيبة ، وذلك لأن رائحته أعطرُ الروائح وأطيبها ، يدخل به الداخل عليك فتجد رائحته العبيقة قد سبقت إليك ، فيشغلك الاستمتاع بطيب ريأه عن أكلك إياه ، وبها غسل أطيب من الماذي الذي يُضْرَبُ به المثل ، ويعرف عندهم بالمسعودي ، وأنواع اللبن فيها في نهاية من الطيب ، قبح الله أهل مصر الذين يغشون اللبن في ضروع الحيوانات ، وأذكر الفجَّار بما فيهم ليحذرهم الناس . وأما النحلُ فيصنع بها منها أنواع غريبة من العسل والسكر المعقود ، على صفات شتى ، حتى أنهم يعملون بها حكايات جميع الفواكه الرطبة واليابسة ، يتصل منها أسمطة بين الصفا والمروة ، لم يشاهد أحدٌ أجملَ منظراً منها بمصر ولا بسواها ، قد جُلِّيتْ على منصَّات كأنها العرائس ، تراها منضدة ملونة ، تلوح كأنها الأزاهر حسنا ، تقيّد الأبصار ، وتستزل الدرهم من صيَّاصيه والدينار ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ وهذه الفواكه تجلب إليها من الطائف وهي على مسيرة ثلاثة أيام منها على الرفق

والتَّؤدَّةِ ، ومن قرى حولها ، وأكبر هذه المراضع موضعٌ يعرف بالهَدَّةِ ، هو من مكة على مسيرة يوم أو أزيد قليلا ، وهو من نظر الطائف ، ويحتوي على قرى كثيرة^(١٤) ومن بطن مَرٍّ وهو على مسيرة يوم أو أقل ، ومن نَخْلَةٍ . وهي على مثل هذه المسافة ، ومن أودية تقرب من البلدة كعين سليمان وسواها . قد جلب الله إليها قوما من المغاربة ذوى بصارة بالفلاحة والزراعة ، فأحدثوا فيها بساتين ومزارع ، فكان أحد الأسباب في خصب هذه الجهات . وذلك بفضل الله عز وجل وكريم اعتنائه بحرمه الكريم وبلده الأمين^(١٥) .

وأما لحوم ضأنها فقد وقع الاتفاقُ ممن تطوف الآفاق ، وضرب نواحي الأقطار أنها أطيب لحم يؤكل في الدنيا ، وما ذاك - والله أعلم - إلا لبركة مراعيها ، هذا على إفراط سمنه ولو كان سواه من لحوم البلاد ينتهي ذلك المنتهى في السمن اللفظتهُ الأفواه سهولة^(١٦) ودسماً ولعافته وتجنبته ، والأمر في هذا بالضد . كلما زاد سِمَنًا زادت الشهوة فيه رغبةً ، والنفس له قبولاً . فتجده هنينا رخصاً يذوب في الفم قبل أن يُلَاك مضغاً ، ويسرع لحفته عن المعدة انضماماً . وما ذاك إلا من بركة البلد الأمين ، والله يجعل فيه رزقا لمن تشوق إلى بلد الله الحرام ، وتمنّى هذه المشاهد العظام ، والمناسك الكرام بعزته وقدرته .

ومن البركات التي خص الله بها هذا البلد الأمين ماء زمزم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لِمَا شَرِبَ له » . وهذا الماء المبارك في أمره عجب ، وذلك أنك تشربه عند خروجه من قراره فتجده في حاسة الذوق كاللبن عند خروجه من الضرع . وتلك من الله آية وعناية ، وبركته أشهر من أن تحتاج لوصف واصف ، ومن الأمور المجربة في هذا الماء المبارك أن الإنسان ربما وجد مَسَّ الإعياء وفتور الأعضاء إمّا من كثرة الطواف أو عمرة يعتمرها على قدميه أو من غير ذلك من الأسباب المؤدية إلى تعب البدن ، فيصب من ذلك الماء على بدنه ، فيجد الراحة والنشاط لحينه ، ويذهب عنه كل ما كان أصابه . وأما الاقتيات به فأمر شاهدناه وذقناه بل أكلناه ، فإنه يقوم مقام الطعام

على كل حال ، وقد أخبرني بعض الناس ممن قدم معنا حاجاً من مصر أنه حج في بعض السنين الماضية، وكان ضعيف الحال، بادي الإقلال ، فكان يظّل صائماً ويفطر على ماء زمزم ، ويصبح صائماً فعل ذلك أياماً ، حتى قبض الله له من تولى إطعامه . ويحكى أن أهل مكة كانوا في الجاهلية إذا أصابتهم سنة ، وأعوّزهم القوت يلجأون إلى زمزم فيأتي الرجل بأهله وأولاده إلى زمزم يسقيهم منه وقت عشائهم ووقت غدائهم والله رؤوف رحيم .

(للحديث صلة)

الحواشي :

- (١) رحلة ابن جبير - ص ٥٢ - ومنها أكل نقص بعض الجمل بما وضع بين مربعين [...] .
- (٢) رحلة ابن جبير - ص ٥٥ - .
- (٣) بياض في الأصل وأكل من رحلة ابن جبير .
- (٥) هو النابغة الذبياني ، وفي ديوانه : (تمسحها) بدل (ترقبه) .
- (٤) رحلة ابن جبير - ص ٧٠ - إلى الكلام على الصفا والمروة - مع إضافة جمل يسيرة عن الإمام الحنفي .
- (٦) انظر الحديث بطوله في كتاب « القرى لقاصد أم القرى » للطبري محب الدين - ص ٦٩ - .
- (٧) من رحلة ابن جبير - ص ٨١ - .
- (٨) التبرك بالصالحين يكون بالاعتداء بأعمالهم الصالحة لا بما ينسب إليهم من مواضع نسبة الله أعلم بصحتها ، ولو ثبت لم يجز شرعاً التبرك بها .
- (٩) لو كان من المعجزات المذكورة علماء السلف الذين ألفوا المؤلفات فيها ، ولكن ما يتعلق بهذا الحجر من الأخبار مما تتناقله العامة من الأخبار الخرافية .
- (١٠) رحلة ابن جبير - ص ٨٣ - .
- (١١) في رحلة ابن جبير (قضاة) .
- (١٢) أي ابن زنا .
- (١٣) رحلة ابن جبير - ص ٨٦ - مع تغيير بعض العبارات بإبدال أو حذف واختصار ، وزيادات يسيرة .
- (١٤) في « رحلة ابن جبير » - ص ٨٨ - : (.. ومن قرى حولها ، وأقرب هذه المواضع يعرف بأدم ، هو من مكة على مسيرة يوم أو أزيد قليلاً وهو من بطن الطائف ، ويحتوي على قرى كثيرة) .
- (١٥) من كلام ابن جبير - ص ٨٩ - .
- (١٦) في رحلة ابن جبير - ص ٨٨ - : (للفظته الأفواه زهماً ، ولعافته وتجنبتة) .

أشعار الخليل الحسين بن الضحاك

الحسين بن الضحاك من شعراء الدولة العباسية الذين لم تصل إلينا دواوينهم . غير أننا نجد شعرهم في مصادر الأدب والتاريخ . وأبو علي صاحبنا هذا بأهليّ بالولاء ، ولد بالبصرة وبها نشأ ، ثم ارتحل إلى بغداد وأقام بها في عصر الرشيد والأمين والمأمون ، ثم تحول إلى سامراء حين مُصِّرت ، فصارت حاضرة الدولة العباسية في عصر المعتصم ، ومكث فيها في أيام الواثق والمتوكل ومن خلفه من الخلفاء وتوفي في خلافة المستعين سنة ٢٥٠ .

عُرف الحسين الخليل بلهوه وعينه ومجونه ، وشعره في كتب الأدب والتاريخ يفصح عن هذا ، ورُبَّما لم نَقع على شيء يخرج عن هذه الأشتات العابثة الالهية ، قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمته في « الأغاني » : إن أبا نواس كان يأخذ معاني الحسين بن الضحاك في الحمر فيغيّر عابثها ، وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبته الناس إلى أبي نواس ، وله معاني في صفتها أبدع فيها وسبق إليها فاستعارها أبو نواس .

وجاء في أخبار أبي نواس لابن منظور : « قال أبو عبد الله أحمد بن صالح ابن أبي نصر : كان أبو بحر عبد الرحمن بن أبي الهذاهد شاعراً مُجِيداً ، وكان لا يكاد يقول شيئاً إلاّ نُسِب لأبي نواس ، وكذلك الحسين بن الضحاك ، وقد غلب^(١) الكثير من شعرهما .

وشعره يدخل في جمليته في باب (الظرف) ، وهو في ظرفه ومجونه متجنب

للفحش وهجر القول ، متين اللفظ رصينه مع رقة لا تقدح في هذه الرصانة .
تواتيه قريحة خِصْبَةٌ ينطلق فيها على سجيته .

وقد فطن الأستاذ عبد الستار فراج إلى أدب الخليج فجمع أشعاره ، كما جمع
أشعار غيره ممن لم تصل إلينا دواوينهم فكان له من ذلك مجموع في أشعار المجنون
ومثله في أشعار قيس بن ذريح وأشعار جميل بن معمر .

وقد جاءت « أشعار الحسين الخليل » في مجموع لطيف ذيّله بأخباره التي
وردت في مصادر الأدب^(٢) . وكان لي أن استمعت بهذا المجموع ، الذي وجدت
من الفائدة أن أقف عليه قليلاً فأقول :

١ - جاء في الصفحة (١٩) قول الشاعر :

ما بين بطنٍ بثيرانٍ حللتُ به إلى الفرداديس إلا شوبُ أقداء

وقد شرح الأستاذ فراج (بثيران) في حاشيته فقال : بثيران والفرداديس أسماء
مواضع ، وأراد اسمي موضعين ، ثم قال : ورويت بثيران (بتقديم الثاء على الباء) ،
ثم قال : وليس في « معجم البلدان » بثيران ولا بثيران . أقول : وليس في غير
« معجم البلدان » من كتب البلدان الأخرى هذا الذي أثبتته جامع الكتاب . والذي
أراه أن الباء في (بثيران) حرف الحذف ، والأصل « تيراب » وهو اسم موضع
ذكره ياقوت وغيره ، وهكذا يكون الأصل (بتيراب) .

٢ - وجاء فيها أيضاً البيت :

فعدّ همك عن طيرفٍ يمارسه جلفٌ تلفّع طمراً بين أحناء

وقد شرح جامع هذه الأشعار الكام الصعب في البيت فقال في (الأحناء) :
جمع حِنُو ، ومن معانيه العود الموعج من الرحل والسرّج ، وهو في السرج
ما يسمى القربوص .

أقول : صحيح أن الحنو يفيد هذا المعنى ولكننا لا ندرك مكانه من (الطمر) ،
فهل تكون الأحناء شيئاً يتصل بجواشي الطمر من طيات اللباس واثنائها ؟ أو كأن
الشاعر أراد أن يقول : إن الجلف قد ترفع بثوب خلّقى ! مُلَفَّفٍ .

٣ - وجاء في الصفحة (٢٠) البيت :

ففي غدٍ لكّ من زهراء صافية بطيّرنا بآذ ماء ليس كالمساء

أقول : والصواب : طيّرنا باز بالزاي وهو موضع بين الكوفة والقادسية كانوا
يجتمعون فيه للشراب ، كما ورد اسم الموضع بالراء في الشرح أيضاً .

٤ - وجاء فيها أيضاً البيت :

فاستنفض القطر ما وشى المصيف لها واستبدلت جُداً من بعد أنضاء

وقال الأستاذ فراج في شرح (أنضاء) : النضو الثوب الخلق وجمعه أنضاء !!

أقول : ليس في معاني النضو هذا الذي ذكره جامع الأشعار ، لأن النضو
هو البعير المهزول أو الناقة ، وقد يستعار مجازاً لكل شيء متعب مستهلك ، وفي
استعمال الشاعر ما يفيد هذا على تشييل الاستعارة .

٥ - وجاء في الصفحة ٢١ البيت :

فُضَّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصِفِيهَا عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي جَفْنِ مَرْهَاءٍ

وقال الشارح : والمرهاء : المرأة التي لم تكتحل ..

أقول : و (المرهاء) في البيت هي المرأة التي لم تكتحل . وقد أشار الأستاذ
فراج إلى أن أبا نواس أخذ هذا المعنى فقال :

أَتَى بِهَا قَهْوَةً كَالْمَسْكِ صَافِيَةً كَدَمُوعَةٍ مَتَحَتُّهَا الْخَدَّ مَرْهَاءً

أقول : والمرهاء في بيت أبي نواس هذا هي العيز وليست المرأة . وقد يتوسع
في المرهاء فتدلى على المرأة التي لم تكتحل .

٦ - وجاء في الصفحة ٢٢ البيت :

لم يبقَ من شخصها إلا توهّمه فآلشيء منها إذا استثبتت كاللاء

وقد علق الشارح على قول الشاعر كاللاء فقال : اللاء قد يكون مقلوب
الآل وهو السراب ولم أجد اللاء بمعنى الآل في كتب اللغة ، وقد تكون اللاء
ممدودة من (لا) النافية ...

أقول : ولا وجه أن تكون (اللاء) مقلوب (آل) ، وليس في البيت ما يعين
على هذا بلّله أن هذا القلب لم يؤثر عن علماء اللغة ، ولم يرد في كتب القلب .
وهو من غير شك (لا) النافية وقد مُدَّت للمقافية كما مُدَّت للوزن في شواهد
كثيرة . والبيت يشير إلى أن هذا هو المراد .

٧ - وجاء فيها أيضاً :

رَبِّحَانَةُ النفس تُهَوَّى عند شَمَّتِهَا جاءتُ بذلك رواياتُ ابن دَيَّحَاء

وقد علق الشارح على (ابن ديجاء) في البيت فقال : لم نعثر في كتب اللغة
أو كتب المضافات تعريفاً بابن ديجاء ولعله اسم لحمّارٍ في زمانهم .

أقول : هذا الذي ذهب إليه ظن الأستاذ الشارح من أنه اسم لحمّار صحيح .
ولكن الصواب : ابن دَنَحَاء و دَنَحَاء هذا كما في البيت هو من (دَنَحَا)
السريانية . وهو علم عند النصارى مازال معروفاً في أسمائهم . وقد يكون بالضم
فيقولون : (دَنَحُو) . والاسم من (الدنج) من أعياد النصارى : وهو من (دَنَحَا)
السريانية ومعناها الظهور أي ظهور المسيح لبني قومه يوم معموديته . وقد جاء
ذكر (الدنج) في « الآثار الباقية » ص ٢٩٣ . و « المخصص » ١٠٣/١٣ . والمعرّب
ص ١٥٤ ، وذكره أبو نواس في شعره الحمري . وقد ورد في معجم البلدان
٣١٤/٣ قول المعتمد :

بالدَّيْرِ بالعلثِ ورهبانيه بينَ الشعانينِ إلى الدنجِ

٨ - وجاء في الصفحة ٢٤ البيت :

بَارَبٌ قَدْ أَمْلَكْتَ مِنْ (بَابِكَ) فَاجْعَلْ لِي تَوْنِيْلَهُمْ الْعُقْبَى

وقد علق الشارح على (بابك) وأشار إلى أنه الخُرْمِي وهو الذي شغل الدولة العباسية في عهد المأمون والمعتصم بتمرّده . وقد توسع الأستاذ فراج في الكلام على فتنة بابك هذا ، ولكنه لم يُعرّف (توفيل) ملك الروم وسكت عنه ، ولتوفيل هذا مكان في الحرب التي شنتها المعتصم ففتح بها عمورية المشهورة .

٩ - وجاء في الصفحة ٣٣ البيت :

لَمَّا اصْطَبَحْتُ وَعَيْنُ الثَّلْهُو تَرْمَقُنِي قَدْ لَاحَ لِي بِأَكْبَرٍ فِي ثَوْبٍ بِذَلَّتِهِ

أقول : والصواب : بِذَلَّتِهِ بِكسر الباء .

١٠ - وجاء في الصفحة ٣٧ قول الشارح :

قال في دير سابّر (كذا) ، وكأن الشارح أخذ اسم الدير من بيت للشاعر في القصيدة التي وردت في الصفحة نفسها :
فِي دَيْرِ سَابِرٍ وَالصَّبَاحُ يَا-وَحْ لِي

أقول : واسم الدير (دير سابور) والشاعر قد اكتفى بالضم عن المدّ لاقتضاء الوزن ، ودير سابور قد ورد في « معجم البلدان » و « الديارات » و « مسالك الأبصار » .

١١ - وجاء في الصفحة (٣٩) قصيدة أبي نواس الحائية ، وقد سمّح الشارح فأثبتها مع أشعار الخليج لبشير إلى أنها كحائية الخليج وأنّ أبا نواس أخذ منها بعض معانيه (كذا) .

أقول : كان على الشارح أن يذكر القصيدة في الهامش .

١٢ - وجاء في الصفحة ٤٠ في آخر بيت من قصيدة أبي نواس الحائية التي أشرنا إليها :

صفراء تفتّرس الفراس فلا ترى منها بهين سوى السُّبُباتِ جراحا
أقول : لا وجه للفراس ، والصواب : النفوس ، وهي كذلك في ديوان أبي نواس .

١٣ - وجاء في الصفحة ٦١ قول الشارح :

وقال في دير عَمْرٍ (كذا) مريونان

أقول : إن الجمع بين كلمة (دير) وكلمة (عمر) من أوهام الشارح ذلك أن (الدير) هو (العُمُر) بضم العين لا فتحها كما أثبت الشارح . وقد عرض له هذا لأنه وجد في « معجم البلدان » (دير مريونان) ووجد في (الديارات) و (عمر مريونان) فأضاف الأول إلى الثاني .

١٤ - وجاء في الصفحة ٦٨ تعليق للشارح على قطعة من ثلاثة أبيات هجا فيها الشاعر جرّاحاً مخنّثاً اسمه نصير ، وقد كان البيت الثالث :

هل لك أن نلعبَ في فَرَشِنَا نَقْلُوبَ الطير المراعيش

قال الشارح في الكلام على هذا البيت : يعني بذلك (...)

أقول : ما كان أغنى الشارح عن هذا التعليق البذيء .

١٥ - وجاء في الصفحة ٧٩ :

لم يفعلوا بالشَّطِّ إذْ حَضَرُوا ما تفعل الغيرةُ الأَنفُ

أقول : لم يتَّجه لي شيء واضح من البيت ، ولا أدري ما علاقة العجز بالصدر ، ولم يتوقف الجامع وهو يثبت البيت بل اكتفى بشرح الفعل : أَنِفَ يَأْنِفُ .

١٦ - وجاء في الصفحة ٨٥ البيت :

هَرَّتْ بِطَارِقُهَا هَرِيرَ ثَعَالِبٍ بُدِهَتْ بِزَارٍ قَسَاوِرٍ طُرَاقٍ

وقد شرح الشارح القساور فقال : هم الشجعان .

أقول : والقساور جمع قَسَوْرٍ أو قَسَوْرَةٍ ، أي الأسد ، والكلمة بهذا المعنى الحقيقي في البيت .

١٧ - وجاء في الصفحة ٨٨ البيت :

كَشَفْتُ عَنْ وَزَّةٍ مُزْعَفَسَةٍ فِي لَيْنٍ صِينِيَةٍ مِنَ الْفَلَكِ

وقد علق الشارح فقال: الفلك التلُّ من الرمل وكثيراً ما تشبَّه العجيزة في الضخامة واللين بكثيب الرمل ، أو أنها : الفَنَك وهو جنس من الثعالب فروته من أحسن الفراء ...

أقول : ولا مكان للفلك في البيت ويبيده قول الشاعر (صينية) وهذه تشعر أن (الفرو) منسوب إلى الصين ، وهو أجود ما يكون

١٨ - وجاء في الصفحة (٨٩) البيت :

سَقَى اللَّهُ بِبِالْقَاطُولِ مَسْرَحَ طَرْفِكَ

وقد علق الشارح على القاطول فقال :

القاطول اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة .

أقول : إن قول الشارح : كأنه مقطوع من دجلة يشير إلى أنه بحث في (قطل) فوجده بمعنى (قَطَعَ) فذهب إلى ما أثبتته في الشرح .

وما أظن أن يكون هذا هو الأساس في التسمية ، والذي أراه أن مادة (قَطَلَ) معروفة في العبرانية والسريانية وهي بمعنى (قَتَلَ) في العربية . ولفظ (قاطول)

اسم فاعل في السريانية ، ولعل التسمية جاءت من اسم موضع سبق النهر أو أن الموضع قد سمي باسم رجل هو (قاطول) .

وبعد فهذه جملة وقفات أفدتها من قراءتي لهذه الأشعار الممتعة .

ومن الفيد أن استدرك أبياتاً عدّة وجدتها للحسين الخليع في كتاب « التحف والهدايا » للخالدين (ص ٩٧) كتب بها إلى يوسف الكاتب ليلة عيد ميلاد السيد المسيح يستهديه شمعاً :

وليلة ميلاد عيسى المسيح قد ظالبتني بميثاقها
فهذي قدوري على نارها وفاكهي ملء أطباقها
وبنت الدنان فقد أبرزت من الحدر تجلى لعشاقها
فكن مهدياً لي فدتك النفوس فجودك ممسك أرماقها
نظائر صفراً غدت فتنة باطف أنامل حذاقها
ومثل الأفاعي إذا ألهمت وللروم زرقاة أحداقها
ولم أر من قبلها أنفساً تذيب الجسوم بإحراقها
وإن مرضت لم يكن برؤها بشيء سوى ضرب أعناقها

الدكتور إبراهيم السامرائي
كلية الآداب - الجامعة الأردنية

الحواشي :

- (١) كذا ولعلها (سلب) .
- (٢) نشرته (دار الثقافة في بيروت) في ١٥٨ صفحة سنة ١٩٦٠ م .

الأعراف اليمنية والقضاء البدوي

- ١ -

[كانت مجلة « العرب » تحدثت من ٢٠ ص ١٢١ - عن الكتاب الذي ألفه الدكتور يوسف شلح عن « اليمن تاريخاً وحضارة ». وقد طلبت من الأستاذ الكريم إتخاف القراء بفصل معرب من ذلك الكتاب الذي ألف باللغة الفرنسية ، فأفضل مشكوراً بهذا البحث] .

توطئة : تفضل ... الشيخ حمد الجاسر فطلب من كاتب هذه السطور أن يوافيه بترجمة لفصل من فصول الكتاب الذي نشره باللغة الفرنسية عن اليمن تحت عنوان : « العربية الجنوبية : تاريخها وحضارتها » ، وهو يقع في ثلاثة أجزاء من الحجم الكبير .

وإني مع شكري العميق لصاحب مجلة العرب على اهتمامه بهذا المؤلف لا بد من الإقرار بأن هذا الطلب أوقعني في حيرة شديدة . أولاً لأن فصول الكتاب متماسكة ، كل واحد منها مرتبط بالذي سبقه ويمهد البحث للذي يليه . ولذا يصعب عزل بعضها عن بعض إلا إذا تصرّفنا بالترجمة . وثانياً لأن (الانثروبولوجيا) الثقافية علم له اصطلاحاته وتعايره الخاصة . ولعل علماء اللغة العربية أوجدوا الألفاظ والمرادفات للإعراب عن مقتضيات هذا العلم الحديث . ولكنني أقرّ بكل تواضع بأنني أجهلها . وحدّث أن قرأت مقالة باللغة العربية عن النظرية البنيوية . وكأنني به كُتِبَ باللغة اليابانية أو الصينية . بل إني قرأت يوماً بعض مقتطفات من بحث لي ، تُرجمت إلى اللغة العربية فالتوى علي فهمها ! ولذا رأيت أن أختار فصلاً سهلاً المنال . وإن كانت النظرية العلمية التي أقترحها لفهم التطور الاجتماعي غير ماثلة فيه . ولعله من المناسب أن أغتم الفرصة لأقدم عرضاً وجيزاً لها .

لقد شغلت النظرية البنيوية عالم الفكر رديحاً طويلاً من الزمن ضفت سِنُوهُ على العشرين ، وهي وإن كانت اليوم آخذة بالتقلص فإن لها عدداً من المناصرين

والإتباع على الرغم من الانتقاد الشديد الذي تعرضت له منذ أوائل السبعينات .
والواقع أن هذه النظرية التي تستهوي العقل بشدة منطقها لا تُفسَّر كبير شيء
لأنها لا تربط النتائج بأسبابها بل تكفي غالباً برد الأمور إلى جذورها الأساسية .
ويخال لأول وهلة أنها نظرية حديثة ، أما الحقيقة فإنها تعود إلى مبادي قديمة قال
بها سابقاً أهل اللغة . وعندما رَدَّ علماء العروض الشعْرَ إلى بحور من طويل وبسيط
وكامل ... وضعوا الأسس الأولى للنظرية البنيوية . ومن الغرابة بمكان أن نجد في
كتاب « سرّ الليالي في القلب والإبدال » للمؤلف اللبناني الكبير أحمد فارس الشدياق
بعض مبادي البنيوية اللغوية التي قال بها العالم السويسري فردينان دي سوسور
بعده بعشرات السنين ^(١) .

وليس هنا مقام البحث عن هذه النظرية المعقدة وإن كان العمل بها يبدو سهلاً
لأول وهلة . واكتنا لم نأخذ بها على الرغم من المحل الكبير الذي تشغله في الدراسات
(الانثروبولوجية) لأنها تهمل الناحية التاريخية . والواقع أن المقبلين على هذه الدراسات
أولوا كل اهتمامهم الشعوب البدائية . والمعروف عنها أنها تعيش على العادات
والتقاليد ، وأن ليس لها تاريخ مكتوب ولا تحفظ منه غير المنقول سماعاً وأخذ
الناس أبا عن جد . فمن الممكن والحالة هذه أن يهمل الباحث الاجتماعي الشواهد
التاريخية إذ لا سبيل إليها . ولكنه إذا أكب على دراسة أمم عرفت الكتابة منذ أقدم
العصور التاريخية فلا بُدَّ له عندئذٍ من الرجوع إلى كتب التاريخ ليقارن الحاضر
بالماضي ليعلم كيف تمَّ تطور الأوضاع الاجتماعية على ممر الزمن .

وهناك غيرها من النظريات لا مجال لعرضها هنا . وقد ضربنا صفحاً عنها لأنها
لا تتماشى مع الأوضاع الخاصة التي تمتاز بها الشعوب العربية كما بيناه في المقدمة
العامة ، وأخذنا بالنظرية التطورية الجديدة وهي تخالف النظرية التطورية المعروفة
في نقطتين : أولاً أنها لا تزعم أن الإنسانية في تطورها تمرّ دائماً بنفس المراحل ،
وثانياً أنها تسلّم أن تطور الإنسان يتم على خطوط مختلفة ، على حسب البيئة الخاصة
التي تحيط به والعوامل الإنسانية الخارجية . وعلى الجملة فإن في كتاب « العربية

الجنوبية » محاولة لفهم الخصائص الاجتماعية استناداً إلى عاملين أساسيين لهما أكبر أثر في الاختلاف الثقافي بين الأمم ، وهما المحيط الجغرافي والتاريخ الذي يستقي من عناصر سابقة للتاريخ .

ولهذه الأسباب درسنا أولاً ، في الجزء الأول والثاني ، تاريخ العربية الجنوبية وحضارتها . أما الجزء الثالث فهو يهتم خاصة بـ (الانثروبولوجيا) الثقافية والاجتماعية . وهذا ميدان واسع الأرجاء لأنه يتناول بالبحث جميع مظاهر الحياة الاجتماعية اللاشعورية وأعني بها ما يأخذه الإنسان عفواً عن المحيط الذي يعيش فيه مثل اللغة التي يتكلم بها ، والمعتقدات الدينية والشعبية ، والعادات والتقاليد والأعراف والمراسيم وأسلوب المعيشة والفنون الشعبية ... وأمام تعدد المواضيع لابد للباحث من اختيار أكثرها أهمية ، لاسيما التي يستدل منها على الخصائص الاجتماعية مثل التركيب الطبقي ونظام القرابة والزواج والقضاء القبلي والفن المعماري والصناعات اليدوية .

وبناء على ما تقدم رأيت أن أقدم لقاري مجلة العرب الفصل السادس من الجزء الثالث ، وفيه بعض الملاحظات عن الأعراف اليمنية وصلتها بالقضاء البدوي .

(للبحث صلة) يوسف شلحد

باريس : المركز القومي للبحث العلمي :

الحواشي :

- (١) أحمد فارس شدياق ، سر الليالي في القلب والإبدال ، ج ١٠ ، ص ٤ وما بعدها ، وأيضاً ص ١١ ، الاستانة ، ١٢٨٤ هـ . وكذلك للمؤلف نفسه : « أعجب العجب في خصائص لغة العرب » . ولاشك أن الشدياق أخذ عن ابن جني نظرية الاشتقاق الأكبر ولكنه وسها وأضاف إليها بعض المبادي التطورية في نشوء اللغات ، ويقرر أيضاً بعض مبادي البنيوية اللغوية .

ما اتفق لفظه واختلف مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٥٨ هـ)

— ٣٤ —

٢٠٦ — بابُ جُمَالٍ ، وَجَمَالٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ — : بَلَدٌ نَجْدِيٌّ ،
قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

صُدُورُ دُوْدَانَ فاعْلَى تَنْصُوبٍ فالأشهبَيْنِ فَجُمَالُ فالمَحَجِّ

قال الأوديُّ : دُوْدَانُ : وَادٍ وَالْأَشْهَبَانِ بَلَدٌ وَجُمَالُ : بَلَدٌ ،
والمَحَجُّ : طَرِيقٌ^(٢)

وَأَمَّا الثَّانِي : أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مُفْتُوحَةٌ ، ثُمَّ مِيمٌ مُشَدَّدَةٌ : —
جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي كِلَابٍ^(٣) .

٢٠٧ — بابُ جُمْدٍ ، وَجَمْدٍ^(٤)

أَمَّا الْأَوَّلُ : بِضَمِّ الْجِيمِ وَالْمِيمِ — : جَبَلٌ قال زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو
ابْنُ نُفَيْلٍ الْعَدَوِيُّ :

نُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحًا نَجُودُ بِهِ وَقَبَلْنَا سَبَّحَ الْجُودِيِّ وَالْجَمْدُ

قاله أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى^(٥) .

وَأَمَّا الثَّانِي : - بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالْمِيمِ - : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ
مَدِينَةِ السَّلَامِ ^(١) .

٢٠٨ - بَابُ الْجَمَاءِ ، وَالْخَمَاءِ ^(٧)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بَعْدَ الْجِيمِ الْمَفْتُوحَةِ مِيمٌ مُشَدَّدَةٌ وَبِالْمَدِّ - :
مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ وَهِيَ نَاحِيَةُ الْعَقِيقِ إِلَى الْجُرُفِ ،
قَالَ الْوَاقِدِيُّ ، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْمَغَازِي ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ
وغيره فِي يَوْمِ أَحَدٍ : وَسَارَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي جَمْعٍ قُرَيْشٍ
حَتَّى طَلَعُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَّاءِ وَنَزَلُوا بِطُنِّ الْوَادِي إِلَى قِبَلِ أَحَدٍ .

وَقِيلَ : بِالْمَدِينَةِ جَمَاءُ الْعَاقِرِ ، وَجَمَاءُ تُضَارِعَ ، وَجَمَاءُ أُمِّ
خَالِدٍ ، جِبَالٌ ثَلَاثَةٌ ^(٨) .

وَأَمَّا الثَّانِي - أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ - : فِي أَشْعَارِ كَلْبٍ ^(٩) .

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

الحواشي :

- (١) فِي كِتَابِ نَصْرِ : (بَابُ جُمَالٍ وَجَمَالٍ وَحَمَالٍ) .
- (٢) قَالَ نَصْرٌ : مَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ - فِيمَا أَحْسَبَ - وَلَمْ يَزِدْ . وَقَدْ وَرَدَ بَيْتُ حُمَيْدٍ فِي دِيْوَانِهِ - ٦٣ - بِهَذَا اللَّفْظِ
صُدُورٌ دَوْدَانٌ فَأَعْلَى تَنْضُبٍ فَالْأَشْهَابُ فَجُمَالٌ فَالْمَجْجُ
وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْمِمْنِيُّ قَائِلًا : الْبَيْتُ فِي الْبَكْرِ - ٣٥٥/٢٤٥/١١٨ - وَدَوْدَانٌ قَالَ الْبَكْرِيُّ
- فِي كَلَامِهِ عَلَى دُورَانَ - : وَرَدَ فِي شِعْرِ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ (دُودَانٌ) بِدَالَيْنِ مَهْمَلَتَيْنِ ، وَأَنَامَتْهُ أَوْجَرُ (أَوْجَلُ)
وَأُظْمِتْ دُورَانَ - ثُمَّ أَوْرَدَ الْبَيْتَ بِرِوَايَةِ دُودَانَ ، وَدُورَانَ وَادَّ بَقَعَ فِيمَا بَيْنَ قُدَيْدَةَ وَالْجُحْفَةِ ، وَتَنْضُبٌ هُنَا
قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ مَكَّةَ بِأَعْلَى لُحْلَةٍ ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ وَنُحْلٌ ، وَالْأَشْهَابُ : ثَنِيَّةٌ أَشْهَبُ وَهُمَا جِبَلَانِ مُتَقَابِلَانِ
بِنَجْدٍ . وَجُمَالٌ : قَالَ الْبَكْرِيُّ : إِنَّهُ بِلَدٍ . وَبَجَجٌ : مَاءٌ لَبَنِي عَيْسٍ . انْتَهَى تَعْلِيقُ الشَّيْخِ الْمِمْنِيِّ وَلَكِنْ يَلَاظُ
أَنَّ الشَّاعِرَ عَطَفَ أَسْمَاءَ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ بِحَرْفِ الْفَاءِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَقَارُبِهَا ، وَالْمَوَاضِعُ الْوَارِدَةُ فِيمَا نَقَلَ الشَّيْخُ
الْمِمْنِيُّ مِنْ تَعْرِيفِهَا مُتَبَاعِدَةٌ ، فَدُورَانَ وَتَنْضُبٌ فِي تَهَامَةٍ ، وَالْأَشْهَابُ فِي نَجْدٍ ، وَبَجَجٌ - الْمَاءُ الَّذِي لَعَسَ -
فِي حِمَى ضَرْبَةٍ فِي نَجْدٍ ، كَمَا أَوْضَحَ ذَلِكَ الْمَجْرِي . ثُمَّ إِنَّ بِلَادَ الشَّاعِرِ فِي جَنُوبِ نَجْدٍ ، وَأَسْفَلِ
الْحِجَازِ الْجَنُوبِيَّةِ خَارِجَةٌ عَنْ تَهَامَةٍ ، وَرِوَايَةُ الْحَازِمِيِّ لِلْبَيْتِ (الْمَحَجَّ) .

ويظهر أن ياقوتاً اطلع على كلام الحازمي فقد قال في «معجم البلدان» : «جُمَالُ» — بالضم والتخفيف — موضع بنجد ، في شعر حميد بن ثور الهلالي . وقال : دُودَانُ — بِدَالِينَ مهملتين الأولى مضمومة — وادٍ ، في شعر حميد ، وقد ذُكِرَ في جُمَال ، ودُودَانُ : قبيلة من بني أسد ، وهو دُودان بن أسد بن خزيمه . انتهى . ولكن قوله : وقد ذكر في جُمَال يستدعي التساؤل : هل ما وصل إلينا في مطبوعة «المعجم» ناقص ؟ فليس فيه ذكر لدودان ؟ .

(٣) قال نصر : جبَلٌ من تناصيب في ديار بني كلاب . وكذا قال ياقوت . وكذا وردت (تناصيب) هنا بالتاء ، ولكن نصراً قال أيضاً في (باب الباء) : بتناصيب .. وما أوله باء تحتها نقطتان وبعد الصاد المهملة باء تحتها نقطتان : أجبل متحاذيات ، في ديار بني كلاب ، أو بني أسد بنجد ، ويقال : بالالف واللام ، وقيل : أقرن طوال حمر بين أضاخ وجبلة ، بينها وبين أضاخ أربعة أميال ، ويخط أبي الفضل : التناصيب : جبال وبر بن كلاب ، منها الجمال ، وماؤها العقيلة . انتهى . وذكرها ياقوت : بتناصيب ، ونقل كلام نصراً .

وفي كتاب «بلاد العرب» — ٢٠٨ — في الكلام على بلاد بني وبر بن الأضبط بن كلاب — : ومن بلادهم التناصيب ، وهي جبال ، ومما يُسمَّى منها جُمَال ، قال الشاعر :

هَلْ تُؤْتِسِّنْ مِنْ جَانِبِي حَمَّال — مِنْ ظُعُنٍ يُحْدِثِينَ كَالسَّيَالِ
وبلاد بني وبر في عالية نجد ، غرب جنوب ضريبة .

(٤) لم أرَ نصراً بَوَّبَ لهذا .

(٥) قال البكري في «معجم ما استعجم» : الجُمْدُ — بضم أوله وثانيه ، وهكذا ذكره سيبويه — إلى أن قال : وهو جبل تلقاء أسنمة المتقدمة الذكر ، قال التناصيب :

وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ أَنْقَاءُ اسْنَمَةٍ
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :
وَقَبَلْنَا سَبْعَ الْجُودِيِّ وَالْجُمْدِ

وقال عن الثمَدِ : هُمَا ثَمَدَانِ ، فَالثَّمَدُ غَيْرُ مُضَافٍ مَاءٍ لِبَنِي حُوَيْرَةَ مِنْ الثِّمِّ ، قال أرطاةُ بْنُ سُهَيْتَةَ :

عُوجًا نُسَلِّمُ عَلَى اسْنَمَاءَ بِالثَّمَدِ مِنْ دُونِ أَقْرُنَ بَيْنِ الْقُورِ وَالْجُمْدِ
وأورد في رسم (فيحان) لعبيد بن الأبرص :

فَالْجُمْدُ الْحَافِظُ الطَّرِيقَ مِنَ الزَّيْغِ ، فَصَحْنُ الشَّقِيقِ فَتَالْأَمَلُ .

وأشار إلى وجود صلة بين (الجُمْد) المذكور في الأشعار التي أوردتها ، وقال : إنه جبل تلقاء أسنمة ، غير أنني أرى أن الجُمْدَ المذكور في شعر نَصِيب وأرطاة وعبيد — وَصَفَ لِلأَرْضِ الصَّلْبَةِ وَلَيْسَ اسْمُ جَبَلٍ ، فالْمُوصُوفُونَ فِي شعر نَصِيب جعلوا أنقاء أسنمة شمائلهم ، وهي في الطرف الشرقي من رمال الدهناء مما يلي وادي الباطن (فلنج قديماً) وتركوا الأرض الجَلْدَ وَبَعْضَ الرَّمَالِ يَمِينُهُمْ وَسَلَكُوا الطَّرِيقَ الْمُنْتَجِعَ غَرْباً إِلَى الْيَسُوعَةِ (بُرَيْكَةِ الْأَجْرَدِيِّ) — وهو طريق الحج الكوفي القديم — وَالْجُمْدُ فِي كَلَامِ أَرطَاةَ وَعَبِيدِ هُوَ الْأَرْضُ الْجَالِدُ ، أَوْ كَمَا ذَكَرَ ياقوت في «معجم البلدان» — رَسْمُ جُمْدَانِ — : وَالْجُمْدُ أضعف الآكام . وقال عن الجُمْدِ — بضميتين — : قال أبو عبيدة : هو جبل لبني نصير بنجد ، قال زيد بن عمرو العدوي ، وقيل : ورقة بن نوفل — في أبيات أولها — ثم أورد البيت — ومعه تسعة أبيات — وقال : وقد ذكر طقفيل الغنوي في شعره موضعاً يسكون الميم ، وأعلمه هو الذي ذكرناه ، فإنَّ كَلَّ مَا جَاءَ عَلَى فَعْلٍ يَجُوزُ فِيهِ

فَعُلَّ ، نحو عُسْرٍ وعُسْرٍ ، وَيُسْرٍ وَيُسْرٍ ، قال :
وبالجمد إن كان ابن جندع قد نوى سَنَنِي عَلَيْهِ بالصقائح والحجب
ويجوز أن يكون أراد الأكمة - كما ذكرنا في جُمْدَان - انتهى .

وقال نصر في مفردات حرف الباء : بُشَّ جبل لبني نصر وكذا الجُمْدُ .

جبل بني نَصْرٍ الوارد في كلام أبي عُبَيْدَةَ ونصر ذكره صاحب كتاب « بلاد العرب » - ص ١٢ -
في كلامه على بلاد بني نَصْرٍ بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فقال : ولبني نَصْرٍ من الجبال : الجُمْدُ
وبُسٌّ ، وبلاد هاؤلاء في أسافل أودية الحجاز الواقعة بقُرب الطائف شماله ، وبُسٌّ لا يزال معروفاً
بشاهد رأي العين من قرية عشيرة ، وهو جانب بارز من الحرة أسود ، أما الجُمْدُ فلم أعرف عنه شيئاً .
وزيد بن عمرو بن نُفَيْل من بني عَدِي بن كعب بن لُؤَيٍّ ، من قُرَيْشٍ ، ابنُ عمِّ عمر بن
الخطاب ، وكان ممن فارق عبادة الأوثان في الجاهلية وتَحَنَّنَ ، ومات قبل نزول الوحي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وأخبر عنه الرسول بأنه مات على دين إبراهيم . وابنه سعد بن زيد من العشرة المبشرين
بالجنة ، وقد ترجم ابن كثير في « البداية » : ٢٣٧/٢ - زيداً فأطال في ترجمته .

(٦) قال ياقوت في « معجم البلدان » : الجُمْدُ - بالتحريك - : قرية كبيرة ، كثيرة البساتين والشجر والمياه ،
من أعمال بغداد ، من ناحية دُجَيْلٍ ، قرب أَوَانَا ، ينسب إليها محمد بن أحمد بن عبد الله الجُمْدِي ،
ثم ذكر من روى عنه ، وأرخ وفاته سنة ٥٨٥ - ولم يذكر المعاني ولا ابن الأثير في كتابيهما في الأنساب
هذا ولا تلك القرية .

(٧) في كتاب نصر : (باب الجماء ، والجماء ، وجمي) .

(٨) قال نصر : أما بالجم والشد الميم والجمد - : اسم لِكُلِّ من أَجْبِلٍ ثلاثة بالمدينة : جماء العاقر ، وجماء
تُضَارِع ، وجماء أم خالد . وأظن في ديار طيء ما له هذا الاسم . انتهى .

وقال ياقوت في « معجم البلدان » : ~~بعد ذكر المعنى اللغوي~~ : والجماء جُبَيْلٌ من المدينة على
ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الحُرْف . ثم نقل عن الزمخشري : الجماء جُبَيْلٌ بالمدينة ، سُمِّيَتْ بذلك
لأنَّ هناك جبلين هي أقصرهما فكانتُها جماء . ونقل عن كتاب المهلب : الجماء اسم هضبة سوداء ، وهما
جمَّانٍ عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة . قال حسان بن ثابت :

وكان بأكنافِ العقِيقِ وبِيشده يحطُّ منَ الجمَّاءِ رُكناً مُلتمَما

ثم نقل عن كتاب ابن الفقيه الهمداني وغيره فأطال . وقد أوفى الكلام على الجمَّاءات السهودي
في كتاب « وفاء الوفاء » حيث عقد لها فصلاً خاصاً ، ومما ذكر يتضح أن عمران المدينة قديماً كان قد
بلغها حيث اتَّخَذَ بعض الأعيان قصوراً بقرىها ، فيما بينها وبين العقيق ، وأورد بعض الأخبار الدالة
على أن في الجمَّاءات آثاراً تدلُّ على قدم العمران في ناحيتها . والجمَّاءات جُبَيْلات لا تزال معروفة الآن ،
وعمران المدينة بلغها .

(٩) قال نصر : وأما بالخاء المعجمة - : في أشعار كتاب ، وبالشام موضع يقال له الجمَّان - بزيادة نون - لا أعلم
أهما موضعاً (ن) أم غَيْرَ اللفظ . انتهى .

وقال ياقوت في « المعجم » خَمَّاء موضع جاء في أشعار بني كلب بن وبرة - ولم يزد على هذا سوى الضبط -
وقال أيضاً : - خَمَّان بفتح أوله وتشديد ثانيه - : من نواحي البتَّة ، من أرض الشام ، وقال أيضاً :
خَمَّان - بكسر أوله وآخره نون وتخفيف ثانيه - : جبال في بلاد قضاة على طريق الشام - كذا قال

العمراني وأخاف أن يكون الذي قبله وقد صحفه ، على أنه ذكرهما جميعاً . انتهى .

وقال البكري في « معجم ما استعجم » : الخَمَاءُ - بفتح أوله وتشديد ثانيه ممدود - : موضع معروف . !! خَمَّانُ - بفتح أوله وتشديد ثانيه على وزن فعلان - : جبل مذكور في رسم تُرْبَان ورسم رَهْنَبِي . وخَمَّانُ أيضاً : موضع آخر بالشام ، قال حَسَّان :

لِمَنِ الدَّارُ أَفْقَرَتْ بِمَعَانِ بَيْنَ شَطْطِ الْيَرْمُوكِ فَالْخَمَّانِ
وأضيف : أما ما ذكر البكري في رسم تُرْبَان ، فهو قول حسان بن ثابت :

يَكْدَادُ بَعْلِيَاءَ الْعَقِيقِ خَسَوَاتُهُ بِحُطٍّ مِّنَ الْخَمَّانِ رُكْنًا مُلَمَّمًا
كذا أورد البيت ، وهو في « معجم البلدان » - رسم الخَمَاءُ - :

وكان بأَكْنَافِ الْعَقِيقِ وَبَيْتُهُ بِحُطٍّ مِّنَ الْخَمَّاءِ رُكْنًا مُلَمَّمًا
فَالْخَمَّاءُ هِيَ الَّتِي عَلَى جَانِبِ الْعَقِيقِ ، وَهِيَ الْوَاقِعَةُ بِقَرَبِ تُرْبَانِ الْوَاردِ فِي قَوْلِ حَسَّانِ بَعْدَ الْبَيْتِ الْمَقْدَمِ :

فَلَمَّا عَلَا تُرْبَانُ وَانْهَلَتْ وَدْقُوسُهُ تَدَاعَى ، وَأَلْقَى بَرَكَةً ، وَتَهَدَّمَا
وأورد البكري - في رسم رَهْنَبِي - قول الأسود بن يَغْفَر - النَّهْشَلِي :

فَلَمَّا أَنْ تَمَرَّ عَلَى شُرَيْبٍ وَخَمَّانِ ، وَتَنَحَّيَ الشَّمَالَا
وَأَمَّا أَنْ تَزَاوَرَ نَحْسَوَ رَهْنَبِي وَتَنَحَّيَ الشَّقَائِقَ وَالرَّمَالَا

- وقال بعد إيراده - : وهذه مواضع كلها متدانية . انتهى . والشاعر يصف أطلعا متجهة من شرق الجزيرة إلى غربها وهي شرق رَهْنَبِي . وشرق الشقائق والرَّمَال من الدَّهْشَاء ، فإذا صَحَّتْ كَلِمَةُ (خَمَّانِ) فِي هَذَا الشَّعْر ، فَهِيَ اسْمُ مَوْضِعٍ آخَرَ شَرْقَ الْجَزِيرَةِ غَيْرِ الَّذِي فِي الشَّامِ بِقُرْبِ مَعَانَ .

(١٠) وزاد نصر في الباب : الحِمَى بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم والقصر - : بَلَدٌ يَمَانٍ لِلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ . وَحِمَى الرَّبَذَةِ مَوْضِعٌ ، وَهُوَ الَّذِي كَثُرَ النَّاسُ فِيهِ عَلَى عَثْمَانَ ، وَحِمَى فَيْئِدٌ مَشْهُورٌ ، وَهُوَ وَحِمَى ضَرْبَةٌ أَشْهَرُهَا ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ جِبَالٌ تَكْتَنِفُهُ ، تُسَمَّى الْأَحْيَلَةَ وَالْأَخَابِلَ . انتهى . وقد أوفى المجري - فيما نقل عنه السهوي في « وفاء الوفاء » الكلام على هذه الأسماء ، وكلها واقعة في نجد ، ولا تزال أكثر معالمها معروفة .

تطبيع

في ج ٧ ، ٨ س ١٩ وقع تطبيع (أخطاء مطبعية) وها هو صوابها :

ص	سطر	خطأ	صواب
٥٦٩	١٩	آل أبي عويمر	العوارض (بني عارض)
٥٦٩	٢٢	عيسى بن حسيل	عيسى بن حسيب
٥٦٩	٢٢	غزاي بن جرير	غازي بن جرير
٥٦٩	٢٣	عناق بن حويص	عناق بن حويص
٥٧٠	١٩	زيحان بن مالي	زيدان بن مالح
٥٧٠	٢٠	مشنبي بن جرو	مشنبي بن جرو

مع القراء في أسنلتهم وتعليقاتهم

أنيف النبهاني .. لا النهشلي

(انظر « العرب » س ١٩ ص ٨٢١)

(وجه الأخ الأستاذ مروان العطية رسالة إلى الأستاذ الأديب الشيخ عبد العزيز الرفاعي - جاء فيها) :

قرأت بحثكم الممتع (من هو أنيف النبهاني ؟) في مجلة « العرب » (س ١٩ ص ٨٢١) فاستمتعت وأفدت وهو كما قال شيخنا حمد الجاسر : بحث شيق ممتع يحلّو الحديث حوله . ووجدتني مدفوعاً للكتابة حول الموضوع حيث علقت فيما مضى - تعاليق وملاحظات فأحببت أن أسجّلها ليَتِمَّ بها النفع :

١ - جاء في « الحماسة البصرية » تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان - : ١ / ١١٩ - وأخرجها عن مخطوطات صحيحة عثر عليها نفيسة وقعت له ، وبذل جهداً مشكوراً في ترجمة شعرائها وتخريج أبياتها .
وقال أنيف بن زَبَّانَ النهشلي :

١ - وَلَمَّا التَقَى الصَّفَّانِ واشتَجَرَ القَنَا
نَهَالاً . وَأَسْبَابُ الْمَنَابِإِ نِهَالُهَا

٢ - تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَّاءَ ذِلَّةٌ
وَأَنَّ أَعِزَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُهَا

٣ - فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ
بِحَيْثُ تَلَاقَى طَالِحُهَا وَسَيَالُهَا

٤ - دَعَاوُ لِنِزَارٍ . وَانْتَمَيْنَا لِبَطْنِ
كَأْسِدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

٥ - وَلَمَّا التَّقَيْنَا بَيْنَ السَّيْفِ بَيْنَنَا
لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِي سُوَالُهَا
٦ - وَلَمَّا عَضَيْنَا (٢) بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ

وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا
٧ - فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ
قَوَادِرُ ، مَرَبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

٨ - وَلَمَّا تَدَانَوْا بِالرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ
صُدُورُ الْقَنَّا مِنْهُمْ ، وَعَلَتْ نِهَالُهَا

وقال المحقق : لم أجده له ترجمة . وذكر التبريزي « الحماسة » (٨٧٠) أنه
النبهاني ، لا النهشلي ، وهو الصواب ، فنبهان من طيء ، والشاعر يذكر أنه
من طيء في البيت الرابع .

ثم قال المحقق ، في تخريج هذه الحماسة : الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ في
« الكامل » ١ : ٩١ لأعرابي من بني سعد [سَمَّاهُ المبرد توبة بن مُضَرَّس] والبيتان :
١ ، ٢ فيه أيضاً ٣ : ١٣٩ (غير منسوبين) ، الحصري ١ : ٣٥٧ ، « المجالس » :
٣٤٣ - ٣٤٤ (غير منسوبين فيهما) ، « الخزائن » ٤ : ١٤٦ لأثال بن عبدة
ابن الطيب والأبيات : ٣ : ٨ مع أربعة في « الحماسة » (التبريزي) ١ : ٨٨ - ٩٠ .
والبيتان : ٤ ، ٥ في « الأشباه » ١ ، ١٤٢ . والبيت : ١ في « التنبيهات » : ١٠٤ ،
١٧٣ مع آخر (غير منسوب في الموضعين) . والبيت : ٢ في « المحتسب » ١ : ١٨٤
(غير منسوب) .

وبهذا نجد الأستاذ عادل سليمان يضيف أحياناً جديدة غير موجودة في الطبعة
الهندية ويزيد تخريجات جديدة للنص المحقق .

٢ - ونجد العلامة عبد القادر البغدادي يقول في كتابه « خزائن الأدب » :
١٤٦/١ : (والعرب تمدح بالطول وتذم بالقصر ، قال أثال بن عبدة ابن الطيب :

ولمّا التقى الصَّفَّانِ واختلف القنا نهالاً ، وأسباب المناسبا نهالها
تبيّن لي أنّ القماعة ذِلَّةٌ وأنّ أعزّاء الرّجال طيوالها
يريد أن القنا وردت الدم ولم تُشَمَّنْ وذلك أن النّاهيل الذي يشرب أول شربة
فإذا شرب ثانية فهو عاكِلٌ .

وقوله : نهالها أي أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده .

٣- ويقول العلامة عبد القادر البغدادي في كتابه : « شرح أبيات مغني
اللبيب » : ٦٧/٤ - ، ما قاله في « الخزانة » إلّا أن الاسم تصحّف في المطبوعة إلى :
(أنال بن عبدة بن الطويل) وهذا من غرائب تحقيق الكتاب ، وهو حافل بمثل
هذه العجائب .

٤- قال عبد القادر بن عمر البغدادي في كتابه « حاشية على شرح بانث
سعاد لابن هشام » : ٥٣٩/١ تحقيق نظيف محرم خواجة (قوله : فإنّ أعزّاء
الرجال طيالها : صوابه : وأنّ أشدّاء الرجال طيالها ، وهو شاذّ قياساً
واستعمالاً لأنّ القياس والاستعمال طوال ، وكذا أنشده المبرد في أول « الكامل »
ثم قال : وأنشدني غير واحد : وأنّ أشدّاء الرجال طيالها . وليس هذا بالحيّد ،
وإنما قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم : ثياب وحياض والواحد
ثوب وحوض ، وهذا جيّد ، اسكون الواو في الواحد فأما في مثل طوال فإنما
يجوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتحرك الواو في الواحد وأنشدني مسعود بن
بشر المازني :

لهم أَوْجُهُ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ طِيَالٌ وَمِنْ سَيْمًا الْمُلُوكِ نِجَارٌ

ومجاز هذا في النحو ما وصفت لك . انتهى . وهذا المصراع عجز وصدّره :

تبيّن لي أنّ القماعة ذِلَّةٌ وأنّ أشدّاء الرجال طيالها

وهو من قصيدة تقارب أربعين بيتاً ، لأنيف بن حكيم الطائي النبهاني قالها في
وقعة المُنْتَهَبِ ، كذا قال ابن السيد في حاشيته على « كامل المبرد » وأورد منها
ثلاثة أبيات وعزاها إلى أعراي من بني سعد ، وردّ عليه ابن السيد بأنه كيف يمكن

ذلك وقد قال الشاعر فيها : (وانتمينا لطيء) وأورد أبو تمام منها في أوائل « حماسته » بيتين أو ثلاثة . وساق منها صاحب « الحماسة البصرية » ثمانية أبيات وهذا مطلعها :

تذكرت حُبِّي واعتراك خيالُها وهيهات حُبِّي ليس يُرجى وصالُها
وحُبِّي - بالضم والقصر - اسم محبوبته ، وهذه الأبيات الثلاثة التي اقتصر عليها المبرد :

ولما التقى الصَّفَّانِ واختلَفَ القنَا نِهالاً وأسبابُ المنايا نِهالها
تبينَ لي أنَّ القمساءَ ذِلَّةٌ وأنَّ أشداءَ الرجالِ طوالُها
دَعَوْا بِالسَّعْدِ وانتمينَا لِطِيءٍ أسودُ الشَّرَى إقدامُها ونزالُها
قال المبرد : قوله نِهالها ، إنما يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تُشَنَّ وذلك أنَّ الناهل الذي يشرب أول شربة فإذا شرب ثانية فهو عَالٌ . يقال : سقاه علاً بعد نَهَلٍ وعَلالاً بعد نَهَلٍ ، والعالية لا حاجة بها إلى الشرب ، إنما يعرض عليها تعذيراً ، قال : وأسبابُ المنايا نِهالُها أي أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده . انتهى . قال ابن السيد : الصحيح أن النihal العطاش والهاء عائدة على القنا لا على المنايا ، أي أن عطاش الرماح أسبابُ المنايا أنها تُحبُّ الرِّيَّ من الدماء ، والناهل يكون العطشان ويكون الريان ، وقد جمع الشاعر اللغتين ، وجعل المبرد الضمير عائداً على المنايا ، وهذا من المواضع التي خَطَّأه فيها علي بن حمزة البصري . وقوله : تبين لي ، ألخ : هو جواب لما ، وأنَّ مع معموليها فاعل تَبَيَّنَ ، والقماءة - بفتح القاف والمد - : مصدر قَمَوْ الرجلُ - بضم الميم ومهموز اللام - أي صار قَمِيئاً على وزن فعيل ، وهو الصغير الذليل الحقير ، وإنما كانت القماءة ذِلَّةً لأنه لا يهابه أحدٌ . وقوله : وأنَّ أشداءَ الرجالِ ، ألخ ، هو جمع شديد ، وروى بدله أبو عمر الزاهد غلام ثعلب : وإنَّ أعزاء الرجال . قال المبرد : العرب تمدح بالطول وتضع من القصر . ثم أورد أبياتاً وحكايات مناسبة ، وقوله : أسودُ الشرى ، أي كإقدام أسود ، وروي أيضاً : كَأَسَدُ الشرى . وهو موضع كثير السباع ، وقد أورد علي بن سليمان الأخفش عَشْرَةَ أبيات من هذه القصيدة

وشرحها في « الكامل » بعد إيراد المبرد الأبيات الثلاثة . قال ابن المستوفي في شرح أبيات « المفصل » : الشاعر هو أنيف بن زبَّان النبهاني من طيء وهو إسلامي .

وأنيف - بضم الهمزة وفتح النون على وزن مصغر - الأنف ، وزبان : بالزاي المعجمة وتشديد الموحدة : ونبهان : بفتح النون وسكون الموحدة وقال مُغلطاي في « الثغر الباسم » ، وفي هامش الكامل : قال الوزير في « الإيناس » : وأثال بن عبدة بن الطَّيِّب القائل :

ولما التقى الصَّفان واختلف القنا البيت (١) .
واسم الطبيب زيد بن مالك ، انتهى . هذا ما رأيته والله أعلم .

٥ - قال صاحب « الإيناس » - ١١٠ (وص ٢١٢ طبعة دار اليمامة) :
واسم الطبيب : زيد بن مالك بن أمري القيس بن مرثد بن حنظلة بن سبيع ابن عبد نهم بن جشم بن عبيششمس . وقد قيل في نسبه غير ذلك ، إلا أنني كذا وجدته بخط إسحاق وعرضه على علماء دهره ، وأنا به أوثق ، ووجدته بخطه : عَبَّ الشَّمْسُ ، وهذا يوهمني أنه كان يقول : عَبِشْ شَمْس ، بكسر الباء ، لأن اللفظ بذلك يقارب اللفظ بصورة الكلمة من خط إسحاق .

وهذا الذي في تميم لا يقال فيه إلا عَبِشْ شَمْس ، بفتح الباء ، كما قيده ابن حبيب . وبسكونها ، كما قيده ابن الكلبي وأصله : عبد شمس ، أي : حبها ، أي : ضوؤها . والعين مبدلة من الحاء .

وقيل : عب الشمس : لعبها .

وإما أن يكون أصله : عبء ، بالهمز ، والعبء : العدل والنظير .

من المراجع :

١ - الإيناس : للوزير المغربي ص ١٨٠ .

٢ - « تاج العروس » (شمس) .

سورية - دير الزور : مروان العطية

الحواشي :

(١) : (العرب : وأورد في « الإيناس » - ص ٢١٤ - : بيتين بعده هما :
تبين لي أن القماعة - البيت -
هتفنا لسعد واعتزونا لطيء أسود الشرى - البيت - .

قصة مثل :

رمح الجُمَيْلات في فرسهم

قرأتُ للشيخ عبدالله بن محمد بن خميس في كتابه « من أحاديث السَّمر »
ص : ٣٤ - قوله عن (رمح الجُمَيْلات في فرسهم) فظهر لي أنه - حفظه الله
لم يتمكن من معرفة قائله ولا معرفة بلد القائل أو قبيلته .

وحيث أن هذا المثل من التراث الذي ينبغي أن يعرف ويُعرَفَ للقراء الكرام
كتبت هذا :

صاحب المثل : هو فيصل الجُمَيْلي من قبيلة سُبَيْع من بلدة رَنْيَّة .
حدثني ثقة من كبار السَّن في رَنْيَّة وممن يدعي الانتماء بالأصل إلى فيصل
المذكور (١) .

قالوا : إنَّ مَنْ يُعرف اليوم باسم (الصَّنَادِحَة) (٢) الفخذ الموجود الآن في
عداد عشيرة المراغين من الزكور من سُبَيْع الغلباء هم في الأصل من ذُرِّيَّة
(الجُمَيْلي) وهناك آخرون منهم أيضاً يُدْعَوْنَ (السَّنَادِي) في الهدار من
الأفلاج وفي الوادي ونواحيهما وهم مرافقون هناك للدواسر . واكتنا نعرفهم وهم
يعرفوننا ونحن منهم وهم منّا . وإن كانت المنازل متباعدة - فكلنا من سُبَيْع - .

وقالوا : كان الجُمَيْلي فيصل وأخوه هيجرس من أصحاب الإبل في
البادية بناحية الشمال من رنية في الطرف الشمالي الغربي من عرق سُبَيْع (٣) مما يلي
الحمار . في أناس من قومهم . وكانوا يرددون موردهم المعروف اليوم باسم
(اللُمَيْسَة) (٤) بأنسَيْن - وكان فيصل أكبرَ سِناً من هيجرس . وكان مُتَزَوِّجاً من
ابنة عم . وله منها أولاد وكانوا صغاراً . وذات يوم ورد فيصل وأخوه هيجرس

المذكور بإبلهما الماء . وبعد أن شربت الإبل وارتوت من الماء - أخذت ناحية من المعطن ، كعادتها بعد الشرب . فذهب هجرس خارج الإبل لبعض شأنه ، وبقي فيصل بجانب البئر . فقال في نفسه : سأعمل عملاً أختبر به أخي هجرس لأعرف منه هل يُحِبُّني أم لا . فترع ثيابه ووضعتها إلى جانب البئر وقرب حجراً كبيراً فرماه في البئر ثم اختفى في مكان لا يراه فيه أخوه . فلما عاد هجرس ولم يشاهد أخاه نادى فلم يُجِبْه أحد ، فنظر إلى البئر فرآى الثياب ، فأسرع بالنظر إلى قعر البئر فرآى الماء متحركاً مزبداً . وذلك من أثر رمية الحجر فيه فلم يشك بأن أخاه قد وقع في البئر . فرمى بنفسه وهو لا يحسن السباحة ، فغرق . وجاء فيصل مسرعاً لإنقاذه . ولكن بعد فوات الأوان حيث وجده قد مات ففجع بسوء عمله وتفكيره . وقد عرف أنه هو الذي سبب وفاة أخيه بدون ذنب فندم ندماً شديداً وعزم على عدم رؤية أهله وأولاده وقومه بعد هذا الحادث المؤلم . فترك بلاده . وذهب منها ناحية الشرق مُتَخَفِياً بين العرب ، سائراً معهم ، حتى استقر به الأمر مع حيٍّ من قبيلة تغلب وصار معهم أول أمره خادماً لأمرهم وهم لا يعرفون من حاله شيئاً ولا يسألونه عن أمره . فقال : فيما آل إليه من حال :

عَوَدْتُ عَقِبَ مُرَافِقِ الْهَاجِجِ حَشَّاشٍ^(٥) ،
وَهَجَسِي أَنِّي ابِيعَ (التفق) لِي بَشُومِي^(٦)
وَاجِبِ لَزَيْنَاتِ الْخَلَاخِيلِ بِفَرَّاشٍ ،
وَأُثَافِي مِنْ عَائِلَاتِ الرُّجُومِ

ثم دارت الأيام : - كانت حوادث الغزو والتهب والقتل شعار ذلك الزمان . فأُغِيرَ على القوم الذين هو فيهم وهم غَارُونَ . فشارك الحميلي في صدِّ الغارة فأظهر شجاعة وفروسيّة نادرَتَيْنِ لفتتا أنظار القوم إليه مما أكسبه احترامهم وتقديرهم له بعد ذلك . فقال له أميرهم : أطلب ما تُريدُه ! فطلب الزواج من ابنته (جهم) فحقق رغبته وبقي معهم وأنجبت له (جهم) ثلاثة بنين .

ثم إن القوم أخذوا يغارون منه فدرس عليه بعضهم حتى ظهر له أن بعض سفهائهم يقول : إن فيصل ليس له أصل (ضائع أصل) فحز ذلك في نفسه فعزم على الرحيل إلى بلاد قومه وقد بلغ من العمر أرذله وأصبح أبناؤه رجالاً . فأخبر زوجته بما عزم عليه من رحيل وخيّرهما في الذهاب معه أو البقاء في أهلها فاختارت البقاء : - فقال يوصيها : -

يا (جهم) وان زاعننا عنك نية
لا تأخذين غمري على شان ماليه
ولا تأخذين عودي قد أقفى شبابيه
لا تأخذين الا رجلي مجرب
حاذور مفلول الرجال حذار !!
يحطك جوف الصائبات غبار
يموت وعياله عليك صغار
رمحه نهار الكائنات كنسار

ثم قال : أيضاً - يصف طريق العودة وموضع بلاده :

أنا الحميلي والحميلي فيصل
لهن ظلال في الضحى طار داته
يا ديرتي يا جاهلين وصوفها
ياما حلى وردة حنايا بفأطري
عليها في وفي^(٩) من الغضيب
يجيها مال من الحممان حممان ضلفع
ويجيها من يعومه مال وارد
يا ديرتي فيها ثمانين عيلم
على دانهات كأنهن جمال
ومستبعات في العصير ظلال
منها العروق النائفات شمال^(٧)
لياليج محال لها وعمال^(٨)
وعليها من في العرين ظلال
مال يتلوه قب كالسيال^(١٠)
مال أوي والله مال^(١١)
واثمانها الآلاف يوم تكال^(١٢)

وهي أطول من هذا .

ثم رحل بأولاده وبإبله عن القوم وفارق جهماً وسار إلى بلاده ناحية رنية . ولما قارب منها . وأصبح في طرف العرق فما يليها في الموضع المسمى (الخليج^(١٣)) قال : لأولاده : أقيموا هنا وأنا سأذنب وأعود إليكم . فركب جواده وسار يبحث عن أولاده الذين تركهم ، حتى اهتدى إلى موضعهم . ولكنهم لم يعرفوه

لطول العهد . وقد ظنوا أنه قد مات ، ولكن أمهم أخذت تلحظه وتطيل النظر إليه ، فقالت لهم : هذا أبوكم الحميلي . فلم يصدقوها . فقالت : إن فيه عادة إذا ناوله أحد الإناء وهو واقف خلفه لا يتناوله دون أن يلتفت . فجربوا ذلك فكان كما قالت ، ولما تمّ التعارف قال لهم : لست لكم بأب مادام الأعداء يرعون دياركم منذ ثلاثة أيام ولا أحد منكم يعلم بهم وكان يعني أبناءه الذين أمهم جهم .

فسألوه عن هؤلاء الأعداء . فأشار إلى موضعهم فلما أصبحوا شنّوا الغارة عليهم . أمّا هو فتأخّر قليلاً عنهم ثم لحق وقد بدأت المعركة بينهم . وعند اللقاء أرسل أحد المغيرين رمحه فأصاب فرساً لأحد أبناء جهم وثبت فيها الرمح عالياً . فصاح فيصّل قائلاً : العافية - العافية (رمح الجُمَيْلَات في فرسهم) فصارت مثلاً حتى الآن، يضرب للقوم بأيّتهم الأذى من أنفسهم، وتسمّ التعارف والتصافي بعد أن علموا من والدهم بكل ما جرى وبقوا زمناً في كنف والدهم حتى توفي فعاد أولاد جهم إلى موطن أخوالهم ، واستقروا هناك ، وهم كما ذكرنا اليوم - ناحية الأفلاج في الهدّار ووادي الدواسر .

مَرْحُومَاتُ رَنْيَةِ : فُهَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَرْكِي السَّبْعِي

الحواشي :

- (١) فضلت نقل القصة عن له صلة نسب أكيدة بالحميلي ، كالمرحوم بنيان بن الرصيص بن فلاج توفي وعمره نحو مئة عام ومسلط بن مسلط . يبلغ من العمر فوق ٨٠ عاماً كان عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في رنية .
 - (٢) الصنادحة : هم : الفلاليج وآل سويد .
 - (٣) يعرف قديماً برملة بني عبدالله بن كلاب انظر « بلاد العرب » للأصفهاني .
 - (٤) اللميسة - بشر قديمة تقع في الحمار ، وهي من بني غي في الغرب ومن غرب جهة الشمال . والحمار حزن ممتد فيه أبارق وأبراث ويقع شمال العرق مما يلي جبل ظلم وطريق نجد إلى الحجاز القديم .
- وعن اللميسة - حدثني مسلط قائلاً : إنه باعها رجل منهم في الماضي يدعى : هجيرس على

أحد رجال البادية في ناحيتها وفي عهد ابن لؤي أمير الخزعة حدث فيها نزاع وخصومة فأرسل لنا ابن لؤي رسولا بشأنها ونحن في رنية لأنه يعلم أنها كانت لنا .
(٥) يأتي بأنواع الأعشاب للحيوانات .

(٦) العصا . والتفق (تفنك - تركية) : البندق .

(٧) العروق : مفردا عرق : وهو يقصد عرق سبيع .

(٨) حنايا : اسم بئر لهم تقع على ضفة وادي رنية مقابل نهاية جبل سلي شمالا مما يلي مجرى الوادي وهي مشهورة ترددها البادية وهي بئر زراعية أيضاً . أنظر ص ١٦٨ من الكنوز الشعبية .

(٩) الفى : هنا بمعنى الظل : والغضا والعرين من أشجار الحمض الكبيرة التي تكثر في وادي رنية ومازالت .

(١٠) قب كالسيال : الخيل : والحمان : مجموعة أبراث في حقف رمال حنجران شمالا ويقابلها شمال شرقي جبل زنابير وبينها وبين ضلفع حبال رمل حنجران .

(١١) يعومة : بضم أوله وثانيه ، كأنه أخذ من العوم . والجمع يعايم وهن هضاب مركزة في قف من الأرض مرتفع . ولعل اسمهن مشتق من صفتهم والعرب قد تطلق من الأسماء ما يوافق الصفات . وهن شمالي مدينة رنية على بعد ٣٥ كيلا فقط يتوسطن الشعاب الكبيرة المنحدرة من المرتفعات الشمالية الغربية من رنية والنازلة إلى عرق سبيع وعندهن جرت عدة وقائع بين قبائل سبيع وقبائل من قحطان ومن يام وغيرهم . وذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وما بعده ولذلك ذكر يطول .

قال شاعر من سبيع :

يا طير ياللي في (يعومه) تنفى دولك اللحم أرهوه ربسع مناير

وقال شاعر من يام ، يتأسف لما أصاب قومه ، في يعومه :

يا حيفا يا غلمة فسي يعومه كلتهم الرمضا وذوب الفتايل

وذلك أن الوقعة جرت في اشتداد الهاجرة بعد حصار بدأ من أول النهار .

(١٢) عيلم : غزيرة الماء ، وهي آبار زراعية مشهورة مثل الرجع وجلجل وحنايا والحفائر وغيرها أنظر صحيح الأخبار ص ١٢٠ ج ٤ والكنوز الشعبية ص ١٦٨ .

(١٣) الخليج : بسكون الياء (؟) على صيغة التصغير (؟) .

هو جزء من وادي رنية ينشعب منه عند الحد الغربي من المعمور من الروضة قاعدة رنية ناحية الشمال الشرقي ، وسيله يغمر منازل الأهالي في المدينة من الغرب إلى الشرق وفيه يصب وادي الأغر يأتي له من الشمال الغربي ويصب فيه في وسط المدينة وعندما يخرجان ناحية الشرق منها يسمى (الخر) يذهب ناحيته حتى تحويه رمال عرق سبيع من كل ناحية فيريح ماؤه ، ويبقى وله عطوف فيها مراعى جيدة للبادية وهو في الشرق من رنية على بعد ٢٥ كيلا أنظر « الكنوز الشعبية » ص ١٣٣ ج ٣ .

□ « جمهرة النسب » :

هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤هـ تقريباً ، يعتبر إمام علم النسب وأكثر ما وصل إلى الباحثين في عصرنا وأهمها ، مما خلفه هذا العالم في هذا العلم . وقد قامت لجنة التراث العربي في الكويت ، فشرعت في نشر كتاب « جمهرة النسب » من تأليف ابن الكلبي بتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج ، فصدر الجزء الأول سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) يحوي من أول الكتاب إلى آخر نسب هذيل (انظر العرب س ١٩ ص ١٣١) ويظهر أن العمل توقف ، وقام بعد ذلك الأستاذ محمود فردوس العظم بنشر الكتاب بطريقة تغاير الطريقة المعهودة ، ذلك أنه عمد إلى الكتاب فصار ينسخه بخط يده ، ثم ينشر ما نسخ مصوراً مضافاً إليه تعليقات وحواش كثيرة ، من أهمها : التعليقات التي في دواش مخطوطة « مختصر الجمهرة » في مكتبة راغب باشا في اسطنبول . وقد صدر الجزء الأول من عمل الأستاذ محمود فردوس العظم ومراجعة الأستاذ محمود فاخوري وتقديم الدكتور سهيل زكار ، صدر الجزء الأول في ٤٣٤ صفحة من القطع الكبير .

ويحوي مما في الجمهرة إلى ذكر المغربات من بني هاشم بعد نسب بني طابخة ابن الياس بن مضر .

وصدر الجزء الثاني على طريق الجزء الأول من حيث النسخ والتصوير في ٤٢٨ صفحة كبيرة حاوياً لأنساب قيس بن عيلان بن مضر . وربيع بن نزار بن معد . وأول نسب الأزد .

وفي الجزئين تعليقات للمحقق الفاضل نقلها من أمهات الكتب المعروفة . واعلها من (لزوم ما لا يلزم) .

ومهما يكن فإن إخراج هذا الكتاب الذي يعتبر أهم مصدر للباحثين في علم الأنساب من القرن الثالث الهجري إلى عهدنا - يضيف ذخيرة قيمة لمصادر الثقافة العربية ، باعتبار علم الأنساب هو الأساس الأول الذي قام عليه علم التاريخ عند العرب .

□ « فضائل بيت المقدس » :

وقام الأستاذ محمد مطيع الحافظ ، بنشر كتاب « فضائل بيت المقدس » للإمام محمد بن عبد الواحد المقدسي المتوفي سنة ٦٤٣ . عن نسخة مخطوطة بقلم المؤلف في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وقد جاء الكتاب في ١٣٦ صفحة بطباعة حسنة ، يحوي ترجمة للمؤلف عن أسرته ونشأته ومؤلفاته ، ووصف كتابه في ٢٦ صفحة من صفحات الكتاب ، وصدر عن دار الفكر مطبوعاً في المطبعة العلمية بدمشق سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

□ « فضائل المدينة » :

رسالة ألفها أبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي اليمني المكي المتوفي سنة ٣٠٨ ، وقام بتحقيقها الأستاذان محمد مطيع الحافظ ، وغزوة بدير ، وجاءت مع مقدمتها وفهارسها في ٧٢ صفحة بن القطع الصغير .
ومعروف رأي علماء الحديث في أحاديث الفضائل ، والمحققان الفاضلان أضافا إضافات نافعة في تخريج الأحاديث إذ مؤلف الكتاب يوردها بأسانيد بروايته هو ، وأصل المخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق والرسالة مفيدة في موضوعها لكثرة ورود أحاديثها في كتب تاريخ المدينة المنورة ، ومنسوبة إلى الجندي مؤلف الرسالة المذكورة .

□ « السلوك في طبقات العلماء والماوك » :

هذا الكتاب يعد من مصادر تاريخ اليمن من حيث الأحوال السياسية ، ومن حيث تراجم الأعيان ، ومؤلفه هو محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي - بفتح النون . نسبته إلى مدينة الجند - الشافعي ، المتوفي سنة ٧٣٢ ، بدأ كتابه بعد الكلام على التاريخ .

وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم باختصار ، فذكر ولاية اليمن في عهد الرسالة ، ثم استمر في تسجيل تاريخ ذلك القطر دولاً وتراجماً إلى عصره . وقد قام مؤرخ اليمن في هذا العصر العلامة المحقق محمد بن علي الأكوع الحوالي بتحقيق الكتاب ، فصدر الجزء الأول منه ، في ٥٥٢ صفحة ، وينتهي بترجمة ابن الخطاب الزبيدي ، المتوفي سنة ٦٦٥ م. دانياً بحواشٍ توضح ما يحتاج إلى توضيح من تعريف بعض المواضع وترجمة بعض الأعلام وإيضاح معاني بعض الكلمات العامية اليمنية .

ويظهر أن الأستاذ الجليل المحقق لم يصحح تجارب الطبع ولهذا وقع في الكتاب من التطبيع ما حرف بعض الأسماء .

وصدر الكتاب عن وزارة الإعلام والثقافة في صنعاء . وهو الحقة الثانية عشرة من سلسلة (مشروع الكتاب) وتاريخ الطباعة ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) بدون ذكر اسم المطبعة ويظهر أنها في بيروت .



□ « معجم الأسماء الجغرافية » :

ويقوم الأستاذ الدكتور أسعد سليمان عبده في قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الملك سعود — بجهـد مشكور في مواصلة الدراسات الجغرافية عن بلادنا وإمداد الباحثين بشمار طيبة لهذه الدراسات منها :

١ — معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية ويعني بها إحدى وعشرين خريطة تغطي كافة أراضي المملكة وأجزاء من الأراضي والبحار المحيطة بها بقياس رسمها ١ : ٥٠٠ ٠٠٠ . رسمت في أزمنة مختلفة من سنة ١٣٧٥ إلى سنة ١٣٨٢ وقد قام الدكتور أسعد بدراساتها دراسة دقيقة واستخرج منها أسماء المواضع ورجع إلى مؤلفات قديمة وحديثة الاستفادة منها في تصحيح بعض تلك الأسماء وقدم دراسته في كتاب يقع في ٤٨٤ صفحة رتبت الأسماء على حروف المعجم ، ثم ذكر موقع كل اسم وتحديد هذا الموقع بخطوط الطول والعرض ثم وصفه

هل هو قرية أو جبل أو بئر أو غير ذلك ، ثم الإشارة إلى الكتاب الذي رجع إليه في دراسة الاسم .

ويحوي هذا المعجم من الأسماء الجغرافية المكتوبة على الخرائط ٧٤٥٣ اسماً .

٢ - معجم أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية على خريطة جزيرة العرب . وهو صنو الكتاب الأول وهو خاص بالأسماء المكتوبة على خريطة جزيرة العرب (مقاس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠) التي أعدت من قبل مصاحبة المساحة الجيولوجية الأمريكية وشركة الزيت العربية الأمريكية تحت رعاية المملكة العربية السعودية ووزارة الخارجية في طبعتها الثانية سنة ١٩٨١/١٤٠١ .

وقد نقلت الأسماء الجغرافية المكتوبة على الخريطة ضمن حدود المملكة مع تحديد موقع كل مكان بدرجات العرض والطول وذكر المكان : (جبل - وادي - مكان مسكون) . وقد رجع الأستاذ الدكتور إلى كثير من الكتب الحديثة التي عنت بتحديد الأماكن وضبطها في المملكة ورتبت على الحروف الهجائية وحاول الأستاذ تصحيح كثير من الأسماء بإيراد الاسم الصحيح بعد ما هو مكتوب في الخريطة ، وجاء هذا الكتاب في ١٣٢ صفحة .

وطباعة الكتابين حسنة وصلرا سنة ١٩٨٤/١٤٠٤ عن (مكتبة المدني للطبع والنشر والتوزيع) في جدة .

٣ - وقد نشر الأستاذ الدكتور أسعد كتاباً ثالثاً يتعلق بتصحيح الأخطاء الواقعة في الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة الإحدى والعشرين التي خصص كتابه « معجم الأسماء الجغرافية » الأول للذكرها - أفرد لها في كتاب خاص معتمداً في التصحيح على المؤلفات الحديثة من أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وغيره من المؤلفات .

ولاشك أن جهد الدكتور أسعد في هذه الناحية جهد جدير بالتقدير لما له من أثر نافع في هذه الناحية العلمية التي تصدى لدراساتها وللتأليف عنها .